يطبع لأول مرة

فتوحات ذي الرحمة والمنة
في شرح
إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة

للعلامة أحمد بن محمد المقري

(ت: 1041هـ)

شرح العلامة

الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنجيطي

(ت: 1107هـ)

تقديم العلامة

محمد فال (اباه) بن عبد الله العلوي الشنجيطي

حفظه الله

تحقيق وتعليق

الشيخان بن الطالب بن اعل

طالب بمحظرة النباغية

الناشر
دار الإسراء
انواكشوط موريتانيا

فتوحات ذي الرحمة والمنة

في شرح

إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة

للعلامة أحمد بن محمد المقري

(ت: 1041 هـ)

شرح العلامة

الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنجيطي

(ت: 1107 هـ)

تقديم العلامة

محمد فال (اباه) بن عبد الله العلوي الشنجيطي

حفظه الله

تحقيق وتعليق

الشيخان بن الطالب بن اعل

طالب بمحظرة النباغية

تقديم: شيخنا اباه حفظه الله

الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده.

وبعد فإن الاستاذ الباحث المطلع الولد البر الشيخان ابن الطالب له يد بيضاء ومنة تشكر ولا تكفر في التنقيب عن ماضي أهل هذه البلاد وإحياء ذكر أعلام لهم شهرة ونبوغ في بلدهم وأهلهم ألقى عليهم الدهر رواق الخمول لطول العهد وانقراض العصر وتفريط أهل هذه البلاد في التعريف بسلفهم حتى إن من كان مرجع قومه علما أو إفتاء أو تدريسا أو قياما بالمصالح والسيادة قد يموت ذكره وينفى وجوده أصلا أو يشكك فيه وقد قام الشيخان ونقب فاستخرج من الوثائق القديمة وأحكام القضاة وفتاويهم وشهادات عدولهم ما عرف به جماعة من الاعلام ومكانتهم العلمية والاجتماعية ووصل به بعض الانساب التي اندرست أو كادت، وحلت ألغاز وقائع تاريخية كان فيها أوفي أسبابها غموض وغير هذا.

وها هو الآن ينشر شرح الإمام عالم ءاخر القرن الحاد عشر الهجري وأول الثاني عشر الطالب محمد بن المختار بن الاعمش لإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة الذي يعد من أول ما شرحت به ويعبر عنه عليش في شرحه لها بالشارح فالطالب محمد من أبرز علماء ذلك الزمن، وشهرته وانفراده في التحقيق والورع والقوة في مواقفه الدينية وانتشار فتاويه في كل مكان واعتماد العلماء عليها وكثرة من تخرج على يده من العلماء كل ذلك مشهور نار على علم، وشرحه هذا مشهور إلا أن نسخه المخطوطة قلت مع الحاجة إليه، فقام الشيخان بتصحيحه وتحقيقه وإعداده للنشر ليعم النفع به، فهو من جملة مساعيه المحمودة في إحياء ما دثر من ءاثار هذا السلف بل هو من أهمها والله يجازيه ويبارك في أعماله ويتقبلها وينسأ في عمره في عافية في دينه ودنياه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه محمد فال ابن عبد الله

النباغية 29/ شعبان/1443هـ

ترجمة العلامة محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنجيطي

هو الإمام العالم العلامة الفهامة حافظ عصره وفريد دهره البالغ من كل فن مداه الأقصى ذو المناقب التي لا تعد ولا تحصى أبو عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش بن يعقوب بن أبيج بن محمذنا الله بن أبيج بن يحيى الكبير العلوي الشنجيطي ينتهي نسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين باب مدينة العلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ويعتبر من أبرز علماء عصره ومصره ولد بمدينة شنجيط عام 1036هـ وعاش فيها وفيها تعلم العلم وفيها درس وصنف.

وهو إن لم يفرده البرتلي بترجمة تخصه فقد تحدث عنه في أماكن كثيرة من كتابه "فتح الشكور" ووصفه بأنه "شيخ الشيوخ" وأنه "فقيه أهل الرسوخ.

ولعل ترجمته سقطت من النسخ المتداولة من فتح الشكور

وكان والده العلامة المختار من أوائل العلماء الذين تصدروا للتدريس والافتاء والقضاء في مدينة شنجيط وقد وقفت على بعض نوازله.

وقد ترجم له أحد تلامذته وهو العالم العلامة سيدي عبد الله ابن محم بن القاضي الشهير بابن رازكة ترجمة مختصرة فقال: إنه العلامة الفقيه النحوي الأستاذ الأصولي العروضي المحدث اللغوي البالغ من كل مداه الأقصى ذو المناقب التي لا تعد ولا تحصى حفظ القرآن وهو صغير وأقبل على كل فن يرتضع أخلافه ويتعاطى بكؤوس التحقيق والتدقيق سلافه فما لبث أن قهر وبهر وظهر واشتهر فهو مجلي الحلبة الذي لا يجارى ومبرزها الذي لا يبارى.

شيوخه :

تلا بالقراءات السبع على أبي الحسن علي الواداني.

وأخذ الحديث والفقه عن شيخيه الفقيهين:

- القاضي عبد الله بن الفقيه محمد بن حبيب العلوي[1].
- وأحمد بن أحمد العلوي[2]
- و أخذ علم الكلام وغيره عن العلامة عمر الولاتي المحجوبي

كما أجازه جماعة من العلماء منهم:

- صديقه العلامة الحاج عبد الله الحسني، ت 1101هـ أجازه في الفهرسة التي قدم بها من الحج.
- العلامة سيدي المحجوب الجكني أجازه في القراءات السبع، كما أجازه أيضا في رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- العلامة المختار بن سيدي العلوي أجازه في قراءة نافع.
- العلامة ملا إبراهيم بن حسين الكردي الكراني مفتي المدينة المنورة أجازه في إضاءة الدجنة عن طريق المراسلة.
- العلامة الحاج الأمين ذكره في نوازله ولم ينسبه.

وقد ترجم له العلامة سيدي عبد الله بن سيدي محمد ابن محمد الصغير بن انبوج العلوي التيشيتي ت 1280هـ في منظومته المسماة: تحفة المسترشد[3] في ذكر ما للدين من مجدد، فقال:

فهـــو ابـــن الأعمـــش الـــذي أقـــرَّا بفـــضله أعيـــان مـــن بمـــصرا

والخـــرشي والزرقـــاني كـــل أرســـلا إليـــه بـــالعلم الـــشهير فـــضلا

---

(1) انظر ترجمته في مقدمة روضة الأفكار في علم الليل والنهار للشارح توجد منه نسخة أصلية بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 3371 بخط حفيد الشارح الشيخ بن محمد الشيخ.

(2) المعروف بـ"أكد الحاج بن الحاج بن محمد بن عبد الله بن يحيى الكبير العلوي الشنجيطي ذكر ابن انبوج أنه توفي عام 1086هـ انظر فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور للعلامة: سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي، ت1280هـ بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف.

(3) مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف

وكتبـوا تـصحيح مـا قـد نقلـه في كتـب المجـذوب ممـا أبطلـه

وعلمـه عـم نـواحي الأرض في المشرق الأقصى وغربـا مـرضي

توجهـت إليـه فتـوى البلـد في الفقـه والتوحيـد علـم الـسند

أمَّـهُ عِـدَّةُ ثقـات كـأبي عبـد الإلـه الهاشـمي المنتخـب

وقرنـه محمد بـن الحـاج عثمـان الجمـاني ذو المنهـاج

وكـان ينفـق عـلى سـتينا نفـسا بـلا حـق يـرى يقينـا

لـه المـصنفات كالفتـاوي أكـرم بهـا مـن غنيـة للـراوي

ومثلهـا كـالمنن العديـده أعـني بهـا شـارحة الفريـده

وفـتح مـولى فـضله والمنـه عـلى اقتنـا إضـاءة الدجنـه

ومـات في شـنجيط عـام شـوق بـداره أكـرم بـه مـن شـوق

ومانظمه ابن انبوج نثره العلامة محمد بن أحمد الصغير بن حمى الله المسلمي التشيتي ت1324هـ في كتابه: قرة عين ذي النظر السديد بإبراز مناقب علماء التجديد فقال: وأما ابن الأعمش فهو الشيخ العالم الأجل المشتهر الفقيه المتكلم الصوفي النحوي اللغوي البياني العروضي المتفنن المحقق المتقن أبو عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش.

العلوي الشنجيطي بكسر الشين المعجمة نسبة إلى شنجيط قرية في جهة الشمال من إقليم التكرور ولد رَحِمَهُ اللَّهُ بشنجيط عام ستة وثلاثين وألف في سنة وفاة الشيخ أحمد باب وبها نشأ وجد واجتهد في تحصيل العلوم بها.

مناقبه:

وكان صاحب الترجمة بارعا في الفقه غاية وهو الذي تتوجه إليه الفتوى في زمنه وبلغ من ثناء أعلام بلده عليه حتى قالوا إنه لو كان في زمن مالك والليث لكان ثالثهما وله في علم المنطق والكلام والحديث والنحو والتصوف الشأو الذي لا يدرك وله معرفة بالأصلين والتجويد واللغة والمعاني والبيان والبديع والحساب والعروض

وغيرها وكان ورعا في الفتيا جدا وكان بلغ من الشهرة في زمنه في جميع الأقطار مبلغا عظيما.

وكان يرد على كتاب المجذوب الأطاري وينكر عليه فلما بلغ ذلك أهل المجذوب بعثوا بكتاب صاحبهم إلى من بالمشرق من العلماء ليقرظوا عليه فاتفق أن استحسنه منهم وقرظ عليه جماعة وهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الشهرزوري[1] والشيخ عبد الباقي الزرقاني وشيخه علي الأجهوري والشيخ سيدي محمد الخرشي فلما بلغ ذلك ابن الأعمش كتب رسالة في رد تقاريظهم ورد ما قرظوا عليه وبعث بها فيما أظن والله أعلم مع شيخه أبي محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عيسى البوحسني فلما بلغتهم الرسالة سلموا لابن الأعمش واستحسنوا رده وأقروا له بالتقدم بل بلغنا أنهم أرسلوا له عمائمهم إقرارا منهم بتقدمه وبعثوا له الإجازات فيما يجوز لهم والله أعلم.

وكان قطب الزمان الشريف أبو العباس المعروف بالشاب يثني عليه وكذلك عامة أهل عصره ويقال إنه من أهل الخطوة وممن يتكلم على الضمير وحكي أن بعض حجاج أهل شنجيط ذكر أن شيخا من أهل مصر قال له:

هذا المكان الذي يقرئنا فيه ابن الأعمش يشير إلى مكان هناك وهو رَحِمَهُ اللهُ لم يسافر قط إلا مرة واحدة سافر إلى قرية حذو شنجيط على مرحلة أو نحوها فارا من الحرب التي وقعت بين أهل شنجيط.

وكان رَحِمَهُ اللهُ فيما يحكى عنه ينفق على ستين نفسا ليس عليه منها حق واجب ومناقبه في هذا الإقليم مشهورة نفعنا الله به وبأمثاله[2].

---

(1) تنظر ترجمته في الصفحة: 54 قد حصلت على نسخة من تقريظه بخطه مؤرخة بعام 1082هـ وقد سماه " إخبار الأحبار بتساؤلات أهل أطار". اتحفني بها رئيس متحف اتويزكت الأثري بأطار الأستاذ: الخليل بن انتهاه حفظه الله

(2) انظر قرة عين ذي النظر السديد بإبراز مناقب علماء التجديد للعلامة محمد بن أحمد الصغير بن أحمد بن حمى الله التيشيتي ص 31 مخطوط توجد منه نسخة مصورة على المايكروفليم بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 357.

وغيرها وكان ورعا في الفتيا جدا وكان بلغ من الشهرة في زمنه في جميع الأقطار مبلغا عظيما.

وكان يرد على كتاب المجذوب الأطاري وينكر عليه فلما بلغ ذلك أهل المجذوب بعثوا بكتاب صاحبهم إلى من بالمشرق من العلماء ليقرظوا عليه فاتفق أن استحسنه منهم وقرظ عليه جماعة وهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الشهرزوري[1] والشيخ عبد الباقي الزرقاني وشيخه علي الأجهوري والشيخ سيدي محمد الخرشي فلما بلغ ذلك ابن الأعمش كتب رسالة في رد تقاريظهم ورد ما قرظوا عليه وبعث بها فيما أظن والله أعلم مع شيخه أبي محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عيسى البوحسني فلما بلغتهم الرسالة سلموا لابن الأعمش واستحسنوا رده وأقروا له بالتقدم بل بلغنا أنهم أرسلوا له عمائمهم إقرارا منهم بتقدمه وبعثوا له الإجازات فيما يجوز لهم والله أعلم.

وكان قطب الزمان الشريف أبو العباس المعروف بالشاب يثني عليه وكذلك عامة أهل عصره ويقال إنه من أهل الخطوة وممن يتكلم على الضمير وحكي أن بعض حجاج أهل شنجيط ذكر أن شيخا من أهل مصر قال له:

هذا المكان الذي يقرئنا فيه ابن الأعمش يشير إلى مكان هناك وهو رَحِمَهُ اللَّهُ لم يسافر قط إلا مرة واحدة سافر إلى قرية حذو شنجيط على مرحلة أو نحوها فارا من الحرب التي وقعت بين أهل شنجيط.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يحكى عنه ينفق على ستين نفسا ليس عليه منها حق واجب ومناقبه في هذا الإقليم مشهورة نفعنا الله به وبأمثاله[2].

(1) تنظر ترجمته في الصفحة: 54 قد حصلت على نسخة من تقريظه بخطه مؤرخة بعام 1082هـ وقد سماه " إخبار الأحبار بتساؤلات أهل أطار". اتحفني بها رئيس متحف اتويزكت الأثري بأطار الأستاذ: الخليل بن انتهاه حفظه الله

(2) انظر قرة عين ذي النظر السديد بإبراز مناقب علماء التجديد للعلامة محمد بن أحمد الصغير بن أحمد بن حمى الله التيشيتي ص 31 مخطوط توجد منه نسخة مصورة على المايكروفليم بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 357.

تلامذته :

تخرج عليه جماعة من العلماء منهم

- العلامة محمد بن أبي بكر ابن الهاشم الغلاوي.
- العلامة محمد بن الحاج عثمان بن سيدي صديق الجرماني.
- العلامة عثمان بن الشيخ عمر الولي الولاتي المحجوبي.
- العلامة محمد أحمد الخليفة بن أحمد بن أحمد العلوي.
- العلامة الحاج أحمد بن الحاج عبد الله بن الحاج أليمن الغلاوي.
- العلامة سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي.
- العلامة المختار بن أحمد بن الحاج المصطفى الغلاوي
- العلامة محمد أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد العلوي.
- العلامة لحبيب بن أيد الأمين الجكني
- العلامة محمد بن الإمام محمد أحمد الغلاوي وغيرهم.

مؤلفاته :

تعتبر مؤلفات صاحبنا بدايات للتأليف في البلاد الشنجيطية عموما وهي مؤلفات مفيدة تدل على تحقيقه وبراعته في العلوم منها:

- فتوحات ذي الرحمة والمنة على شرح إضاءة الدجنة – وهو الذي بين أيدينا – وقد بلغ الغاية في الإفادة.

- قصيدة طويلة في مدح النبي ﷺ بحوزتنا نسخة منها بخطه.

- الأجوبة الأطارية في علم التوحيد أيضا بحوزتنا ورقات منها.

- المنن العديدة على شرح الفريدة في غاية الجودة، بحوزتنا ورقات منها بخط المؤلف، كما توجد منها نسخة مكتملة بالمكتبات التيشيتية.

- فتاويه المشهورة وهي أول نوازل مجموعة في البلاد، وهي الآن تحت الطبع بتحقيق ودراسة الدكتور الفقيه الشريف بن أشفغ.

- قصيدته في علم الفلك المسماة بروضة الأفكار في علم الليل والنهار وشرحها.

- منظومة في المنطق وشرحها، بحوزتنا ورقات منها.

- منظومة في البيان وشرحها.

- منظومة في علم الفرائض وهي صعيبة على الفهم وقد وقع خلاف في معانيها بين العلامتين: سيدي محمد بن حبت وسيدي عبد الله بن عبد الرحمن بن اطويلب.

- نظم مغني اللبيب.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بشنجيط سنة سبع ومائة وألف.

وقد أرخ لوفاته العلامة باب بن أحمد بيب العلوي بقوله:

وقبض ابن الأعمش الندب الأغر في عام سبعة من الثاني عشر[1]

كما أرخ لوفاته أيضا العلامة سيدي عبد الله ابن محمد الصغير بن انبوج فقال: وفي السابع والمائة بعد الألف فيه وفاة محمد بن المختار بن الأعمش[2].

وكان صاحبنا يلقب بـ"عالم الدنيا" وكان أهل شنجيط قديما يقولون: عام 1036هـ توفي عالم الدنيا يعنون أحمد بابا التنبكتي وولد عالم الدنيا يعنونه وكان أهل تيشيت أيضا يقولون: عام 1107هـ توفي عالم الدنيا يعنونه وولد عالم الدنيا وهو العلامة الشريف حمي الله بن أحمد التيشيتي ت 1169هـ.

وخلفه في الفتوى والقضاء ابن عمه العلامة محم بن أحمد بن الفقيه، كما ووقفت عليه بخط تلميذه العلامة محمد أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد العلوي.

أبناؤه:

وأما أبناؤه فثلاثة:

- أحمد المختار[3].   - وأحمد محمد.   - و سيدي محمد.

---

(1) من البيت الثاني: من نظم وفيات الأعيان للعلامة باب بن أحمد بيب مطبوع يزيد على مائة بيت جمعه ورتبه العلامة محمدي بن المصطفى حفظه الله.

(2) انظر فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور للعلامة سيدي عبدالله بن انبوج العلوي. مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخطه.

(3) ذكر ابن انبوج أنه قتل سنة 1155هـ في الحرب التي وقعت، انظر فتح الرب الغفور، مخطوط، مصدر سابق

أ - وأما أحمد المختار فابنه: المختار الملقب الشيخ وأنباء المختار ثلاثة:

- محمد

- والطالب جدو – والطالب جدو هذا ممن أخذ الطريقة عن سيدي الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه مباشرة[1].

- وسيدي عبد الله

ب - وأما أحمد محمد فله ابنان:

- بلعمش

- وعبد الجليل ومن أشهر أبناء عبد الجليل المختار دفين لتفتار وكان المختار هذا صديقا ودودا للعلامة الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنهما وقد قدم الشيخ أحمدو لمنظومة المختار بن عبد الجليل في العقيدة المسماة "جوهر القلائد فيما على المومن من عقائد" فقال:

قال سليل عابد الجليل مختارنا ذو المنصب الجليل
من ورث العلم بلا اعتراض من آل الاعمش وآل القاضي
من فضلهم بين الورى شهير سار به في الأفق من يسير
شرفهم محقق وماض وعلمهم بين العلوم راض

... إلخ.

ج - وأما سيدي محمد فابنه أحمد خليفة.

وقد اعتمدت في ذكر أبناء الشارح على الأستاذ الباحث محمد الأمين بن بلعمش حفظه الله.

***

(1) انظر ضالة الأديب مصدر سابق ص 108

أهمية الكتاب منهجه ومصادره

من المعلوم أن كل علم يكتسب المزية من موضوعه وموضوع هذا العلم يتعلق بتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل كما أن ذاته تعالى أشرف المعلومات كان العلم المؤدي إلى معرفته أشرف العلوم وأهمها وهذا ظاهر لا شك فيه.

ويعتبر هذا الكتاب أول شرح لإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة من حيث الشهرة والمضمون و الواقع وإن كان ثالث شرح حسب الترتيب الزمني، فقد سبقه شرح عبد القادر الغصين الذي كان السبب في نظم الإضاءة كما قدمنا، وشرح محمد بن عمر القدامسي ت1083هـ حيث ذكر في خاتمة شرحه أنه انتهى منه عام 1082هـ.

وقد ذكر صاحبنا أنه شرحها عام ألف ومائة أي بعد وفاة الناظم بستين عاما.

وقد فتح هذا الشرح أبواب أرجوزة المقري التي مثلت مجمل المباحث السنوسية وغيرها من العقائد وأعطت لشيوخ المحاظر الشنجيطية خلاصة صافية لهذه العقائد مما جعلهم يتلقونها بالقبول ويعتمدونها في الدرس والتنصيف.

وقد ذكر قصة هذا الشرح ودوافعه وسنده عن صديقيه العلامة ملا إبراهيم بن حسن الكردي، والعلامة الحاج عبد الله بن محمد بن عيسى الحسني الذي أتى بها من مصر راجعا من الحج وساق ما قد جرى بينهما من تبادل الآراء والأشعار وذكر البيتين اللذين أرسلهما له وهما:

أسيدنا إن عاق عما أريده   وأنويه من تجديد عهدك عائق

وحالت صروف الدهر دون إرادتي   فإن اعتقادي في المحبة صادق

فقد بعث إليه صديقه المذكور بهذين البيتين مع نسخة من هذه المنظومة. وطلب منه شرحها فاستجاب له ورد عليه ببيتين يقول فيهما:

بنا ضعف ما تشكو من الحب دائما   وإن حال عن وصل صروفٌ طوارق

عسى طول هذا البعد يعقب راحة   من الوصل أو تنفى لدينا عوائق

تنبيه: وقد نسبت نسخة من هذا الشرح للحاج عبد الله نفسه كما وقفت عليه موثقا على المايكرو فيلم بمكتبة افرايبورغ ألمانيا تحت رقم: 804 عن طريق الرابط على الانترنت وجلها غير مقروء، لكن عندما تأملتها وأمعنت النظر فيما أمكن من آخرها إذا بها نسخة من شرح ابن الأعمش حرفا بحرف.

وقد اشتهر هذا الشرح وذاع صيته وكثرت نسخه حتى وصل القاهرة مبكرا ولعل أسباب شهرة هذا الكتاب في القاهرة أن الشارح تلقى إجازات من طرف علماء مدنيين و أزهريين كما قدمنا إذ نرى أن الشيخ محمد عليش الأزهري استفاد منه في شرحه على الإضاءة واعتمد عليه وخاصة في ترجمة المقري وفي مسائل أخرى وكان يلقبه بالشارح.

وكان الشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي ينقل منه بواسطة عليش.

فجميع العلماء الذين شرحوا الإضاءة استفادوا من هذا الكتاب واعتمدوا عليه في شروحهم وقد تقدم ذكرهم.

وكذلك الذين شرحوا الوسيلة لابن بونا اعتمدوا عليه أيضا كالعلامة سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن انبوج العلوي ت 1280هـ فإنه ذكر هذا الشرح من جملة الكتب التي اعتمد عليها في شرحه.

وقد ذكر البرتلي أن الشارح ترجع إليه أكثر الأسانيد من بعده(1) وخاصة في أصول الدين وقد تبين لنا أن له ثلاثة أسانيد في أصول الدين.

السند الأول: الذي أجاز به تلميذه وابن شيخه سيدي عثمان ابن عمر الولي أن يروي عنه "تواليف سيدي محمد السنوسي.

السند الثاني: هو سنده في إضاءة الدجنة الذي أخذه عن صديقه المذكور الحاج عبد الله الحسني عن أبي مهدي مفتي الحرمين ومسندهما عيسى بن محمد

(1) فتح الشكور للبرتلي ص: 80 الهامش 5 مصدر سابق

الثعالبي الجزائري المالكي عن أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي عن مؤلفها.

السند الثالث: سنده في الإضاءة أيضا وقد أخذه عن صديقه المذكور أيضا ملا إبراهيم بن حسن الكردي الشهرزوري الشافعي عن عبد الباقي الحنبلي عن مؤلفها وهو أعلى من السند الذي قبله.

وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن منهجه في هذا الشرح التوسط والاعتناء بتقرير الأبيات وتبيين المجملات وحل المعضلات بحيث يكون متوسطا في المقال متحاشيا عن طرفي الإخلال والإملال.

وذكر أيضا أنه اعتمد فيه على كتب السنوسي الذي عبر عنه بالشيخ وعول عليه في الغالب وربما أورد أبياتا من منظومة أبي العباس المعروف بابن زكري المسماة محصل المقاصد.

كما اعتمد أيضًا على مصادر أخرى وهي:

- مقدمة ابن الصلاح في مصطلح الحديث
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني في موضوع أحاديث جوامع الكلم
- جمع الجوامع للسبكي.
- الضياء اللامع لحلولو
- حاشية المنجور على الكبرى
- شرح المباحث الأصلية لزروق
- المدارك للقاضي عياض
- منظومة الحوضي.
- الشمسية لنجم الدين الكاتبي وشرح التفتازاني عليها
- الإرشاد في مسائل الاعتقاد لإمام الحرمين
- الأسرار العقلية للمقترح
- أبكار الأفكار في شرح الأسرار لتلميذه الشريف زكرياء.

- إكمال الإكمال للأبي على مسلم.
- مكمل الإكمال للسنوسي.
- سراج المريدين لابن العربي المعافري
- الرسائل الكبرى لابن عباد
- شرح ابن زكري على عقيدة ابن الحاجب
- الملل والنحل للشهرستاني.

وبعد أن ذكر سنده في الإضاءة شرع في الشرح.

***

منهج التحقيق

المنهج الذي سلكناه في تحقيق هذا الكتاب اتبعنا فيه الخطوات التالية:

- إخراج الشرح صحيحا وواضحا وقد بذلنا الجهد في تصحيحه وتنقيحه.

- تخريج الاستشهادات الواردة في الشرح من الأحاديث النبوية

- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في الشرح مع عدم تعرضنا لتراجم المشاهير منهم. كمشاهير الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة.

- الرجوع إلى ما تيسر لنا الاطلاع عليه من المصادر التي اعتمدها الشارح

- تبيين ماخفي من الشرح وخاصة المسائل الشائكة المعروفة في علم الكلام مثل: - مسألة الكلام

- الخلاف في إيمان المقلد

- مسألة الكسب

- مسألة الحال

- مسألة الشطح

- مسألة الغيرية

- محنة خلق القرآن

إلى غير ذلك من المسائل التي تحتاج للتحقيق.

وأنبه إلى أن جل اعتمادي في تحقيق هذا الشرح على دروس شيخي ووالدي شيخنا العلامة اباه بن عبد الله حفظه الله ومتعنا بمرآه إذ هو المعول عليه والمعبر عنه بشيخنا حفظه الله.

وحق علي في هذا المقام أن أتمثل بأبيات للأبي في جواب أبيات لشيخه ابن عرفة أوردها في الإكمال وهي:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة   بتقرير إيضاح لمشكل صورة

وعزو غريب النقل أو حل مقفل   أو اشكال أبدته نتيجة فكرة

فـدع سـعيه وانظـر لنفـسك واجتهـد ولا تـــتركن فـــالترك أقـــبح خلـــة

فأجابه الأبي بقوله:

يمينـــا بمـــن أولاك أرفـــع رتبـــة وزان بـــك الـــدنيا بأحـــسن زينـــة

لمجلـسك الأحـظى الكفيـل بكـل مـا عـلا حـسن مـا منـه المحاسـن جلـت

فأبقـــاك مـــن رقـــاك للنـــاس رحمـــة وللـــدين سـيفا قاطعـــا كـــل بدعـــة

وإني في قـــسمي هـــذا لبـــار»هــــ

والحمد لله رب العالمين

***

النسخ المعتمدة

اعتمدنا في تحقيق هذا الشرح على ثلاث نسخ منه:

النسخة الأولى: ورمزنا لها بحرف (أ) واعتمدناها لخصائصها الآتية:

- لعتاقتها ويبدو أنها كانت موجودة في حياة المؤلف

- نسخة مكتملة

- خطها مغربي في غاية الجودة والوضوح

- ببعض هوامشها تعاليق في غاية الأهمية بعضها بخط العلامة محمد بن أحمد الصغير بن حمى الله بن أحمد المسلمي التيشيتي كما ذكر في آخر تعليق له، ويبدو أن هذه النسخة كانت عنده وقد تداولها علماء قبله كما يظهر من التقاييد التي بالهامش.

- عناوين الفصول بالمداد الأسود وكذلك الشرح وأما الأبيات فهي بالمداد الأحمر ويشير بـ(ص) للنص و(ش) للشرح وهذه هي طريقة السنوسي في شرحه على كبراه كما رأيت في نسخة من شرحه.

- رقمها: 37

- عدد أوراقها 117 ورقة

- ط 18 ع 15 س 29 في الغالب

المصدر: الأستاذ الباحث الطالب أحمد بن اطوير الجنة حفظه الله.

- وهذه النسخة لم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها لكنها عتيقة وجيدة.

النسخة الثانية: رمزنا لها بحرف (ب)

- نسخة مكتملة.

- خطها مغربي

- ببعض هوامشها تعاليق منسوبة للعلامة سيدي عبد الله بن محم العلوي الشهير بابن رازكه تلميذ الشارح

- المصدر: توجد هذه النسخة مصورة على المايكر وفليم في مكتبة افرايبورغ ألمانيا.

- رقمهما 1777

- عدد أوراقها 98 ورقة

1 – القياس ط21 ع 14 س 27 في الغالب

- الناسخ: كتب ناسخها ما نصه: وفي المنسوخ منه ما نصه: أنتهى وكمل جميع هذا الشرح المبارك على يد ناقله من نسخة من نسخ عن خط المؤلف رحمه الله ورزقنا وإياه وجميع المسلمين رضاه بجاه نبينا ومصطفاه عليه وسلم وعلى آله وعلى جميع النبيئين الأنبياء والمرسلين و الملائكة المقربين وجميع عباد الله الصالحين صلاة وسلاما نرقى بها مراقي الإخلاص وننال بها غاية الاختصاص وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المرسلين، انتهى على يد محمد البشير بن سيد أحمد الملقب دهمد بن الطالب عبد الله بن الشيخ المصطف، كتبه لنفسه ولمن شاء الله له. ولم يذكر تاريخ النسخ.

النسخة الثالثة: رمزنا لها ب (ج)

اعتمدناها لخصائصها التالية:

- نسخة مكتملة
- خطها مغربي وواضح
- عناوين الفصول بالمداد الأحمر
- نص الإضاءة بالمداد الأحمر
- الشرح بالمداد الأسود
- يشير ب (ص) للنص و (ش) للشرح
- ط 18 ع 15 س 29 في الغالب
- تحت رقم: 64
- الناسخ: كتب ناسخها ما نصه: أنتهى وكمل جميع هذا الشرح المبارك على

يد ناقله من نسخة من نسخ عن خط المؤلف رحمه الله ورزقنا وإياه وجميع المسلمين رضاه بجاه نبينا ومصطفاه عليه وسلم وعلى آله وعلى جميع النبيئين الأنبياء والمرسلين و الملائكة المقربين وجميع عباد الله الصالحين صلاة وسلاما نرقى بها مراقي الإخلاص وننال بها غاية الاختصاص وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المرسلين، انتهى على يد محمد بن عثمان بن محمذ بن يوسف كتبه لأخيه في الله وشيخه ذاك بو بكر بن محمود بدي، كان الله لي وله ولوالديه آمين آمين آمين بجاه النبي ﷺ.

هذا وقد جعلنا النسخة (أ) المذكورة آنفا أصلا وقابلناها بأختيها (ب) و(ج) وبينا في الهامش مواطن الاختلاف.

الصفحة الأولى من نسخة (أ):



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال شيخنا الإمام البحر الفهامة عمدة وقته وفريد دهره سيدي أبو عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه ومأواه آمين

الحمد لله الذي نور بفضله أفئدة [illegible]

الشرح محققا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما،
رب يسر وأعن

قال شيخنا الإمام البحر الفهام حافظ عصره، وفريد دهره، **سيدي أبو عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنجيطي حفظه الله ورعاه وجعل الجنة منزله ومأواه**، آمين آمين آمين.

الحمد لله الذي بفضله أضاءت الدجنة، ومنّ بفضله بمعرفته التي هي عقائد أهل السنة، وجعلها سلما وسببا يتوصل به إلى غرف الجنة، والصلاة والسلام على أفضل من أوتيَ الهداية وحسم بحججه مواريد الضلال والغواية، وعلى آله وصحبه الذين نالوا به من الشرف الغاية صلاة وسلاما دائمين متصلين إلى غير نهاية.

وبعد: فالاستعانة بالمولى الكريم ذي الرحمة والمنة على شرح إضاءة الدجنة، من عقائد أهل السنة، تأليف الشيخ الفقيه الوجيه النبيه القدوة لأهل الإسلام، علم العلماء الأعلام، أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني أصلا، المصري وطنا، تغمده الله تعالى برحمته وأفاض علينا من علومه وبركته.

وهي قصيدة في خمسمائة بيت تشتمل على فصول من قواعد علم التوحيد، وأصول جمعت من الفن غرر فرائده، وأحاطت من الكلام على جميع درر فوائده، في نظم عجيب، وأسلوب غريب، أبدع فيها أحسن ترتيب، وهذب فيها غاية التهذيب، ونفح فيها ما في المطولات بأوجز لفظ وأحسن ترتيب، فجزاه الله أحسن الجزاء، وجمعنا الله وإياه وجميع أحبتنا بمحل رضوانه في دار البقاء، آمين.

نسأله سبحانه من فضله أن يعيننا على شرح مجملاته، وتبيين معضلاته؛ بحيث يكون متوسطا في المقال، متحاشيا على طرفي الإخلال والإملال، موجها للكلام في تنقيح، منبها للمقصود في توضيح، معتمدا فيه على عقائد الشيخ الإمام الولي الصالح الزاهد؛ أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو المعبر عنه

(1) نكتفي بترجمة الشارح له في آخر الكتاب عند قول المقري: كما تولى بسطه السنوسي إلخ

بالشيخ في هذا الشرح، إذ عليه المعول في غالب النصوص، وربما أوردت كلام عصريه الإمام أبي العباس أحمد بن زكري[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يكون للمطلوب كالفصوص، أو كلام غيره من الأئمة بحسب ما اقتضاه النظم من العموم والخصوص، والله تعالى اسأل أن ينفع به وبأصله، وأن يجعله عملا مقبولا بكرمه وفضله.

وقد ألجأني إلى هذا الشرح كتاب صاحبنا الفقيه الحاج أبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى البوحسني[2] المغربي حفظه الله تعالى من المعاطب والآثام،

(1) هو الإمام العالم العلامة أحمد بن محمد بن زكرى، المانوي التلمساني، عالمها ومفتيها، الحافظ المتفنن الأصولي الفروعي المفسر، ناظم ناثر بارع، أخذ عن أبوى الفضل محمد بن مرزوق وقاسم العقباني وأحمد بن زاغو ومحمد بن العباس وغيرهم، ويذكر أنه كان في أول أمره حائكا، فدفع له ابن زاغو غزلا ينسجه، ثم حضر عنده لطلب ما يكمله، به فوجده يدرس في قول ابن الحاجب: "وخرج في الجميع قولان" ويقرر للطلبة، فلم يفهموه، قال ابن زكري: أنا فهمته، ثم قرره أحسن ما ينبغي، فقال له الشيخ: مثلك يشتغل بالعلم لا بالصنعة، فذهب الشيخ معه لأمه وكانت أيما وحضها على أن تشغل ولدها بطلب العلم فاشتغل حينئذ به فكان منه ما كان، ألف كتابا في مسائل القضاء والفتيا، وله رجز في علم الكلام يسمى "محصل المقاصد" في نحو ألف وخمسمائة بيت وغيرها، وله فتاوى كثيرة، ووقعت بينه منازعات مع السنوسي في مسائل. انظر "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) تحقيق الدكتور علي عمر، الجزء الأول، ص: 66 الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1425هـ / 2004م

(2) حج بيت الله الحرام وزار، وأخذ إضاءة الدجنة عن أبي مهدي مفتي الحرمين ومسندهما عيسى بن محمد بن أحمد الجعفري الثعالبي الجزائري المالكي عن أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي عن مؤلفها، ولم أقف على تاريخ وفاته ولكنه معاصر لابن الأعمش، رحمهما الله تعالى، انظر فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور تأليف الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي المتوفى 1219هـ تحقيق وتعليق عبد الودود ولد عبد الله، والدكتور أحمد جمال ولد الحسن، ص 284 و285 وفي الهامش 3 من نفس الصفحة: كان صاحب الترجمة معاصرا لناصر الدين، والظاهر أنه لم يتوف إلا بعد انتهاء حرب شربية ووفاة إمامها سنة 1084هـ إذ لو كان توفي أثناء الحرب لسجل ذلك ضمن وقائعها. ومن جهة أخرى يفهم من ترحم ابن الأعمش عليه أنه توفي قبل سنة 1107. هذا وقد أرخ عبد الله بن =

وعاملنا وإياه وجميع أحبتنا بالإحسان والإكرام، بعد قدومه من الحرم الشريف، يرغب في وضع شرح على المنظومة، وقد وجه إلي بنسخة منها بعد أن أجازنيها في جملة ما أخذت من الإجازات منه - حفظه الله تعالى وجزاه عنا خيرا وضاعف له فيما أحسن إلينا أجرا.

فرأيت حين استدعى ذلك مني مع قلة اطلاعي وقصور باعي، أن امتثاله واجب علي، طلبا لرضاه، ورجاء لدعوة يدعو بها بعض من يطالعه فيجيبه مولاه؛ إذ هذا من جملة ما أمر الله تعالى به من المعاونة على البر والتقوى، ورزقنا الله تعالى التوفيق للإصابة في كل منقول، وعصمنا من الغواية والهوى في كل معقول، وأن يجعله خالصا لوجهه تعالى، وأن يجعل النفع حاصلا به لجميع المسلمين، إنه ولي ذلك بمنه وكرمه وبجاه أفضل الخلق نبينا ومولانا محمد ﷺ وعلى جميع أمته.

ولما أتى كتابه العزيز علينا، فكلامه الفائق، أيقظني من سنة الغفلة والكسل، بقوله الرائق[1]:

أسيدنا إن عاق عما أريده ... وأنويه من تجديد عهدك عائق
وحالت صروف الدهر دون إرادتي ... فإن اعتقادي في المحبة صادق

=

محمد بن القاضي الشهير بابن رارزقة ضمن تذييله للفشتالية للمسمى عبد الله، أحد أعلام المنطقة، بقوله:

سيادة عبد الله ما غادرت شقا ... سعادة مبهاه الأغر المبجل

والرمز للتاريخ: شقا= (ش=1000=ق=100+أ=1، والمجموع = 1101هـ)، وصرح محقق كتاب (التكملة في إمارتي البراكنة والترارزة) أن عبد الله المؤرخ لوفاته في بيت ابن رازقة مجهول. انظر فتح الشكور، نفس المرجع، مركز نيجبويه للمخطوطات وخدمة التراث.

قلت: ولا يبعد عندي أن يكون الحاج عبد الله هو المعني في بيت ابن رازكه لأنه كان صديقا ودودا للشارح شيخ ابن رازكه والتاريخ المذكور في البيت يتلاءم مع ما ذكر البرتلي من ترحم الشارح عليه في إجازته لسيدي عثمان بن عمر الولي.

(1) وفي هامش النسخة (ب) البيتان ليسا لأبي محمد بل لغيره وهما في كتاب جواهر الكلام وعزاهما ابن الأعمش له لكتبه لهما في رسالته ولم يعزهما لغيره.

فأثار ذلك ما كمن في الفؤاد من الاشتياق، ومالت النفس إلى لذة الوصل بعد طول الافتراق، فقلت:

بنا ضعف ما تشكو من الحب دائما وإن حال عن وصل صروفٌ طوارق

عسى طول هذا البعد يعقب راحة من الوصل أو تنفى لدينا عوائق

أدام الله تعالى أيام الوصل بالعافية والإكرام، ورمى أيام البين بعقوبة النفي إنه ولي الانتقام، وجردت عزمي لموافقة رغبته، ورجاء لحصول دعوته، مستعينا على ذلك بإعانة المعين بقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ مسميا له بفتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة، والله الهادي إلى سبيل الرشاد، والتوفيق لنيل العصمة والسداد، نسأله سبحانه أن يسبل علينا ستره الجميل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

و قد أخذت[1] هذه القصيدة إجازة عن صاحبنا المذكور عن أبي مهدي[2] مفتي الحرمين، ومسندهما عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد الجعفري الثعالبي

---

(1) وفي نسخة العلامة أحمد بن الخليفة العلوي ت 1188هـ: وقد أخبرنا بهذه القصيدة إجازة صاحبنا...

(2) الثعالبي نزيل المدينة المنورة ثم مكة المشرفة إمام الحرمين وعالم المغربين والمشرقين الإمام العالم العامل الورع الزاهد المتفنن في كل العلوم كثير الإحاطة والتحقيق ولد بمدينة زاوة من أرض المغرب وفيها نشأ وحفظ متونا في العربية والفقه والمنطق والأصلين وغيرهما وعرض محفوظاته على شيوخ بلده منهم الشيخ عبد الصادق ثم رحل إلى الجزائر وأخذ عن المفتي الكبير الشيخ سعيد قدورة وحضر دروسه وروى عنه الحديث المسلسل بالأولية والضيافة على الأسودين الماء والتمر وتلقين الذكر ولبس الخرقة والمصافحة والمشابكة وأخذ عن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي وحج سنة 1062هـ وجاور بمكة سنة 1063هـ وأخذ عنه إذ ذاك الشيخ علي باحاج وقرأ عليه الصحيحين والموطأ ثم رحل إلى مصر وأخذ بها عن أكابر علمائها كالنور علي الأجهوري ثم رجع إلى مكة وكانت وفاته يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة 1080هـ ودفن بالحجون. انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر الهجري للمحبي، ج2، ص 269 - 270.

الجزائري المالكي[1]، عن أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري[2] السجلماسي عن مؤلفها.

وأخبرني بها عاليا إجازة مفتي المدينة أبو إسحق إبراهيم بن حسن الكردي[3]

---

(1) وفي نسخة العلامة أحمد بن الخليفة: بمكة شرفها الله آخر ذي الحجة سنة سبع وسبعين وألف، وهذه الزيادة التي انفردت بها نسخة أحمد بن الخليفة في غاية الأهمية حيث عرفنا من خلالها العام الذي حج فيه الحاج عبد الله الحسني. وقد وقفت على 29 صفحة من النسخة المذكورة بخط العلامة أحمد بن الخليفة في مكتبة آل الطالب محمد بن الخليفة بمدينة تججك فلو وقفت عليها كاملة لجعلتها أصلا لجلالة ناقلها وقربه من عهد الشارح. لأن والده من تلامذة الشارح.

(2) قال تلميذه أبو موسى المهدي الثعالبي نزيل مكة رأيت بخطه نسبه مرفوعا إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان عالما محدثا أخباريا أديبا قال الفيومي والشلي ولد بتافيلالت ونشأ بسجلماسة ثم رحل إلى فاس وأدرك بها جلة من العلماء فأخذ عنهم بها عدة فنون وكان أخذه عن الأستاذ الكبير نخبة الشرف السيد أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن طاهرالحسني السجلماسي والعالم بقية السلف الدلائي الصنهاجي وحافظ العصر أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، وبلغ الغاية القصوى في الرواية والحفظ، ثم رحل بعد الأربعين من بلاده فحج ودخل مصر في سنة 1043هـ وأخذ بها عن الشهابين وعن النور علي الأجهوري وكانت وفاته في أواخر شعبان سنة 1057هـ شهيدا بالطاعون في الجزائر من الديار المغربية، انظر خلاصة الأثر مصدر سابق، ص 226.

(3) هو الإمام العالم العلامة الصوفي ملا إبراهيم بن حسين الكردي الكوراني الشهرزوي أحد الراسخين والعلماء العاملين قرأ ببلده سائر العلوم العقلية فكانت له فيها الملكة التامة ثم قصد الحجاز وأقام في المدينة المشرفة ولقي بها الإمام العارف بالله صفي الدين الخشاشي فانتفع به ألقى له القيادة وتلمذ له وزوجه ابنته وكان الخليفة من بعده وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ممن عجن علم الظاهر بعلم الباطن ورسخت قدمه في العلمين ووقعت بينه وبين علماء فاس مراسلة في مسألة الغرانيق وفي مسألة الكسب كان صاحب الترجمة يرى أن في الكسب الذي هو رأي الأشعري ليس كما فسره السنوسي في كتبه وألف في ذلك رسالة فوقعت بين أيدي طلبة فاس فجاهروه بالنكير وواجهوه بالتخطئة وكان معتمدهم في التخطئة له الوقوف مع كلام الإمام السنوسي فقال يا سبحان الله أنا أرد على السنوسي وطلبة فاس يردون علي بقول السنوسي وطالت المنازعة بينهم في ذلك والرسالة مثبتة في الرحلة لأبي سالم مع بقية فوائد =

الشافعي[1] عن عبد الباقي الحنبلي[2]، عن مؤلفها رحمه الله تعالى.

ص:

قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأليفه بالبسملة اقتداء بكتاب الله تعالى العزيز، وبسنة رسوله ﷺ، إذ كان يفتتح كتبه بها، وبالإجماع، وعلى وجه التيمن والتبرك، ولقوله ﷺ "كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم"[3].

والمجرور متعلق بمحذوف، واختلف هل هو فعل أو اسم على اختلافهم في الجملة: هل هي اسمية أو فعلية.

والله علم على الذات الموصوفة بغاية الجلال والكمال والجمال، وهو علم الأعلام وسلطان الأسماء تضاف إليه جميع الأسماء، واختلف في اشتقاقه، وفيه كلام طويل.

وهو خاص به لفظا ومعنى، وهو الاسم الجامع لجمعه معاني الأسماء الحسنى =

فلتراجع، أخذ عنه أبو مروان السجلماسي وأجازه في سائر العلوم وأبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبو العباس بن ناصر، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام 1102هـ بالمدينة المنورة، انظر صفوة من انتشر مصدر سابق، ص 350 - 360.

(1) وفي نسخة العلامة أحمد بن الخليفة: بمنزله بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن الشيخ...

(2) عبد الْبَاقِي بن عبد الْبَاقِي بن عبد الْقَادِر بن عبد الْبَاقِي بن إِبْرَاهِيم بن عمر بن مُحَمَّد الْحَنْبَلِيّ البعلي الْأَزْهَرِي الدِّمَشْقِي المحدّث الْمقري الأثري الشهير بِابْن البدر أخذ القراآت عَن الشَّيْخ عبد الرَّحْمَن اليمني والْحَدِيث عَن الْبُرْهَان اللَّقَّانِيّ وَأبي الْعَبَّاس الْمقري وتُوفِّي لَيْلَة الثُّلَاثَاء سَابِع عشري ذِي الْحجَّة سنة إِحْدَى وَسبعين وَألف وَدفن بتربة الغرباء من مَقْبرَة الفراديس رَحمَه الله تَعَالَى. (انظر خلاصة الأثر أعيان القرن الحادي عشر، ج2 ص 283 – 285 المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

(3) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم 1210

كلها.

والرحمن من أسمائه تعالى، ومعناه ذو الرحمة العامة، وهو خاص به لفظا وعام معنى، والرحيم من أسمائه تعالى، وهو عام لفظا وخاص به معنى، ومعناه ذو الرحمة الخاصة(1)، واختلف في البسملة هل هي آية في أول كل سورة أولا، وثالثها التفصيل.

وقوة الخلاف تمنع من التكفير، كما قال ابن الحاجب(2).

والرحمن الرحيم صفتان للمبالغة، من رحم، واختلف في تفسير الرحمة، فقيل: هي رقة وانعطاف، وتقتضي التفضيل والإحسان، فهي على هذا القول من صفات الأفعال، وقيل: هي إرادة الخير، وعلى هذا هي صفة ذات؛ فالاتصاف به على القول الأول مجاز عن الإنعام لاستحالة الرقة والانعطاف في حقه تعالى لاختصاصها بالأجسام، على الثاني حقيقة.

وقد حكى بعض العلماء إجماع علماء كل ملة أن الله تعالى افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم.

وطولت الباء فيه عوضا عن الألف المحذوفة.

والاسم مشتق من السمو؛ لأنه رفعة للمسمى، وقيل: من السمة وهي العلامة.

والكلام على البسملة وفي فضلها طويل، وقد أفردت بالتصانيف.

قوله: صلى الله اختلف في هذه الجملة هل يجوز عطفها بالواو أو لا يجوز؟

---

(1) وفي هامش نسخة (أ):

وخصص الرحمن بالتقديم لأنه أخص من رحيم
فإنه بالله يختص كما بحالتي دنيا وأخرى عمما
ورحمة الرحيم كانت قاصره قيل على الدنيا وقيل الآخره

(2) هو الشيخ الإمام العلامة المقرئ الأصولي الفقيه النحوي جمال الأيمة والملة والدين ابن عمر عثمان بن عمر الكردي الدويني الأصل الإسنائي المولد المالكي صاحب التصانيف ولد سنة 570هـ وكان أبوه حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي وكان من أذكياء العالم في العربية وعلم النظر وتفقه على أبي منصور الأبياري وغيره وتوفي 27 شوال سنة 640هـ انظر سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي الجزء 23 ص265-266 ط 1422هـ / 2001م

قال شارح الدرر اللوامع: الأولى أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد، بغير واو؛ لأن الأولى جملة خبرية، وصلى الله جملة طلبية؛ لأن معناها الدعاء، ولا مناسبة بينهما، والأولى في الجمل التناسب، والصلاة في اللغة الدعاء، تطلق ويراد بها الحقيقة الشرعية ذات ركوع وسجود، مشتقة من قولهم: صليت العود إذا قومته؛ لأنها يقام بها العبد لربه. وقيل: من الصلوين وهما عرقان ينحنيان في الكتف. وقيل: من الصلة؛ لأنها صلة بين العبد وربه.

قوله: على سيدنا، السيد الشريف وسيد القوم هو الذي إذا نابهم أمر لجأوا إليه، وهو ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، كما أخبر به ﷺ.

وأصله: سيود، فقبلت الواو ياء فأدغمت في الياء، كيمت.

ومحمد اسم عربي على وزن مفعل للمبالغة؛ لأنه ﷺ أكثر المخلوقات محامد وأكثرهم أوصافا حميدة، ومن اسمه المبارك استخرج منه عدد المرسلين وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل أربعة عشر، وسبب الخلاف: هل هو جاء ممدودا أو مقصورا(1).

قوله: وآله، اختلف في آله، فقيل: أهل بيته، وقيل: من آمن به واتبع سنته، والصحيح عند الإمام مالك رضي الله عنه أنهم بنو هاشم الذين تحرم عليهم الصدقة، وقيل: بنو هاشم والمطلب، وقيل غير ذلك(2)، وهي أقوال كثيرة، واختلف في أصل آل، فقيل: أصله أهل فأبدلت من الهاء الهمزة كما قيل في أرقت أصله هرقت، ونسب لسيبويه(3).

---

(1) انظر لقط الدرر في شرح نخبة الفكر، تأليف عبد الله بن الحسين، خاطر السمين العدوي الشافعي، الطبعة 1، شركة، مصطفى البابي ط 1356 -1938، ص: 17

(2) لقط الدرر، مصدر سابق، ص: 17

(3) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه وذكره الجاحظ يوما فقال: لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله وجميع كتب الناس عليه عيال قال الجاحظ أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت إليه قلت له: لم أجد شيئا أهديه لك مثل =

وأول تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فوجب قلبه ألفا ونسب للكسائي[1] وابن النحاس[2] فقيل: لا يضاف إلا إلى الظاهر ولا يجوز إضافته إلى الضمير، والصحيح أنه يجوز إضافته إلى الضمير، والصحيح أنه يجوز إضافته إلى الضمير كما وقع هنا، وشاهده قول عبد المطلب في أصحاب الفيل حين دعا عليهم:

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

البيت.

قوله: وصحبه، اختلف في الصحابي، فقيل: من طالت صحبته له، قال ابن الصلاح[3]: ولم يثبت هذا القول، وقيل: من صحبه عاما وغزى معه، وهو قول =

هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال: والله ما أهديت لي شيئا أحب إلي منه. وتوفي في قرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة وعمره نيف وأربعون سنة، انظر وفيات الأعيان ج3، ص 436 المرجع السابق.

(1) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي المعروف أحد القراء السبعة كان إماما في النحو واللغة والقراءات ولم تكن له في الشعر يد حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب، وله مناظرة مشهورة مع سيبويه وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وكان خرج إليها صحبة هارون الرشيد، انظر وفيات الأعيان ج3 ص 297

(2) هو النحوي أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل ابن يونس المرادي النحاس النحوي المصري كان من الفضلاء وله تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن وتفسير أبيات سيبوية ولم يسبق إلى مثله توفي بمصر يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج1، ص 100 مرجع سابق.

(3) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمر عثمان بن مفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي صاحب علوم الحديث ولد سنة 577هـ وتفقه على والده بشهرزور وسمع من فخر بن عساكر وغيره وكان من فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وله مشاركة في عدة فنون كان ذا جلالة عجيبة ووقار وهيبة وفصاحة وعلم نافع وكان متين الديانة صحيح النحلة كافا عن الخوض في مزلات الأقدام سمع الكثير بمرو من محمد بن إسماعيل السوسي.

=

سعيد بن المسيب.

والصحيح أن كل من اجتمع معه ﷺ مؤمنا فهو صحابي، وهو المشهور.

قوله: وسلم تسليما، لفظه لفظ الخبر، والمراد به الدعاء كما تقدم في صل، والمعنى اللهم صل وسلم، واشتقاق السلام يحتمل وجهين: إما السلامة وهو مصدر، أو من السلام الذي هو اسم من أسمائه تعالى، فمعناه على الأول: سلمه الله من الآفات، وعلى الثاني: ألقى الله عليه سلامه.

قال القاضي عياض[1]: ومن مواطن الصلاة على النبي ﷺ بعد البسملة، ولم يكن في الصدر الأول، وإنما أحدث عند ولاية بني هاشم واستمر عليه عمل المسلمين؛ فصار إجماعا.

وأما حكم الصلاة عليه ﷺ فذكر القاضي في الإكمال: أنها فرض على الأعيان إلا ما جاء عن الطبري[2] أنها تندب على وجه السنة وتؤول قوله بأنه بعد إيقاع المرة =

توفي رَحِمَهُ اللهُ في الخوارزمية سحر يوم الأربعاء 25 ربيع الآخر سنة 643هـ وحمل على الرءوس وازدحم الخلق على سريره وكان على جنازته هيبة وخشوع وصلي عليه بجامع دمشق ودفن بمقبرة الصوفية وعاش 66 سنة (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج23 ص 140 - 144 الطبعة 1422هـ / 2001م)

(1) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو ابن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها: الإكمال في شرح كتاب مسلم كمل به، المعلم شرح مسلم للمازري مشارق الأنوار وهو كتاب مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختصر بالصحاح ثلاثة الموطأ والبخاري ومسلم.

وبالجملة فكل تواليفه بديعة وكان مولده بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الأخيرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ج3، ص 485.

(2) الطبري هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام الأعلم المجتهد عالم العصر أبو جعفر الطبري صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستان مولده سنة 224هـ وطلب العلم بعد 240هـ وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة التصانيف قل أن ترى العيون مثله، واستقر في أواخر أمره ببغداد وتوفي عشية الأحد 02 شوال سنة =

الواحدة التي يسقط بها الفرض، واختلف في محل الفرض: فذهب الإمام مالك إلى أنها فرض مرة في العمر، وذهب الإمام الشافعي إلى أنها فرض في الصلاة، وهو قول ابن المواز(1) من المالكية، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنها فرض عند سماع ذكره، وهذا في الصلاة على النبي ﷺ، وأما على غيره فحكي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلاة إلا عليه خاصة صلى الله عليهم، وذهب سفيان(2) إلى أنها لا تجوز إلا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى غيرهم تبعا لهم لا على الاستقلال، واختاره القاضي عياض وهو المشهور الصحيح. وقيل: تجوز على كافة المؤمنين، وهو قول يحيى بن يحيى(3). انتهى.

والكلام في الصلاة عليه ﷺ وفضلها أكثر من أن يحصى ﷺ عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم تسليما كثيرا.

***

310هـ ودفن في داره ببغداد، (انظر سير أعلام النبلاء ج17 ص 268 - 282 مصدر سابق)

(1) هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن المواز القرطبي الفقيه في مذهب مالك، له فيه تأليف مشهور وروى عن يحي بن يحي وتوفي حدود الأمير عبد الله انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية لبنان ط، 1 ج1، 1424هـ/2003م، ص 114

(2) سيفان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن مسروق بن حبيب بن رافع ابن الحارث بن ثعلبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان الثوري كان إماما في علم الحديث وغيره من العلوم وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين ولد في سنة خمس وقيل سبع وتسعين للهجرة وتوفي بالبصرة أول سنة إحدى وستين ومائة وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2 ص 386

(3) يحي بن يحي الليثي هو أبو محمد يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس ابن شمال بن منغايا الليثي أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة تولى بني ليث فنسب إليهم وجده كثير يكنى أبا عيسى وهو الداخل إلى الأندلس وسكن قرطبة وسمع من زياد اللخمي المعروف بشطبون القرطبي موطأ مالك وتوفي رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة ابن عباس، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج6 ص 143

مقدمة الناظم

ص:

يقـــول أحمـــد الفقـــير المقـــري المغـــربي المـــالكي الأشـــعري

ش: اتبع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ البسملة والصلاة على النبي ﷺ وآله وصحبه التعريف بنفسه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ليعلم ذلك من يقف على كتابه، وهو من الأمور المهمة.

والفقير هو المحتاج الذي لا شيء معه، والفقر وصف لازم للعباد كما أن الغنى وصف كمال للإله تعالى، قال الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾.

قوله: المقري: بفتح الميم وتشديد القاف وياء النسبة، وهي نسبة لقرية قديمة بتلمسان عمرها الله تعالى، موصوفة بالجلالة في العلم ونباهة في القدر من العلماء المحققين والأئمة الأجلاء، منهم صاحب الكليات الفقهية[1] رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، ومنهم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو الإمام العلامة، حافظ عصره، وفريد دهره، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني أصلا، ونشأ ببلدة تلمسان عمرها الله تعالى. وقرأ بها على عمه سعيد بن أحمد المقري[2] وغيره من علمائها،

(1) يعني به المقري الجد صاحب القواعد الفقهية

(2) المقري بقاف مفتوحة وراء مشددة نسبة لمقرة من قرى بلاد تلمسان كان رَحِمَهُ اللَّهُ إماما في العلوم أقام مفتيا بتلمسان ستين سنة أخذ عن شيوخ فاس كابن الونشريسي والزقاق وغيرهم، أخذ عنه جماعة كأحمد بن القاضي وسعيد قدورة وابن أخيه أبو العباس المقري وكان يحدث عن عمه صاحب الترجمة بكرامات منها: أنه لما أراد أن يخرج من تلمسان قال له عمه إنك ستلي الفتوى والخطابة بجامع القرويين خمسة أعوام وخمسة أشهر فكان كذلك ولد قبل الثلاثين وتسعمائة وتسع وتوفي سنة 1010هـ (انظر صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تأليف محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الافراني، تقديم تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 1425هـ/ 2004م، ص 101.

وأخذ عن الإمام محمد بن قاسم الشهير بالقصار[1] الفاسي وطنا الغرناطي أصلا، وتمهر في العلوم أصولها وفروعها وعلم المعاملات وأحوال القلوب والتصوف، ويظهر من كلامه أنه من أرباب الذوق، نفعنا الله تعالى به، ثم رحل إلى المشرق وحج، وجاور، وأقرأ العلوم بالحرمين الشريفين، وتصدر فيها، ثم رجع إلى مصر واستوطن القاهرة وتصدر بالجامع الأزهر عمره الله تعالى، وانتهت إليه رئاسة المالكية، وألف هذا النظم، وأخذ عنه، ووضع الله له القبول كما هو شأن الصالحين، وتخرج به جماعة من العلماء الفضلاء، كما قال تلميذ تلامذته الإمام أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري المالكي ومنهم: أبو صلاح شيخ الإفادة والتربية علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي، وشيخ الوعظ والتذكير نوح[2] بن مصطفى الحنفي، والخطيب[3] أبو القاسم بن جمال الدين القيرواني، ومنهم عبد

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم القصار الغرناطي الأصلي الفاسي النشأة والدار قدم أبوه من غرناطة حين استولى عليها العدو سنة 897هـ وسبب اشتهاره بالقصار أن رجلا قصارا كان مقدما على بعض أجداده بالوصية فجرت الشهرة عليه بذلك وكان رَحِمَهُ اللهُ متبحرا في جميع العلوم من معقولها ومنقولها وإليه كانت الرحلة والمفزع في حل العويصات وهو مع ذلك على قدم أهل الورع مصحوبا بالخشية والمراقبة لا يملك دمعه إذا ذكر الله، ذو مروءة وسمت حسن ولين جانب وتواضع منصفا في المباحثة يدور مع الحق حيث دار، وكانت وفاته في رمضان سنة 1012هـ وله فوائد كثيرة تطلب من كتابنا نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، مصدر سابق، انظر صفوة من انتشر:ص 61 - 65

(2) هو الإمام العالم العلامة سابق حلبة العلوم اشتهر علمه في علوم عديدة سيما التفسير والفقه والأصول والكلام وكان حسن الأخلاق جم الفضائل ولد ببلاده ثم رحل إلى مصر وأخذ عن العلامة أبي العباس المقري وأخذ الفقه عن العلامة عبد الكريم السوسي وقرأ علوم الحديث رواية ودراية على محدث مصر محمد حجازي الواعظ، وألف مؤلفات كثيرة منها: حاشية على الدرر والغرر والقول الدال على حياة الخضر والأبدال، وله رسائل بمصر وكانت وفاته بمصر سنة 1070هـ (انظر خلاصة الأثر، مصدر سابق، 459)

(3) هو أبو القاسم جمال الدين محمد خلف المسراتي القيرواني الشيخ الجليل العلم حامل راية العلوم باليمين مع صلاح مكين وعفاف ودين متين، أخذ عن أبي العباس أحمد المقري وأجازه في جميع مؤلفاته وروايته وأجازه النور الأجهوري والشيخ الدشطوطي البكري وعنه أخذ عيسى الثعالبي وحج مرات ومات بمصر في صفر سنة 1065 انظر شجرة النور الزكية ص =

الباقي الحنبلي وغيرهم ﷺ، وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ اليد الطولى في علوم الحديث والتفسير وفنون البلاغة، وحكي لي عن بعض معاصريه إن لم أكن سمعته منه أن ميزاب الرحمة من الكعبة شرفها الله تعالى انهدم فبني مرات ولم يستماسك بل كلما بني انهدم، فأعيا ذلك السلطان فاستفتى علماء الإسلام عن ذلك فلم يجد أحدا يفتيه إلا الناظم فأفتاه بأنه لا يتماسك إلا أن يبنى بالحلال ولا حلال اليوم إلا صداق الحرة فبناه بذلك فتماسك فأمر السلطان بإشخاصه إليه فدس إليه بعض الحسدة سما في فاكهة فمات بها، وأظنه في عشر الخمسين بعد الألف، والله أعلم بصحته.

قوله: المغربي[1] نسبة إلى المغرب وطنا.

قوله: المالكي[2] نسبة إلى الإمام مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مذهبا.

قوله: الأشعري نسبة إلى شيخ السنة الأشعري معتقدا[3].

= 442 مصدر سابق

(1) وهو القطر المعروف يطلق على المغرب الأقصى والمتوسط والأدنى وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (وهم أهل الغرب)، صحيح مسلم رقم الحديث 1320 وذكر محمد اليدالي في شرحه على صحيح مسلم أن هذا الحديث وارد في أهل هذه البلاد وذكر ثلاث تفسيرات للغرب فقال:

- إما مغرب الشمس وأهل هذه البلاد في منتهى الغرب على شاطئ المحيط
- وإما الدلو العظيمة ولا أحد في العالم أكبر منا دلاء
- وإما القوة وأهل هذه البلاد فيهم الأقويا وذكر منهم الأمير أعمر المختار، وذكر قصته المعروفة. من شرح محمد اليدالي على صحيح مسلم (مخطوط)

(2) معناه أنه يقلد الإمام مالك فيما ذهب إليه من المسائل الاجتهادية الظنية

(3) معناه أنه يوافقه فيما ذهب إليه من المسائل لا أنه يقلده لأن العقائد لا يقلد فيها وسنبين ذلك إن شاء الله

ص:

الحمـــــد لله الـــــذي توحيـــــده أجـــل مـــا اعتـــنى بـــه عبيـــده

ش: ابتدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحمد اقتداء بكتاب الله تعالى واتباعا لقوله ﷺ: "كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بالحمد فهو أجذم" أي ناقص البركة، وإن تم حسنا، ولما روي أن الحمد لله ثمانية أحرف من قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية[1]، ومعنى الحمد هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته سواء كانت من باب الفضائل[2] أو من باب الفواضل[3]، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالحمد أخص موردا وأعم متعلقا، والشكر بالعكس، هذا طريقة الشيخ في الفرق بينهما، وهي طريقة سعد الدين التفتازاني[4] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والألف واللام في الحمد يحتمل العهد والاستغراق، ومعنى العهد فيه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما علم عجز خلقه عن حمده حمد نفسه في أزله ثم أمر خلقه أن

---

(1) هذا الكلام ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره وعزاه لابن الخطيب انظر تفسير فخر الدين الرازي الجزء1 ص 180 دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ/2000م

(2) وفي هامش نسخة (أ) الفضائل هي المزايا الذاتية التي لا يتوقف تحقيقها على تعلقها بالغير كالعلم والقدرة وقال العلامة عبد الله بن الحاج حمى الله: الفضائل هي ما يلزم الإنسان ولا ينتقل عنه إلى غيره كالكرم والشجاعة وهي كل خصلة ذاتية

(3) الفواضل: وفي هامش نسخة (أ) الفواضل هي المزايا المتعدية التي يتوقف تحقيقها على تعلقها بالغير كالخلق والإعدام قاله في المزيد العابد على دليل القائد، وقال العلامة عبد الله بن الحاج حمى الله، الفواضل هي ما ينقل كالإعطاء وهي المزية المتعدية.

(4) هو مسعود بن عمر بن عبد الله بن الشيخ سعد الدين التفتازاني الإمام العلامة عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيره شافعي قال ابن حجر ولد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وأخذ عن القطب والعضد وتقدم في الفنون واشتهر ذكره وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه وله شرح العضد شرح التلخيص - مطول وآخر مختصر - وله شرح العقائد والمقاصد في الكلام شرحه، شرح الشمسية في المنطق مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جلال الدين السيوطي، ج2 ص 285، تحقيق محمد أبو الفضل المكتبة العصرية لبنان.

يحمدوه بذلك يشير إلى قوله ﷺ "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"(1) ومعنى الاستغراق أن جميع المحامد له تعالى قديما كان أو حادثا، وذلك أن الحمد أربعة أقسام:

- ثناؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه
- ولخواص عباده
- وثاء العباد عليه تعالى؛
- وعلى العباد؛

والكل له تعالى. فالأولان وصفه، والأخيران فعله، لا شريك له في شيء من ذلك.

وقسم بعضهم الحمد إلى لغوي واصطلاحي، والشكر أيضا إلى لغوي واصطلاحي: وعرف الحمد اللغوي بالوصف بالجميل على جهة التعظيم سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل، والحمد اصطلاحا والشكر الاصطلاحي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق له، وعلى هذا فالنسب ست نسبات الحمد لغة إلى الثلاث بعده ونسبة الحمد اصطلاحا إلى اثنين بعده ونسبة الشكر لغة إلى الشكر اصطلاحا، ونظمها شيخ شيوخينا(2) سيدي علي الأجهوري(3) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

---

(1) صحيح مسلم حديث رقم 222 و486ج1

(2) يقصد بذلك أنه من شيوخ شيخه عبد الله بن الفقيه محمد بن حبيب الشهير بالقاضي العلوي وذلك أنه عندما حج وزار مر بمصر والتقى بعلي الأجهوري كما أن الأجهوري أيضا من شيوخ الزرقاني والخرشي اللذين قدمنا أن الشارح تلقى إجازات منهما بالمراسلة.

(3) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن العلامة الكبير عبد الرحمن الأجهوري بضم الهمزة شيخ المالكية في الديار المصرية بل في الدنيا كلها فكانت الفتاوى تبعث له من المغرب الأقصى ويعتمد أهل مراكش على فتواه حسب ما ذكره أبو العباس أحمد الأندلسي في رحلته وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ متبحرا في العلوم ثبتا في النقل مؤيدا في الفهم مع الدين المتين والورع التام ومن ورعه أنه كان لا يلبس نعال مصر لأنه يباع بالمكس بل كان يذبح عنزا من ملكه ويتخذ له منها نعلا ويلبس نعال المغاربة لعدم تحققه بها بناء على أن الحلال ما جهل أصله وحكي أنه كان يتلاقى مع الشيخ خليل صاحب المختصر يقظة فيسأله عن المسائل ويباحثه فيها ويقال إنه رأى النبي ﷺ =

إذا نسبة للحمد والشكر رمتها بوجه له عقل اللبيب يؤالف
فشكر لدى عرف أخص جميعها وفي لغة للحمد عرفا يرادف
عموم لوجه في سواهن نسبة وذا نسب ست لمن هو عارف

ومعنى الأبيات أن الشكر الاصطلاحي أخص مطلقا من الأقسام الباقية وهي الشكر اللغوي والحمد بقسميه والشكر اللغوي والحمد الاصطلاحي مترادفان وهو مع الحمد اللغوي بينهما عموم وخصوص من وجه؛ فالنسب إذا ست: ثلاثة للشكر الاصطلاحي واثنان للشكر اللغوي وواحد بين الحمدين، والكلام في الحمد والشكر طويل، وهذا خلاصته والحمد لله.

قوله: الذي توحيده أجل ما اعتنى به عبيده، أي معرفة توحيده تعالى وانفراده بالكمال المطلق أجل أي أعظم ما اعتنى به أي ما تهتم به عبيده، ومعنى البيت أن علم توحيده تعالى هو أفضل ما اشتغل به عباده؛ لأن علم التوحيد أفضل العلوم وهي أساسها ورأسها، والعلوم كلها فرع عنها، ولا شك أن الأصل أفضل من الفرع، وسيتكلم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على بعض فضله، وإنما صدر بهذا في أول البيت مراعاة لبراعة الاستهلال، وهي أن يأتي المتكلم في أول كلامه بما يدل على مقصوده، وقد فعله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ص:

العالم الحي القديم الباقي القادر الغني بالإطلاق
مرشدنا من فضله وجوده بصنعه المعرب عن وجوده

=

في النوم فقال له: "إنك من السبعين أو آخر السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب"، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاكفا على تدريس العلم ونشره مواظبا على ذلك وله تآليف منها: شرحان على المختصر وحاشية على الرسالة وتأليف في عاشراء وشرح ألفية العراق في السيرة وتأليف في المعراج وغير ذلك، أخذ عن البدر القرافي مؤلف تكملة الديباج ولد بمصر سنة 975- وتوفي عام 1066هـ عن سن عالية قرب المائة، انظر صفوة من انتشر مصدر سابق / ص 229 - 230.

سبحانه جل عن النظائر وكل ما يخطر في الضمائر

ش: هذه الأبيات الثلاثة فصل فيها ما ابتدأ به من براعة الاستهلال، وذلك أن علم التوحيد على ثلاثة أقسام: ما يجب له تعالى، وما يجوز عليه، وما يستحيل عليه.

فأشار بالبيت الأول إلى الواجب في حقه تعالى، وهي عشرون صفة، بقوله: العالم، تضمن تسع صفات له تعالى وهي: وجوده، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، ولوازمها وهي: كونه عالما وسميعا وبصيرا ومتكلما، وبيان ذلك أن معنى العالم: المتصف بالعلم، وذلك متوقف على الوجود؛ لاستحالة اتصاف المعدوم بالعلم، فيدخل في العلم السمع والبصر على أحد قولي الأشعري الذي جعل الانكشاف بهما عين انكشاف العلم، ويدخل في العلم أيضا الكلام؛ لأن كل عالم بشيء له كلام تابع لعلمه.

وقوله: الحي المتصف بالحياة يدخل فيه لازمه وهو كونه حيا

وقوله: القديم الباقي أي المتصف بالقدم والبقاء أي نفي المعنى السابق واللاحق، ومعناهما استحالة العدم مطلقا.

وقوله: القادر أي المتصف بالقدرة، فيدخل فيه الاتصاف بالإرادة والوحدانية؛ لأن تأثير القدرة متوقف على الصفتين، فيستحيل دونهما، فيدخل فيه خمس صفات.

وقوله: الغني بالإطلاق، أي المستغني عن غيره على الإطلاق، وسواء كان ذلك الغير قديما أو حادثا، يدخل فيه صفتان وهي مخالفته تعالى للحوادث وقيامه تعالى بنفسه.

قوله: مرشدنا من فضله... البيت، ومعنى المرشد في حقه تعالى خالق الإرشاد والإيمان في القلب.

قوله: من فضله وجوده، من تفضله وتكرمه، أي تفضلا منه تعالى وتكرما، وقد يكون المرشد في حقه تعالى المبين، كما قال تعالى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾، وكما قال تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، أي بينا لهم الحق من الباطل، وهو بهذا المعنى يلازم

قوله: بصنعه المعرب عن وجوده، أي بفعله المعرب المبين المفصح عن معرفة وجوده وبفعله تعالى وآثار صنعه استدل به على وجوده وجميع صفاته إلا من خلق الله تعالى له ابتداء علما ضروريا بذلك قبل الاستدلال بالآثار فيجوز ذلك ولكن لا يكون ذلك إلا لأفراد الخواص ممن تمم الله عليه نعمته بالنبوءة أو الولاية الخاصة باسم أهل التدلي والأولون أهل الترقي، وبينهما بون بعيد كما قال صاحب الحكم: شتان ما بين من يستدل به وبين من يستدل بصنعه عليه، المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟! ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟! انتهى.

قوله: بفعله، يدخل فيه جميع أفعاله من بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يجب له وما يستحيل وما يجوز، وخلق الثواب والعقاب والجنة والنار والصراط والميزان وغير ذلك مما تفاصيله يتبين في هذا النظم إن شاء الله.

قوله: جل عن النظائر، أي جمع النظير[1] وهو المثل[2] والشبه[3]، يدخل فيه المستحيلات في حقه تعالى، وتفاصيلها تأتي إن شاء الله.

وقوله: وكل ما يخطر في الضمائر، أي يتنزه تعالى عن كل ما يتصور في الضمائر، وهي الأذهان والأفكار والخيال بجميع ما يخطر أي ما يقع تصوره في الضمير فهو مخلوق مثلك، فالله ﷻ بخلاف ذلك، فهذه الكلمة جليلة القدر عند العارفين حتى صرحوا بأنها كافية في علم التوحيد، فانظر كلام الشيخ فيها في شرح الحوضي[4] ترى

---

(1) النظير: المشارك في الصفات كلها أو بعضها

(2) المثيل: المشارك في كلها

(3) الشبيه: المشارك في جلها والله تعالى جل عن النظير والمثيل والشبيه لا نظير ولا مثيل ولا شبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾ من شرح العلامة عبد الله بن الحاج حماه الله على إضاءة الدجنة، ص 2 مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط محمد أحمد بن الخضر بن عبد القادر العلوي، كتبها عام 1302هـ في مدينة تجكجة

(4) هو محمد بن عبد الرحمن الحوضي الفقيه الأصولي التلمساني كان عالما شاعرا مكثرا له نظم في العقائد وتأليف في الصلاة على النبي ﷺ توفي في ذي القعدة عام 910- (انظر كفاية المحتاج ج1 ص 221 مصدر سابق)

عجبا(1).

ص:

وأفـــضل الـــصلاة والـــسلام لمـــن حـــوى جوامـــع الكـــلام
وأفهـــم الحـــق ذوي الأذهـــان وأفحـــم الخـــصوم بالبرهـــان
وحـــض كـــل النـــاس أن يقولـــوا شـــهادة تزكـــوا بهـــا العقـــول
فمـــن أجـــاب نـــال خـــيرا جذلـــه ومـــن أبى أذلـــه وجدلـــه

(1) قال السنوسي في شرحه على الحوضي عند قول الحوضي "وكلما يخطر في الجوانح...الخ البيتين، هذا ضابط حسن نافع في توحيد الله تعالى وتنزيهه عن سمات الحوادث وهذا الضابط - وإن كان معناه مفهوما مما سبق في وجوب مخالفته تعالى للحوادث في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ومما سبق في وجوب وحدانيته جل وعلا وأنه لا ثاني له ولا نظير في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله – قد حسن ذكره هنا لأنه كالنتيجة عما عرف من الواجبات فيما سبق وكَالْفَذْلَكَةِ لما انتشر من جزئيات التوحيد وفيه تنبيه بالخصوصية على التحذير مما يتسارع إليه الخيال في حق مولانا تبارك و تعالى – لما حجبت عنه الابصار- من إحضاره بصورة ما ألفه من المحسوسات الجسمية أو الجسمانية وقد وقع في الكفر أو البدعة بسبب الجهل بهذا الضابط كثير من جهلة المتعبدين فتجدهم يتخيلون في حقه تبارك و تعالى حال صلاتهم وذكرهم لله تعالى لما في قلوبهم من الحرص على حضورهم مع الله تعالى – صورا جميلة فائقة الجمال من جنس الحوادث يقصدونها بالعبادة والركوع والسجود ويحنون إليها ويبكون شوقا إليها وذلك والعياذ بالله تعالى عين عبادة الأصنام إلا أنها أصنام خفية منصوبة أمامهم في الباطن كالأصنام المنصوبة عند الكفار أمامهم في الظاهر فلو لم يعرف المومن من قواعد التوحيد سوى هذه القاعدة لا انتفع بها انتفاعا كبيرا ومنعته من تلبيس الشيطان عليه في باطنه وظاهره لأمر يتنزه عنه مولانا تبارك وتعالى فإنه إذا عرف أن جميع الصور المتخيلة على أي وجه تخيلت لا تخرج عن جنس الأجرام و أعراضها؛ نزه مولانا جل وعز عن كل ما يخطر بالبال من ذلك وإذا لبس الشيطان عليه في الظاهر في صورة من تلك الصور تجلت له في الهواء أوفي غيره وأوهمه أن تلك الصورة هي مولانا - تبارك وتعالى - استعاذ بالله تعالى من ذلك وعرف أنه من الشيطان ". انتهى. من شرح السنوسي على واسطة السلوك لتلميذه عبد الرحمن الحوضي، ص: 113-114 بعناية نزار حماد دار ابن عرفة تونس

صلى عليه الله ما الحق اعتلى   و آله وصحبه ومن تلا

ش: يعني أن أفضل صلوات الله وسلامه حاصلة لمن حوى أي جمع جوامع الكلام أي الكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كذلك[1] حتى قال الأئمة رضي الله عنهم: إن حديثا واحدا من كلامه ﷺ يشتمل على جميع أحكام الإسلام، وبعض الأئمة جعل ذلك في حديثين، وبعضهم في ثلاثة، وبعضهم في أربعة.

وقال الشيخ أبو محمد[2] في رسالته: وجماع آداب الخير وأزمته تتفرع عن أربعة أحاديث[3] وهذا من خصائصه ﷺ.

---

(1) وقد جمع جَمْعٌ من الحفاظ نبذا من جوامع كلمه ﷺ وأوعب ما وقفت عليه من ذلك ما ذكره القسطلاني رحمه الله في المواهب وجمع الحافظ علي القاري منها أربعين حديثا ونحن نذكرها هنا تميما للفائدة.

"الأيمن فالأيمن" رواه الشيخان عن أنس، "الإيمان يمان" رواه الشيخان عن ابن مسعود، "أرحامكم أرحاكم" ابن حبان عن أنس، "اشفعوا تؤجروا" ابن عساكر عن معاوية، "أعلنوا النكاح" أحمد عن أبي الزبير، "تهادوا تحابوا"... الخ أبو يعلى عن أبي هريرة. انظر نيل السول من شمائل الرسول ﷺ لشيخنا حفظه الله ص 63 ط الأولى 1422هـ / 2001م

(2) هو الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ويقال له مالك الأصغر ولد سنة310هـ قال عنه القاضي عياض حاز رياسة الدين والدنيا وكثير الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد بتواليفه تفقه على فقهاء القيروان وأخذ عن محمد بن مسرور الحجام والعسال وحج فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي ومن تصانيفه النوادر والزيادات في نحو مائة جزء واختصر المدونة وعلى هذين الكتابين المعول في الفتيا في المغرب، وصنف كتاب العتبية، وكتاب الرسالة وقيل إنه صنف الرسالة وهو ابن 17 سنة وكان على طريق السلف في الأصول توفي رحمه الله سنة 386هـ (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج17 مصدر سابق، ص 10 – 13

(3) قال ومنها: قول النبي ﷺ "من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

- وقوله ﷺ "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".
- وقوله ﷺ "لا تغضب"
- وقوله ﷺ "المؤمن يحب لأخيه المومن ما يحب لنفسه".

قال زروق في شرحه على الرسالة عند تقريره لهذا المحل وأما الحديث الأول فخرجه مسلم =

والصلاة من الله على رسوله زيادة إكرام وتشريف، والسلام زيادة تأمين وإعظام.

واتفق كثير من العلماء على كراهة إفراد الصلاة عليه دون السلام، قال الحافظ ابن حجر(1): وفيه نظر.

ثم أتبع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ الحمد بالصلاة على النبي ﷺ أداء لبعض حقه إذ ببركته ﷺ حصلت هذه النعم التي لاتتناهى لأنه واسطة بين الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعباده، واتباعا لقوله ﷺ: " كل كلام لم يبتدأ فيه بذكر الله تعالى ثم بالصلاة علي فهو

=

وأما الحديث الثاني فخرجه الترمذي من كتاب الزهد وقد قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا في ما يعنيه).

وأما حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فرواه مالك في الموطإ مرسلا ووصله الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال حديث حسن، وأما الحديث الثالث فخرجه السبخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا قال يا رسول الله أوصني قال: "لا تغضب" وكررها مرارا لا تغضب، وأما الحديث الرابع ففي المتفق عليه "والذي نفسي بيده لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه".

وهذه الأحاديث الأربعة قيل مدار الدين عليها وقيل غيرها. (انظر شرح زروق على رسالة بن أبي زيد ج2 ص 359 – 360 دار الفكر 1402هـ/1882م.

(1) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي المعروف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة ولد في ثاني عشر شعبان سنة 773 بمصر ونشأ بها يتيما في كنف أحد أوصيائه فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ثم حفظ العمدة وألفية الحديث للعراقي والحاوي الصغير ومختصر ابن الحاجب وله تصانيف كثيرة منها:

- فتح الباري على شرح صحيح البخاري وكان شروعه في تصنيفه سنة 817هـ على طريق الإملاء ثم صار يكتب من خطه ويداوله بين الطلبة شيئا فشيئا وكانت وفاته في أواخر ذي الحجة سنة 852هـ وكان له مشهد لم ير مثله من حضره من الشيوخ فضلا عمن دونهم وشهده أمير المومنين والسلطان وقدم الخليفة للصلاة عليه ودفن بالقرافة وتزاحم الكبراء والأمراء على حمل نعشه، انظر الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ج1، ص 87، دار المعرفة بيروت.

أقطع ممحوق من كل بركة". أخرجه الديلمي[1] وأبو موسى المديني[2] والخليلي.[3] والرهاوي[4] في الأربعين، قال السخاوي[5]: وسنده ضعيف،

---

(1) هو الإمام العالم المحدث المفيد شهر دار بن شيرويه الديلمي كان حافظا عارفا بالحديث عارفا بالأدب ظريفا من منصفاته مسند الفردوس، توفي سنة 558- (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج2، ص 277 مصدر سابق).

(2) هو الإمام الحافظ الكبير الثقة شيخ المحدثين أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصبهاني الشافعي صاحب التصانيف ولد سنة 501- وألف معجما روى فيه عن أكثر من 300 شيخ وكتاب ذيل معرفة الصحابة وكتاب اللطائف في رواية الكبار وغيرهم عن الصغار، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ جمادى الأولى سنة 581- (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج21 ص 152 مصدر سابق).

(3) هو القاضي العلامة الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن الخليل الخليلي القزويني مصنف كتاب الإرشاد في معرفة المحدثين وهو كتاب كبير سمع من علي بن أحمد بن صالح القزويني ومحمد بن إسحاق الكيساني والقاسم بن علقمة وروى بالإجازة عن أبي بكر بن المقرئ وأبي حفص بن شاهين وطال عمره وعلا سنده حدث عنه شيخه أبو ببكر لال وولده أبو زيد واقد بن الخليل وإسماعيل وكان ثقة حافظا عارفا بالرجال والعلل كبير الشأن، توفي بقزوين في آخر سن 446- (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج17 ص 666 - 667 مرجع سابق).

(4) هو الحافظ أبومحمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي ولد بالرهى بجمادى الأخيرة سنة 536هـ ونشأ بالموصل وطلب العلم وهو ابن نيف وعشرين سنة ورحل إلى البلاد النائية ولقي كبار العلماء وعني بالحديث أتم عناية وسمع بأصبهان من مسعود بن الحسن الثقفي والحسن بن العباس الرستمي والحافظ أبي موسى المديني وغيرهم وجمع وصنف وألف: الأربعين المتباينة الإسناد والبلدان وهذا شيء لم يسبقه إليه أحد ومن نظر فيه علم سعة الرجل في الحديث وحفظه لكنه تكرر عليه ذكر أبي إسحاق السبيعي وذكر سعيد بن محمد البجيري ونبه على ذلك المزي.

وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى سنة 612هـ وعمره 76 سنة (انظر سير أعلام النبلاء ج16 ص 179 مصدر سابق).

(5) هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي نسبة إلى سخا شمال مصر الشافعي ولد سنة 831- محدث أصولي مفسر مؤرخ ولد وعاش في

نقله الخطابي[1].

ثم بين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بعض النعم التي حصلت ببركته ﷺ بقوله: وأفهم الحق ذوي الأذهان، أي وأفهم الصواب لذوي العقول؛ إذ وجد ﷺ جميع الخلق من أهل الملل والنحل ضلت عقولها عن الصواب في حقه تعالى، أما أهل الملل كأهل الكتاب فاعتقدوا عبادة غير الله تعالى كعزير والمسيح واعتقدوا التجسيم والنبوءة والاتحاد والتعدد فبين ﷺ بطلان ذلك كله وانفراده تعالى بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا ولد ولا صاحبة، وأما أهل النحل فاعتقدوا ألوهية غير الله تعالى من الأصنام والأحجار والنيران ومنهم من يعبد الشمس والقمر والطواغيت، فبين ﷺ بطلان ذلك كله وأن الإله واحد لا شريك له ولا معين ولا وزير.

قوله: وأفحم الخصوم بالبرهان، أي قطع جدال من خاصم وجادل بالباطل بالبرهان[2] وهو الدليل القاطع المركب من المقدمات اليقينية.

قوله: وحض كل الناس أن يقولوا شهادة أي وحث جميع الناس أن يقولوا شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ﷺ، تزكو أي تنموا بتلك الشهادة عقولهم بمعرفة الحق على ما هو عليه إذ بذلك يتضح اتصافهم بكمال المعرفة التي هي =

القاهرة وتوفي المدينة المنورة وصنف أكثر من مائتي كتاب منها: المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الأخبار المكللة في الأحاديث المسلسلة، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية وغيرهم، انظر مقدمة الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع مصدر سابق، ص 6

(1) هو العلامة أحمد وقيل حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطابي البستي، ولد سنة 308 وتوفي سنة 388هـ من تصانيفه: إصلاح غلط المحدثين. إعلام السنن، شرح أسماء الله الحسنى، عجالة العالم من كتاب المعالم في اختصار معالم السنن له. غريب الحديث معالم السنن في شرح سنن أبي داود. معرفة السنن والآثار، كتاب الجهاد. كتاب العزلة. كتاب النجاح وغير ذلك. انظر: وفيات الأعيان (214/2)، مصدر سابق.

(2) البرهان: هل هو مشتق من البَرْه وهو القطع لأنه يقطع حجة الخصم من برهه إذا قطعه. أو البرَه – بالتحريك - وهو البياض لأنه يظهر الحجة والدليل والبرهان مترادفان، وقيل البرهان أخص من الدليل لأن البرهان لايكون إلا عقليا والدليل يكون عقليا ويكون نقليا. من درس شيخنا حفظه الله.

فائدة العقل وثمرته بدليل قوله تعالى حكاية عن قول أهل النار ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ وقال تعالى فيهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فمن حرمه الله تعالى فائدة العقل فهو أشر من البهية كما قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ الآية.

وأشار الناظم ببيته إلى قوله ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"(1) الحديث.

ومعنى قول الناظم: فمن أجاب نال خيرا جذله أي من أجاب دعوة النبي ﷺ فيما دعا إليه من الإيمان والتوحيد نال خيرا أي أصاب خير الدارين، جذله بذال معجمة أي فرحه جذل بالكسر في الماضي والفتح في المضارع جذلانا وجذلا أي فرح، وعداه بالتضعيف(2).

قوله: ومن أبى، أي ومن امتنع من اتباعه ﷺ، أذله الله تعالى وجدله: أي صرعه وأسقطه لقوله ﷺ "وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري"(3) الحديث.

قوله: صلى عليه الله ما الحق اعتلا، أي زاده الله تعالى إكراما وتشريفا مدة ارتفاع الحق على الباطل، أي ما دام الحق ظاهرا على الباطل، ومعناه ﷺ صلاة دائمة؛ لأن ظهور الحق على الباطل دائم الظهور وفي نفس الأمر وإن عم الباطل على الحق في بعض الأحيان فإنما هو عارض ثم يضمحل عن قريب ويبقى الحق ظاهرا على ما هو عليه كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝﴾.

قوله: وآله وصحبه ومن تلا، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان والصلاة على الآل والأصحاب والتابعين تبعا له ﷺ جائز، وإنما الممنوع إفرادهم

(1) صحيح مسلم ج1 رقم 36

(2) قال العلامة عبد الله بن الحاج حمى الله الغلاوي في شرحه: جَدَّله بإهمال الدال أي اجتهد لذلك الخير وهذا ما اقتضته نسخة شيخ أشياخنا سيدي عبد الله بن محم بن القاضي رحمه الله ويقويه ولوع الناظم بالمحسنات البديعية انتهى وهو الذي اقتضته نسخة القدامسي أيضًا.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم الحديث 1150

بالصلاة على الصحيح، والصحيح في مذهبنا أن آله ﷺ بنو هاشم الذين تحرم عليهم الصدقة، قيل: وبنو المطلب، وقيل: فما دون غالب، وقيل: جميع أمته، ولبني فاطمة من آله ﷺ زيادة تشريف وحرمة على غيرهم، وأما أصحابه ﷺ فكل من اجتمع معه مؤمنا فهو صحابي كبيرا كان أو صغيرا رضي الله عنهم أجمعين.

ص:

وبعـــد فـــالعلوم ذات كـــثره   وبعـــضها لـــه مزيـــد الأثـــره

ونوعـــت إلى اعتقـــاد وعمـــل   والأول الكـــلام مـــستدني الأمـــل

ش: يعني أنه أخبر بعدما تقدم من الحمد والصلاة على النبي ﷺ أن العلوم كثيرة وبعضها له مزيد الأثرة بضم الهمزة وإسكان الثاء المثلثة وقد تكسر الهمزة أي الفضيلة على بعض؛ إذ شرف العلم بشرف معلومه(1).

قوله: ونوعت إلى اعتقاد وعمل، يعني أن العلم يتنوع بتنوع متعلقه فمنها ما يتعلق بالاعتقاد ويسمى العقائد والكلام والتوحيد، ومنها ما يتعلق بالعمل ويسمى الفقه وعلم الحلال والحرام، والمراد بعلوم الاعتقاد هي التي لا يطالب المكلف فيها بعمل بل بالاعتقاد وتسمى العلمية ولا يعتمد فيها على الآحاد ولا على الظواهر سواء تعلق بالذات أو الصفات أو بغيرها، قال الإمام أبو عبد الله الأبي(2) رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي كنا

---

(1) أشار رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا البيت وما بعده إلى ما نقله من كلام بعض مشايخه في حاشيته على شرح أم البراهين وهو كلام حسن ونصه فيها: ومن خط بعض شيوخنا وأظنه من كلام غيره ما نصه: "اعلموا أعلمكم الله أن العلم كثير و العمر قصير والتوفيق لكثرة الذنوب مفقود والأمن في الزمن من ارتكاب البليات والمشوشات بهذا الزمن الصعب مفقود سيما مع قلة حملته وعدم العلماء العاملين الداعين إلى دين الله تعالى فعلى العاقل أن يشتغل بالأهم ثم الأهم ولا شك أن العلوم كلها شريفة لأنها تخلص من الجهالات ولكن شرفها يختلف باختلاف المعلوم ولأن شرف كل علم بشرف معلومه ولا أشرف من الله تعالى وصفاته فيكون علم التوحيد أشرف العلوم و أولاها. من شرح القدامسي على الإضاءة مخطوط مصدر سابق

(2) هو الإمام العلامة المحقق المدقق البارع أخذ عن ابن عرفة ولازمة واشتهر في حياته بالتقدم في العلوم فكان من أعيان أصحابه ومحققيهم وأبة بضم الهمزة قرية بتونس قال السخاوي كان سليم الصدر، ذكر على جماعة عنه، مع مزيد تقدم في الفنون، له إكمال الإكمال على =

نسمع من شيوخنا أن المسائل العلمية على قسمين:

- منها ما يتعلق بالذات والصفات: فهذا لا يصح التمسك فيها بالآحاد؛

- ومنها ما لا يتعلق بها ككون الأرض سبعا أو واحدة وككون المقلد مؤمنا أو غيره فهذا يصح أن يتمسك فيه بالآحاد فإنها علمية وليس المطلوب فيها القطع. انتهى.

قوله: والأول الكلام، يعني أن العلم المتعلق بالاعتقاد يسمى الكلام[1] والتوحيد والعقائد، كما قلنا وهو الذي إذا اتصف به مكلف يحصل له الرجاء والأمل والطمع من رحمة الله تعالى ودخول جنته وإن لم يتصف به فلا رجاء له ولا طمع له في رحمته وجنته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٩﴾ ولقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۝٣٤﴾. ولذلك أضاف الناظم استدناء الأمل إلى علم الكلام أي مقرب الأمل لمن اتصف به.

=

مسلم في ثلاثة أسفار جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مفيدة عن شيخه ابن عرفة وغيره، وله شرح المدونة أيضا وكثر انتقاده لشيخه مشافهة فربما رجع إليه سيما في تعريف الطهارة، ووصفه ابن حجر بالأصولي عالم المغرب بالمعقول، وسكن تونس وتوفي فيها قبل سنة 827-، قلت: قرأت بخط الشيخ يخلفتن حفيد الشيخ عبد الرحمن الثغالبي أنه توفي سنة 828- انظر كفاية المحتاج مصدر سابق، ص 125 - 126.

(1) وعلم الكلام علمان:

- علم الكلام عند القدماء الذي حذر منه الأئمة الأربعة مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد ونفروا منه غاية التنفير كان يسمى إذ ذاك علم المعتزلة وغالبا تطويع المنقولات للمعقولات وهو أن يكون النقل تابعا للعقل وهذا هو رأي المعتزلة ويمسونه علم الكلام وسبب تسميته علم الكلام إما لكثرة الكلام فيه وإما لاشتغالهم بصفة الكلام التي هي من أشهر مسائل المعتزلة كمسألة قدم القرآن وحدوثه، وأما لأنهم يقولون: الكلام في كذا وكذا وإما لأهميته لأن غيره لا يسمى كلاما. وإنما يذم منه الكلام الذي يؤيد المذاهب المنحرفة وغيرها من الطوائف التي تحكم العقل على النقل.

- وعلم الكلام عند الأشاعرة علم مستخلص وإن كان يستعمل القواعد التي كانت عند المعتزلة لكنه يستدل بها لأهل السنة لأن المعتزلة كانوا يعارضون الدليل النقلي بالدليل العقلي فصار الأشاعرة يحاربونهم بالدليل العقلي، من درس شيخنا حفظه الله

ص:

وكل علم للمزية اكتسب فالفضل من معلومه له انتسب

ش: يعني أن كل علم اكتسب فضيلة وهو المراد بالمزية ففضيلته إنما انتسبت لذلك العلم من جهة معلومه، بمعنى أن شرف العلم إنما هو بشرف معلومه كما أن ذاته تعالى أشرف المعلومات كان العلم المؤدي إلى معرفته أشرف العلوم وهذا ظاهر لاشك فيه كما أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

ص:

وعلم أصل الدين مشهور الشرف وخيره المنثور ما له طرف

ش: يعني أن شرف هذا العلم مشهور بحيث لا يخفى فضله ويكفي في فضله تسميته بعلم أصول الدين، فإذا كان الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين هذا العلم أصله والأصل أشرف من الفرع علمت صحة قول الناظم: وخيره المنثور ما له طرف أي فضله الممدود ما له غاية إذ هو أفضل نعم الله تعالى على عباده وأجلها وبه تكون السعادة الأبدية والنجاة السرمدية كما أشار إليه الناظم بقوله:

ص:

وكيف لا وهو مفيد للورى علما بمن أنشأهم وصورا

وحكمه على البرايا انحتما وبالنجاة فاز من له انتمى

لأنه بنوره ينقذ من ظلمة تقليد فنفعه ضمن

ش: يعني أنك إذا عرفت أن شرف كل علم بشرف معلومه عرفت أن علم الكلام أشرف العلوم وأفضلها وكيف لا يكون أفضل العلوم وهو مفيد للورى أي الأنام سعادة الدنيا والآخرة وهي معرفة من أنشأهم أي أوجدهم من عدم سابق، وصور أي أوجد صورهم وأشكالهم على الهيئات المخصوصة الذي يفيدهم الإيمان بوجوده وبجميع صفاته وما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز عليه ومعرفة الرسل وما جاؤوا به، وذلك أصل السعادة الأبدية والفوز بالنعائم السرمدية والنجاة

من الخزي والهلاك الأخروية، وذلك غاية المراد والله أعلم.

قوله: وحكمه على البرايا انحتما، وهذا أيضا من فضيلة هذا العلم، يعني أن حكمه أي حكم هذا العلم الوجوب على جميع الخلائق بمعنى اتفاق جميع الملل على وجوبه من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ، فلم يدخله نسخ؛ إذ هو من جملة الأشياء الستة التي اتفقت عليها الملل[1] بل هو أعظمها وأفضلها قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ وسيتكلم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تلك الأشياء في آخر النظم.

قوله: وبالنجاة فاز من له انتمى، فازَ أي ظفر من انتمى لهذا العلم أي انتسب له بالنجاة من الخلود في النار وهذا أيضا من فضائل هذا العلم. يعني أنه مقطوع بنجاة من علمه من الخلود في النار لكونه مؤمنا، ولا يخلد في النار إلا الكفار.

قوله: لأنه بنوره ينقذ من ظلمة تقليد، أي لأن هذا العلم تخلص معرفته بعون الله تعالى من ظلمة الاختلاف الكائن في التقليد أي في إيمان صاحبه إلى النظر الصحيح المجمع على إيمان صاحبه، ولذلك قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنفعه ضمن، أي مضمون بمعنى مقطوع به[2] كما بينا والله أعلم.

ص:

وكــم بــه لعلمــاء الملــه مــن كتــب بالقــصد مــستقله

مــا بــين منثــور ونظــم يهتــصر جنــاه مــن مطــول ومختــصر

وإنــــي ملـــت إلى اتبـــاعي لهــم وإن كنــت قــصير البــاع

(1) وهي الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض ويعبر عنها بالكليات وهي مراعاة في كل ملة.

(2) وكان شيخنا العارف بالله سيدي أحمد القشاشي بالمدينة المنورة على ساكنها آلاف صلاة وآلاف سلام كلما دخلنا عليه يحضنا على الاشتغال بعلم التوحيد غاية الحض ويقول لنا: "فتن آخر الزمان التي لا مخلص منها إلا بهذا العلم قد قربت لعلكم تذكرون شيئا منها ويدرك من اجتمع بكم شيئا منها " من شرح القدامسي، مصدر سابق

فجئــت في ذا المطلــب الوحيــد بنبــذة تنفــع في التوحيــد
ســميتها إضــاءة الدجنــه لكونهــا اعتقــاد أهــل الســنه

ش: قوله وكم: تكون للاستفهام والتكثير وهي هنا للتكثير أي وكثير فيه لعلماء الملة الإسلامية، من كتب أي من تواليف. قوله: بالقصد مستقله: أي منفردة وكافية بالقصد من هذا العلم، يعني أن تواليفهم في علم التوحيد كثيرة بين منثور ومنظوم، مهتصر أي منكسر من هصر الشيء إذا ثناه وعطفه، قوله: جناه أي قطعه من تأليف مطول وتأليف مختصر؛ بمعنى أن علماء الإسلام أكثروا المصنفات في علم التوحيد قرنا بعد قرن فصار بعضهم يأخذ من كلام بعض إما على وجه الاختصار بأن يقتصر على المقصود ويترك التفريع إذ هي داخلة في ضمن المقصود وإما على وجه التطويل بتبيين ما خفي وتقييد ما أطلق وشرح ما انبهم وغير ذلك من مقاصدهم رحمهم الله.

فبين الناظم رحمه الله قوله: وإنني ملت إلخ، أنه سلك مسلكهم في هذا التأليف، وإن كان قصير الباع أي قليل العلم، قاله رحمه الله تواضعا وإلا فهو من أعيان وقته علما ودينا، فقال: إنه جاء في هذا المطلب الوحيد أي في هذا التأليف المنفرد الذي لا نظير له بنبذة بضم النون وقد تفتح أي قطعة قليلة، تنفع في علم التوحيد.

وقد أتى رحمه الله بما فيه كفاية في هذا الفن فشفى وكفى جزاه الله خيرا؛ ولذلك قال: سميتها إضاءة الدجنة[1]، والدجنة: شدة الظلمة، لكونها أي ما في هذه القصيدة، اعتقاد: أي عقائد أهل السنة والجماعة[2]، فطابق اسمها معناها لكونها

(1) وهذا من الشيخ رحمه الله استيفاء بالواجبات الصنفيات عند المؤلفين لأنه مما يجب عندهم أن يلقب المصنف كتابه بلقب يوافق بعض معناه فيعطى مما تفاءل به ولاشك أنه كما سمى قوله " إضاءة الدجنه" أي إنارة الظلمة لما يتوصل بها إلى شموس المعارف الربانية المذهبة لظلام الجهل والتقليد، فقوله: لكونها اعتقاد أهل السنه: تعليل لهذه التسمية فقوله: اعتقاد مجاز مرسل من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول كإطلاق الخلق على المخلوق أي فإنما سميتها بهذا الاسم لأنه معتقد أهل السنة أي من اعتقاد ما احتوت عليه ينظم في سلك أهل السنة. من شرح القدامسي، مصدر سابق

(2) وهم المعبر عنهم عند الجمهور بالأشاعرة، ومؤلفاتهم هي المعمول بها والمتداولة عند =

أفادت العلم وأذهبت الجهل والله أعلم.

ص:

وذاك لمـــا أن حللـــت القـــاهره	بعـد الوصـول للبقـاع الطـاهره
منتبـذا عـن مظهـري المغمـور	مسترشدا بـالأزهر المعمـور
وكـان مِـنْ مَـنِّ مـزكي النيـه	درسي بـه العقائـد الـسَّنِيَّهْ
فـرام مـني بعـض أهـل الفـن	نظـمي لهـا بحكـم حـسن الظـن
ولـست للـذي انـتحى بأهـل	لأنـني ذو خطـإ وجهـل
فـازداد حثـه عـلي ونمـا	وقـال لي اجعـل مثـل هـذا مغنمـا
فلـم أجـد بـدا مـن الإسـعاف	مـع كـون رسـم العلـم غـير عـاف

ش: يعني أخبر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ألف نظمه حين حلوله بقاهرة مصر بعد رجوعه من البلاد الطاهرة من الحرمين الشريفين مكة لأداء فريضة الحج وطيبة لزيارة رسول الله ﷺ وصحبه.

قوله: منتبذا عن مظهري المغمور أي مطَّرحًا ومتباعدا عن مكان ظهوري أي ابتداء وجودي المغمور بالغين المملوء بالخلق والمغامرة، من قولهم: أرض غمر ماؤها أي كثر ماؤها ومكانه وطنه تلمسان حرسها الله تعالى وجميع بلاد الإسلام.

قوله: مسترشدا بالأزهر المعمور، أي ملتمسا للرشد من الجامع الأزهر المعمور بالعلم والتقوى وطاعة الله تعالى.

قوله: وكان مِنْ مَنِّ مزكي النية... البيت، أي فكان من تفضيل مظهر الأسرار وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه، درسي أي إقرائي بالجامع المذكور العقائد المنسوبة لأهل السنة أي علم التوحيد.

قوله: فرام..البيت، أي طلب مني بعض أهل علم التوحيد من أصحابي نظمي

=

الناس؛ فمن أراد أن يعتزل كتب الاشاعرة فليجتنب جل كتب المسلمين. من درس شيخنا حفظه الله.

لهذا النظم لحسن ظنه بي، فأجابه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخبر بقوله: ولست للذي... البيت، تواضعا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا قصورا فإنه كان فرد زمانه وعين أوانه، فأخبر أنه ليس بأهل للذي انتحى منه أي قصده من تأليف لأخطائه في جهله، فلما أخبره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك زاد ذلك حثه عليه في التأليف وعظم وقال له: اجعل تأليف هذا النظم مغنما تحوز به شرف الدنيا وثواب الآخرة، فلما كرر على الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطلب وجد فيه تعين عليه إجابته خوفا من كتمان العلم ومنعه، ولذلك قال: فلم أجد بدا البيت، أي فلما تعين علي لم أجد بدا أي خلاصا من وفائه وهو الإسعاف مع وجود أثر العلم غير دارس لظهوره ووضوحه، فكان ذلك إعانة للناظم والطالب، فكأنه قال: تعين إجابته مع خفاء العلم وشدة تكلفه فكيف مع قلة التكلف لكثرة أهله ووضوحه والله أعلم.

ص:

والله أرجو أن يكون ذاك من ... فعل جميل من رياء قد أمن

وأن يثيبني به يوم الجزا ... ومن وعى أو خط هذا الرجزا

ويجزل المواهب السنيه ... ويسعف الراجين بالأمنيه

فالغيث من إنعامه قد وكفا ... على البرايا وهو حسبي وكفى

ش: سأل الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المولى سبحانه أن يجعل ذلك التأليف من الفعل الجميل سالما من الرياء والسمعة وأن يعظم له به المثوبة يوم الجزا أي يوم جزاء العباد بأعمالهم ويعظم لمن حفظ هذا الرجز أو كتبه وأن يعظم له المواهب الرفيعة ويوفق الراجين للعلم في هذا النظم بجميع الأمل فمطر الرحمة قد وكف أي قطر على البرايا أي الخلائق من تفضله وإنعامه أي لا يستحقون ذلك بذواتهم وأفعالهم بل من كرمه سبحانه وإنعامه، حقق الله دعوته وأناله رغبته آمين. ولذلك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو حسبي وكفى.

***

مقدمة الفن

ص:

مــــن رام فنـــا فليقـــدم أولا علمـــا بحـــده وموضـــوع تـــلا
وواضـــع ونـــسبة ومـــا اســـتمد منـــه وفـــضله وحكـــم يعتمـــد
واســـم ومـــا أفـــاد والمـــسائل فتلـــك عـــشر للمـــنى وســـائل

ش: مقدمة: بكسر الدال أفصح من فتحه لأنها من قدم اللازم بمعنى تقدم، قاله الأجهوري في شرح عقيدته رَحِمَهُ اللهُ، وقال الشيخ حلولو[1] في شرح جمع الجوامع: المقدمة بالفتح والكسر فالفتح اسم مفعول لأنا نقدمها بين يدي مقصودنا والكسر اسم الفاعل لأنها تقدمنا لذلك.

ونقل القرافي[2] عن صاحب الصحاح وغيره أن مقدمة الجيش مكسورة قال: ولم أرهم حكوا[3] فيها خلافا، قال ولي الدين: وهي في الاصطلاح ما يتوقف عليه أمر آخر وعند المناطقة: المجعولة جزء دليل، انتهى.

وهي هنا عبارة عما يتوقف عليه الشروع في هذا العلم من تعريفه ومعرفة

(1) هو أحمد حلولو الأزليتني ثم القروي المغربي المالكي نزيل تونس ممن أخذ عنه أحمد بن حاتم المغربي وذكر أنه شرح مختصر الشيخ خليل وجمع الجوامع والتنقيح للقرافي والإشارات للباجي وعقيدة الرسالة وكان في سنة خمس وتسعين على قيد الحياة ولا تقصر سنه عن الثمانين وقد ولي القضاء بطرابلس سنين ثم عزل عنها ورجع إلى تونس. انظر الضوء اللامع للسخاوي ج2 ص 260 مصدر سابق.

(2) القرافي هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله الصنهاجي قال أبو عبد الله: ولد سنة 626- أخذ عن جمال الدين ابن الحاجب والعز بن عبد السلام وأبي عبد الله وغيرهم وله مصنفات كثيرة منها: التنقيح في أصول الفقه والعقد المنظوم في العموم والخصوص والإنقاد في الاعتقاد أنوار البروق في أنواء الفروق شرح التهذيب، توفي رحمه 684- انظر حسن المحاضرة مصدر سابق ج1، ص 316

(3) وفي نسخة (ب) ذكروا

واضعه ومعرفة نسبة هذا العلم لغيره من العلوم الشرعية ومعرفة استمداده أي ما يستمد منه هذا العلم ومعرفة فضله ومعرفة حكمه واسمه وفائدته ومسائله؛ فهذه عشرة أشياء هي المسماة بمبادئ العلم يجب تقديمها طبعا على كل علم ليكون الطالب على بصيرة في طلبه لاستحالة توجه النفس نحو المجهول المطلق؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد يقال: الحكم على الشيء ردا وقبولا فرع كونه معقولا؛ ولذلك قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ: من رام فنا أي من طلب فنا أي نوعا من أنواع العلم أيا كان أصولا أو فقها أو نحوا أو غيرها من العلوم فليقدم أولا قبل الشروع فيه العلم بحده أي تعريفه سواء كان بالحد أو الرسم، إذ الحد صادق عليهما.

والناظم رَحِمَهُ اللهُ لم يتعرض لبيان هذه المبادئ طلبا للاختصار، وها أنا إن شاء الله تعالى أذكر حدودها على وجه الإيجاز.

وأما حد علم الكلام أي معرفة حقيقته: فقال الشيخ في شرح الكبرى: هو العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل وصدقها في كل أخبارها وما يتوقف عليه شيء من ذلك خاصا به[1] وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك، هكذا حده[2] الشيخ

(1) قوله وما يتوقف عليه شيء من ذلك خاصا به، انتصب خاصا به على الحال من (ما) والعائد على (ما) ضمير (عليه) وضمير (به) في قوله (خاصا به) عائد على قوله (شيء) من ذلك و(ما) واقعة على جواز العالم وحدوثه ولاشك أن بعض أحكام الألوهية يتوقف على ذلك كالعلم بوجود الصانع وحياته وعلمه وقدرته وإرادته وجواز العالم وحدوثه لا تتوقف عليهما غير أحكام الألوهية وهو معنى قوله (خاصا به) بخلاف فن المنطق فإنه كما يتوقف عليه تحقيق هذا العلم يتوقف عليه تحقيق غيره من العلوم لأنه يعرف به صحيح الفكر من سقيمه ولهذا قال: فيخرج علم المنطق بقوله (خاصا به) انظر الحاشية الصغرى على شرح كبرى السنوسي لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور المتوفى 995هـ ص 16 الدار البيضاء 1434هـ/2011م

(2) وحده ابن التلمساني بأنه: العلم بثبوت الألوهية والرسالة وما تتوقف معرفتهما عليه من جواز العالم وحدوثه وإبطال ما يناقض ذلك ورده الشيخ ابن عرفة بفساد عكسه لخروج أحكام المعاد، ومعنى فساد العكس أن ينتفي الحد ولا ينتفي المحدود وقد انتفى حد ابن التلمساني في

ابن عرفة[1]، قال: فيخرج علم المنطق، ومن ثم قال غير واحد: هو فرض كفاية على كل قطر يشق الوصول منه إلى غيره انتهى.

وأما موضوع هذا العلم فقد اختلف فيه وموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، فموضوع علم الطب بدن الإنسان؛ لأن الطبيب يبحث فيه عما يعرض له من صحة وسقم، وموضوع اللغة: الكلمات العربية المفردة من حيث معناها، وموضوع علم النحو: الكلمات العربية باعتبار التركيب؛ لأنه يبحث فيه عما يعرض في حال تركيبها من الإعراب والبناء، وموضوع الفقه: فعل المكلف لأنه يبحث عما يعرض له من جواز ووجوب ومنع وغير ذلك، وموضوع الحديث: ذات النبي ﷺ لأنه يبحث فيه عن أقواله وأفعاله وتقريره، وانظر تحقيق الموضوع في الرسالة الشمسية وشرحها[2].

وأما موضوع علم الكلام فقال الشيخ في شرح الكبرى: هو ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على موجدها وصفاته، وفيه نظر لأن البحث في هذا العلم يكون من غير أعراض هذا الموضوع كثيرا.

وقيل: موضوعه الوجود المطلق من غير نظر إلى كونه قديما أو حادثا وفيه أيضا نظر لأنه قد يكون البحث في هذا العلم عن أحوال المعدوم والحال وليسا

=

السمعيات وهو المحدود الذي هو علم الكلام خلاف حده ابن عرفة لدخوله في قوله (وصدقها في كل أخبارها)، حاشية المنجور نفس المصدر.

(1) هو الإمام العالم العلامة محمد بن عرفة الورغمي التونسي إمام المغرب وشيخ الإسلام العلامة المحقق القدرة النظار العالم المبعوث على رأس المائة الثامنة حسبما ذكره السيوطي في نظمه الذي في أسماء المبعوثين على رءوس المئين، أثنى عليه في الديباج.

وله تواليف عجيبة كمختصره الفقهي، لم يسبق إليه في تهذيبه وجمعه، وحدوده وأنيق أبحاثه، وتأليفه في المنطق فيه من القواعد ما يعجز عنه الفحول وتأليف في الأصلين وأماليه الحديثية والقرآنية والحكم الشرعية، وكان وليا صالحا ذكيا قدوة سنيا عارفا محققا، نهاية في المعقول والمنقول بقية الراسخين آخر المتعبدين، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام 803- انظر كفاية المحتاج ص 99 - 101 وشجرة النور الزكية ص 227 - مصدران سابقان.

(2) والشمسية مقدمة للإمام نجم الدين الكاتبي، وقد شرحها سعد الدين التفتازاني وغيره.

وجوديين.

وقيل: موضوعه وجوده، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفيه نظر من وجهين:

أحدهما: أنه يقع البحث عن غير الأعراض الذاتية لهذا الموضوع ككون الأجرام لا تتداخل والعرض لا ينتقل.

ثانيهما: أن موضوع العلم لا يتبين فيه وجوده وقد بين وجوده تعالى في هذا العلم فلا يكون موضوعا لهذا العلم.

وقيل: موضوعه المعلوم من حيث يحمل عليه ما يصير عقيدة دينية أو مبدأ لذلك، فإذا قيل: الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديم وإعادة الجسم بعد فنائه حق فقد حمل على المعلوم ما صار معه عقيدة دينية، فإذا قيل: الجسم مركب من الجواهر الفردية فقد حمل على المعلوم ما صار معه مبدأ من العقيدة الدينية فإن تركب الجسم دليل افتقاره إلى الموجد.

وهذا القول هو التحقيق في موضوع هذا العلم عند الإمام ابن زكري.

وإلى هذه الأقوال أشار بقوله في محصل المقاصد:

موضـوع ذا العلـم الوجـود المطلـق ... في رأي المعلـــــوم ذا المحقـــــق

وقيــــل ذاك ماهيـــات الممكنـــات ... دلـت عـلى موجـدها مـع الـصفات

ومــن رأى الموضــوع ذات الخــالق ... يــــرد رأيــــه بــــرد فــــائق

انتهى.

وأما **واضع هذا العلم** فهو أبو الحسن الأشعري شيخ السنة والجماعة واسمه علي بن إسماعيل ابن بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، فبينه وبين أبي موسى ثمانية آباء.

وهو أبو الحسن الأشعري ومالكي المذهب، وقال السبكي[1]: إنه شافعي المذهب ورد على من قال إنه مالكي المذهب[2]، وإليه تنسب جماعة أهل السنة، ويلقبون بالأشاعرة والأشعرية، وكانوا قبل ظهوره يلقبون بالمثبتة إذ أثبتوا ما نفته المعتزلة، وكان في أول أمره على مذهب المعتزلة.

قال القاضي عياض في المدارك: وهذا إن صح لا ينقصه فقد كان من هو أفضل منه كافرا ثم أسلم بل هذا أدل على ثبات قدمه وصحة يقينه.

فذكر أبو عبد الله الأزدي[3] أنه كان أولا معتزليا ثم رجع إلى الحق ومذهب أهل

---

(1) السكبي هو الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر قاضي القضاة المؤرخ الباحث ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية بمصر وكان طلق اللسان قوي الحجة ومن تصانيه: طبقات الشافعية الكبرى، ومعيد النعم ومبيد النقم، وجمع الجوامع، انظر الأعلام للزركلي ج4 ص 185 دار العلم للملايين.

(2) وقد وقفت على تقييد بخط العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ت 1233هـ يرد فيه على من قال إنه شافعي ونصه: الحمد لله وحده نازع الشافعية في كون أبي الحسن الأشعري مالكيا وعدوه من الشافعية تفقه على أبي إسحاق المروزي منهم نص على ذلك أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين وأبو إسحاق الإسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني والمالكي هو القاضي أبو بكر الباقلاني هـ من طبقات السبكي قال فقير مولاه عبد الله بن إبراهيم بن الإمام العلوي: لا نسلم كونه شافعيا ولو سلمنا لكان للمالكية في ذلك من الفضل ما لم يكن لهم على تقدير كونه مالكيا لأن الشافعيين أنفسهم مقرون أنه لم يوجد مالكي غير أشعري، وقد يوجد شافعي أو حنفي غيرهما غير أشعري. كما نقله السبكي في طبقاته، ففضل المالكية على هذا أظهر إذ لقائل أن يقول على تقدير العكس: إنما تمذهب المالكية بمذهبه في الاعتقاد تعصبا له لأنه من أهل مذهبهم في الفقه قيده بيده الفانية طالبا من الله العفو و العافية عبد الله بن إبراهيم بن الإمام العلوي كان الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين.

(3) هو الإمام القدوة المتقن الحافظ شيخ المحدثين أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن حميد الأزدي الحميدي الأندلسي الفقيه الظاهري ولد قبل سنة 420هـ أخذ عن عمر بن عبد البر =

السنة فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فقال: نمت ليلة من شهر رمضان نومة فرأيت النبي ﷺ في النوم كأنه رمسني برجله وقال: يا أبا الحسن كتبت الحديث؟ قلت: نعم: قال: فكتبت فيما كتبت أني قلت إن الله يرى في الآخرة بالأبصار؟ قلت: نعم. قال: فلم لا تقول به؟ قلت: قامت أدلة العقول على أن القديم لا يرى بالأبصار على طريق الاستحالة فحملت الخبر على التأويل ولم أحمله على الظاهر. قال: أو لم تجد دلالة في العقول على أنه يرى بالأبصار؟ قلت: لا. قال: اطلب تجد ذلك على خلاف ما اعتقدت! فلما أصبحت أخذني غم عظيم ونحيت الكلام من بين يدي واشتغلت بالحديث والقرآن وتفسيره. فلما كان العشر الثاني رأيته ﷺ فقال: ما حالك مع المسائل التي طلبتها منك؟ قلت: نحيت الكلام واشتغلت بالحديث وتفسير القرآن. فغضب ﷺ وقال: أقول لك شيئا وتعمل غيره ما الذي دلك على ذلك ومن أمرك به؟ وإنما قلت لك اطلب علم الكلام واعمل مسألة الرؤية ولم أقل لك نح الكلام فلما انتبهت أخذني أكثر من الأول وقلت: والله ما أدري ما أفعل كيف أدع المذاهب المقررة بالمنامات فالويل لي إن عقدت خلاف ما أعلمه الويل لي من تشنيع المعتزلة إذا قلت بما يدعوني المنام إليه، وبقيت متفكرا ما أتمنى مطعما ولا مشربا حتى كانت ليلة سبع وعشرين فاجتمع أهل البصرة على عادتهم في الوقوف والتهجد في الجامع إلى الصباح والبكاء والتضرع والدعاء، فخرجت لذلك فلما دخلت في الصلاة وقع علي نوم كأنه الموت فقمت باكيا راجعا متحسرا على ما فاتني من ذلك، فلما دخلت البيت نمت فرأيت النبي ﷺ فقال لي: ما الذي عملت فيما قلت لك؟ فقلت: يا رسول الله كيف أدع مذهبا نصرته أربعين سنة وصنفت فيه ورسخت، يقول الناس: هذا رجل موسوس يدع المذاهب بالمنامات؟ فغضب غضبا شديدا وقال: كذلك كانوا يقولون لي موسوس ومجنون وما ضيعت حقا لله تعالى

=

وطائفة أخرى وبمكة عن المحدثة الكريمة المروزية وله مصنفات كثيرة منها الجامع بين الصحيحين توفي سنة 480هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج19 ص 120 – 126 مصدر سابق.

لقول الناس أيعد هذا من جملة المنامات أتردد إليك في الشهر ثلاث مرات ثم تقول منام، هذه اعتذارات كلها باطلة فدعها ولا تعرج عليها وانظر هذه المسائل من الرؤية وأن القرآن غير مخلوق والقضاء والقدر وأن الله تعالى يقدر على كل شيء والله يلهمك الأدلة، وإياك أن توقع في ذلك تقصيرا واسلك فيما قلت لك الكتاب والسنة وحجة العقول وإنه حق وصواب وأنا لا أعود لك بعد هذا! في كلام طويل فهمته، فقمت ونصرت هذه الطريقة وشرح الله صدري لذلك.

وأيده بمعونته فكان له في ذلك ما هو مشهور معروف، وألف في ذلك تواليفه الكثيرة المشهورة، فكان إماما لأهل السنة وشيخا لهم في المشرق والمغرب، فعلماء المذاهب من المالكية والشافعية وغيرهم وعلماء الحديث يحتجون بحجته وعلى مناهجه يذهبون حتى نبسوا إليه أهل السنة كما ينسب علماء المذاهب إلى أرباب المذاهب، رضي الله عنه وعن أتباعه.

وإلى هذا أشار في محصل المقاصد بقوله:

فصل أبو الحسن الأشعري واضع ذا العلم هو المرضي
بكتبه الموافق الرسول فخص بالسنة والقبول
لقب تابعوه بالأشاعره وهو بالشيخ اتبع مؤازره
ونسبوا له بالأشعريه أولاء أهل الحق في البريه

توفي ﵁ في ما ذكره القاضي ﵁ في المدارك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وأما نسبة هذا العلم إلى العلوم الدينية فهو نسبة العام إلى الخاص فهذا العلم عام وغيره خاص من التفسير والحديث والأصول والفقه فكما لا يوجد الخاص بدون العام فكذلك لا توجد هذه العلوم دون علم الكلام؛ فلذلك سمي علم أصول الدين؛ إذ لا يوجد الفرع دون الأصل؛ ولذا قال في محصل المقاصد:

فصل ونسبة الكلام للعلوم دينية يحكم فيها بالعموم
فهو فيها كمثل الكلي وهي له كنسبة الجزئي

مـــن أجـــل ذا توقفـــت عليـــه والعكـــس غـــير ثابـــت لديـــه

انتهى.

وأما استمداد هذا العلم فمن قواطع المعقول وسواطع المنقول يعني أن كل عقيدة من عقائد الكلام تستمد من الأدلة العقلية إذا توقفت دلالة المعجزة عليها كوجوده تعالى وقدمه وبقائه وكونه مخالفا للحوادث وكإثبات صفاته تعالى من قدرة وإرادة وعلم وحياة، ومن نصوص الشريعة الساطعة فيما لم تتوقف عليه دلالة المعجزة مما ثبت في الشرع من البعث وفتنة القبر وأحوال الآخرة.

وإلى ذلك أشار في محصل المقاصد بعد كلام في معنى الاستمداد بقوله:

يبـــنى عـــلى الـــبراهن العقليـــه كـــذلك الـــسواطع الـــسمعيه

في غيرهـــا لمعجـــز توقـــف عليـــه في ذا ينـــتفي التـــصرف[1]

انتهى.

وأما فضل هذا العلم فهو أشرف العلوم الشرعية وأفضلها ورئيسها؛ إذ شرف العلم تابع لشرف معلومه، ومعلوم هذا العلم أشرف المعلومات؛ إذ هي معرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام، فظهر بهذا أن هذا العلم أفضل العلوم.

وقد قال الناظم رحمه الله:

ص:

وكـــل علـــم للمزيـــة اكتـــسب فالفضل من معلومه له انتسب... الخ

فبين في تلك الأبيات فضل هذا العلم.

وأما حكم هذا العلم فقد اختلف فيه فالذي ذهب إليه الأكثرون ونسبه الشيخ إلى الجمهور وجوب المعرفة، لكن ما يخرج به من التقليد واجب على الأعيان من

(1) انظر محصل المقاصد لابن زكري، ص: 10 مخطوط، بحوزتنا نسخة منه بخط أحد علماء توات.

الدليل الجملي، وما يرد به الشبهات ويحل به الشكوك فرض على الكفاية.

واختلف على هذا القول في المقلد

فقيل: إنه مؤمن ولكن يعصي بترك النظر، وهذا هو الصحيح.

وقيل: إنه كافر، واستنكر هذا القول جدا حتى أنكره المخالفون على الشيخ المعاصرون له وألزموه تكفير عوام المؤمنين وهم أكثر الأمة.

وقيل: النظر حرام لأنه معرض للشك[1]، ونسب هذا القول للأئمة الأربعة أرباب المذاهب، وفيه نظر[2].

وقيل: التقليد يكفي مع الجزم خلافا لأبي هاشم[3]، ولا يكفي مع الظن والشك، وهذا القول جعله في جمع الجوامع هو التحقيق، وبه تتفق الأقوال، والله أعلم.

ونص غير واحد من الأئمة كابن رشد[4] على أنه يكفي من الخروج في التقليد

---

(1) لأنه ربما أدى إلى شبه ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح

(2) قال الشيخ أحمد الصاوي وهو مذهب غالب الصوفية، لأنهم يقولون متى غاب حتى يستدل عليه ومتى خفي حتى تكون الآثار تدل عليه، انظر شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، لإبراهيم بن حسن اللقاني، ص 42 دار الكتب العلمية تعليق الشيخ أحمد فريد المزيدي 1971 بيروت لبنان.

(3) هو أبو هاشم المعتزلي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي من أبناء أبان مولى عثمان عالم بالكلام من كبار المعتزلة له آراء انفرد بها وتبعته فرقة سميت البهشمية نسبة إلى كنيته أبي هاشم وله مصنفات منها الشامل في الفقه وتذكرة العالم والعدة في أصول الفقه توفي سنة 321- انظر وفيات الأعيان ج1، ص 292 مصدر سابق.

(4) هو العلامة فيلسوف الوقت أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكة أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي مولده قبل موت جده بشهر سنة 520- عرض الموطأ على أبيه وأخذ عن أبي مروان بن مسرة وجماعة وبرع في الفقه وأخذ الطب عن أبي مروان بن حزبول، وله من التصانيف بداية المجتهد في الفقه والكليات في الطب ومختصر المستصفى في الأصول وتهافت التهافت في الرد على الغزالي.

ومات محبوسا بداره بمراكش في أواخر سنة أربع (انظر سير أعلام النبلاء ج21 ص 308 –
=

الطمأنينة بالدليل الجملي ولو لم يقدر على التعبير به على منهج المتكلمين، بل زاد ابن رشد فقال: إن النظر غير واجب وإنما هو مستحب في حق القادر عليه.

وأما أسماؤه فثلاثة: علم أصول الدين؛ وعلم الكلام؛ وعلم التوحيد؛ وسمي علم أصول الدين لأن علوم الدين كلها تبنى عليه من تفسير وحديث وفقه وغيرها؛ لأنه لا تعرف الكتب إلا بعد معرفة من أنزلها ولا الرسول إلا بعد معرفة مرسله والفقه متوقف على هذا.

وسمي علم الكلام إما لشرفه كأن غيره من العلوم بالنسبة إليه ليس بكلام كما يقال للكلام المقبول: هذا هو الكلام!.

وقيل: لأن مسألة الكلام كانت سبب وضع هذا العلم لكثرة الكلام فيها هل هو قديم أو حادث؟ وهل يتنوع في الأزل أم لا؟ وهل يسمى خطابا في الأزل أم لا؟ وهل القرآن مخلوق أم لا؟ إلى غير ذلك من تفاريع الخوض في الكلام، وعلى هذا فهو من باب تسمية الشيء باسم جزئه.

وسمي علم التوحيد لاشتماله على إثبات الوحدانية له تعالى، وقيل غير ذلك.

وإلى هذا أشار في محصل المقاصد بقوله:

فصل لذا العلم من الأسماء ... ثلاثة هن بلا امتراء

علم الكلام وأصول الدين ... وعلم توحيد على اليقين

كل من الأسما له مناسبه ... تبدو لمن عني بالمطالبه

انتهى.

وأما فائدة هذا العلم ويسمى أيضا ثمرة العلم وغايته فهي كثيرة منها:

- معرفة المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛
- وصفاته؛
- ومعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام؛

=

310 مصدر سابق)

- وما جاؤوا به،

وبذلك الوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم السرمدي الذي هو غاية المراد.

ولهذا أشار في محصل المقاصد بقوله:

فــصل وفائــدة هــذا العلــم أعظــم مــا اســتفاده ذو الفهــم
معرفــة الإلــه والرســاله ثمرتــه بواضــح الدلالــه
ولا أجــل في علــوم الخلــق منهــا إذا نيلــت بطــرق الحــق
بهــا وصــولهم إلى الــسعاده ولاجتنــاء ثمــرة العبــاده
إن ثبــت الخــتم بهــا عنــد الممــات نــسأل ذاك ربنــا حــال الوفــاة

انتهى.

وأما مسائل هذا العلم فهي القضايا المبرهن عليها في العلم من حدوث العالم واحتياجه إلى صانع مختار قادر موصوف بغاية الكمال والجلال وما يجب له وما يستحيل وما يجوز عليه وكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا ما أشار في محصل المقاصد بقوله:

فــصل قــضايا بينــت في العلــم تلــك مــسائل لــه بــالحكم
فكــل مــا بــين في العقائــد مــسائل الكــلام والمقاصــد[1]

انتهى.

قوله: فتلك عشر للمنى وسائل، يعني أن هذه العشرة وسائل للمنى جمع منية وهي ما يتمنى المرء ويشتهيه، يريد أن هذه العشر أسباب يتوصل بها إلى المطالب وهي التي عبر عنها بالمنى؛ إذ بمعرفة هذه العشرة يكون الطالب على بصيرة من مطلوبه ويتميز له عن غيره والله أعلم.

---

(1) محصل المقاصد، مرجع سابق، ص: 20

ص:

وبعـضهم منهـا عـلى الـبعض اقتـصر   مـن يكـون يـدري جمعهـا انتـصر

ش: يعني أن بعض العلماء منهم من يقتصر على ثلاثة وهي: الحد والموضوع والمسائل، ومنهم من يزيد على هذه الثلاثة فائدته إلى غير ذلك، ولكن من يعرف جميع هذا العشر أتم معرفة أكمل تمييزا من غيره كما قال الناظم: ومن يكن...إلخ.

يعني أن من عرف هذه العشر أتم تمييزا من غيره لأن من تصور شيئا بحده فقد أحاط به إحاطة إجمالية، فإذا انضم إلى ذلك بقية المبادئ كان على زيادة بصيرة من مطلوبه وتم له تميزه عما عداه بحيث لا يلتبس عليه والله أعلم[1].

***

(1) قال اليوسي في البدر اللوامع المتأكد معرفة رسم العلم وموضوعه وغايته ومسائله ومواده وأوكدها الثلاث الأول انظر تيسير الحصول على خلاصة الأصول لأستاذنا العلامة الأصولي الشيخ محمد سعيد بن بدي حفظه الله ص: 16 مركز نجيبويه والدار التباعية ط1 1438هـ/2017م

فصل في الحكم وأقسامه

ص:

الحكــم وهـو الـنفي و الإثبـات إلى ثــلاث قــسم الأثبــات
عقــلي أو عــادي أو شرعي وهــا هنــا أولهــا المــرعي

ش: يعني أن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ وهم المراد بالأثبات جمع ثبت[1] وهو الثقة العدل قسموا الحكم إلى ثلاثة أقسام: عقلي، أو عادي، أو شرعي.

ثم فسر الحكم فقال: وهو النفي أو الإثبات، يعني أن معنى الحكم إثبات أمر أو[2] نفيه في اللغة. ومعنى حكم الحاكم أثبت حقا أو أسقطه. ومعنى كلامه أن المثبت للشيء أو منفيه إما العقل وإما العادة وإما الشرع[3]. وهو معنى قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في المقدمة: والحاكم بذلك إما العقل وإما العادة وإما الشرع.

ثم بينها وأقسامها هناك[4].

(1) جمع ثبت وهي مرتبة من مراتب التعديل الخمس جمعها بعضهم بقوله:

الحجــة الحــافظ ثــم الثقــة الثبــت فــالأمين تــم الخمــسة

(2) وأو في: إثبات أمر أو نفيه عنه للتنويع لا للشك لأن التي للشك تجتنب في الحدود أو تقول هي: الترديد بالحكم لا للترديد في الحكم والحكم: مصدر يستدعي حاكما ومحكوما به وعليه . والحاكم إما الشرع أو العادة أو العقل . انتهى من شرح العلامة الشيخ أحمد باب التنبكتي على صغرى السنوسي، مخطوط بحوزتنا نسخة منه نسخت عام 1192هـ

(3) الدليل الشرعي - وإن كان فوق كل دليل - لا يخلو اعتماده هنا من مصادرة لأن الملحد الصرف لا يصدق الأدلة الشرعية فنفزع إلى العقل؛ لهذا كان المعتبر في هذا الفن هو الحكم العقلي، وأما الدليل الشرعي فالنظر فيه للفقهاء. ولذلك كان المتكلمون نظرهم في الأدلة العقلية، لأنها يسلمها كل أحد؛ ولا يثبتون العقائد بالأدلة الشرعية، لأنهم إذا استدلوا بالشرع على الشرع يطالبهم الخصم بدليل الشرع من أصله، فيلزم الدور – من درس شيخنا حفظه الله

(4) انظر شرح السنوسي على مقدماته ص 52 تحقيق نزار حمادي تقديم الأستاذ سعيد عبد اللطيف فوده مكتبة المعارف الطبعة الأولى 1430هـ/2009م.

ووجه الحصر في هذه الثلاثة أن الحكم إما أن يفتقر إلى وضع واضع أو لا. الأول هو العادي، والثاني العقلي.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وها هنا أولها المرعي، يعني أن المعتبر هنا في باب العقائد هو العقلي دون العادي والشرعي، وهذا في العقائد التي تتوقف دلالة المعجزة عليها كحدوث العالم وما يتوقف عليه من وجوده تعالى وصفاته التي يتوقف عليها الحدوث.

وأما العقائد التي لا تتوقف دلالة المعجزة عليها فالمعتبر فيها الشرع لا العقل كالبعث والنشر والصراط وغير ذلك من الجائزات التي أخبر الشارع بوقوعها، والله الموفق للصواب.

***

فصل في الحكم العقلي

ص:

واعلم هديت أن حكم العقل لا يعدو ثلاثا حصرها قد علا

إيجابا أو تجويزا أو إحاله فواجب لا ينتفي بحاله

أي كل أمر نفيه لا يدرك عقلا وسر بدئه لا يترك

لكونه يوصف ذو الْمِحَال به وعكسه ادع بِالْمُحَالِ

وجائز ما صح بالعقل اكتفى فيه لدى حكمي ثبوت وانتفا

ش: يعني أن الحكم العقلي لا يجاوز ثلاثة أقسام محصور فيها الحكم العقلي ووجه الانحصار فيها معلل لأنه إما إثبات بحيث لا يقبل النفي أو نفي بحيث لا يقبل الإثبات أو أحدهما مع قبول الآخر وهو ظاهر بين التقسيم، فقال: إيجابا أو تجويزا أو إحالة[1]، يعني به الواجب والجائز والمستحيل.

---

(1) فإذا تمهد هذا فلتعلم أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في التقسيم الإيجاب الذي هو مصدر أوجب وعرف الواجب الذي هو اسم فاعل وجب بقوله: فواجب لا ينتفي بحاله.

وذلك أنه سلك غريبا نفيسا لا اعتراض عليه وإنما سلك هذا المسلك للسلامة من الاعتراض الوارد على السنوسي في أصل الصغرى أي في قوله: اعلم أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب والاستحالة والجواز وهذه أقسام لمتعلق الحكم لا أقسام للحكم قال شيخنا سيدي محمد بن عبد الله الخراشي في شرحه لهذا المحل: هذه أقسام لمتعلق الحكم لا أنها أقسام للحكم وإلا لصدق عليها ولا يصدق عليها اسم الحكم وإنما يصدق عليها أنها محكوم بها وذلك لأن الحكم تقدم أنه إثبات أمر أو نفيه والإثبات هو حكم العقل بثبوت الأمر ونفيه وهو حكم بانتفائه وظهر بهذا أن كلا من الثبوت الذي فسر به الوجوب والانتفاء الذي فسر به الاستحالة ليس بحكم بل محكوم به قال الناظم في حاشيته عليه: - يعني صغرى السنوسي- لابد أن يقدر في كلام المصنف مضاف إلى متعلق الحكم ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب والاستحالة والجواز فبعض الكلام من باب المجاز بالحذف وعلى هذا يبقى عليه الاعتراض =

ثم فسر الواجب بأنه الذي لا ينتفي بحال من الأحوال.

ثم فسر الانتفاء المذكور بأنه الذي لا يدرك العقل انتفاءه، ومعناه أن نفيه يلزم منه المحال عقلا كالجمع بين الضدين وذلك أن الوجوب يلزم منه الثبوت ونفي ضده فيكون ثابتا منفيا وذلك جمع بين الضدين وهو محال وما أدى إلى المحال فهو محال ونفي الواجب محال.

قوله: وسر بدئه إلخ... يعني أن تقديم الواجب في الذكر على قسميه لشرفه إذ الوجود أشرف من العدم ولذلك يوصف به مولانا جل وعز دون قسميه ولا يوصف مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا بالكمال المطلق الذي تقف العقول وتعجز عن إدراكه وهذا معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسر بدئه لا يدرك الخ.. لكونه يوصف ذو المحال به والمحال بكسر الميم العقوبة والمكايدة كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾. إلا أن إطلاق هذا الاسم عليه تعالى فيه نظر.

قوله: وعكسه ادع بالمحال يعني أن المستحيل هو الذي لا يقبل الثبوت أصلا، ومعنى عدم قبوله أنه لو وجد لزم منه المحال كما ذكرنا في الواجب.

وقوله: وجائز إلخ يعني أن الجائز العقلي ما صح في العقل فيه اكتفاؤه بأحد الحكمين أي الوجود والعدم مع قبول الآخر بحيث لا يلزم محال في واحد منهما[1].

= الثاني وهو: تعريفه ما لم يقسم إليه وأجابوا عنه بجوابين: أحدهما: أنه يلزم من معرفة المشتق معرفة المشتق منه، الثاني: أن يكون المراد بالوجوب الواجب فهو من باب المجاز المرسل أطلق اسم المصدر على اسم الفاعل والحاصل أن ما سلكه الناظم هنا لا اعتراض عليه وذلك لأنه قسم الحكم إلى أقسامه لا إلى أقسام متعلقه كما فعل السنوسي انتهى من شرح القدامسي على الإضاءة، مصدر سابق.

(1) كوجود زيد وعدمه وكحركة الجسم وسكونه فهذا جائز عقلي لأن خلو الجسم من الحركة والسكون من المستحيلات العقلية.

ص:

وما دعوا منها ضروريا جلي والنظري بعد فكري ينجلي

ش: يعني أن الأقسام الثلاثة على قسمين:

- ما يسمونه ضروريا وهو الذي اتضح ولا يحتاج إلى نظر واستدلال من واجب كالتحيز[1] للجرم وكونه لا ينفك عن الأعراض فإن هذا أمر[2] يجزم به العقل من غير نظر واستدلال، أو مستحيل كالجمع بين الضدين فإنه يجزم العقل بنفيه من غير نظر واستدلال، أو جائز كاتصاف الجرم بخصوص الحركة أو السكون فإنه يدرك العقل صحته من غير نظر واستدلال؛

- وما يسمونه نظريا[3] هو الذي لا يتضح إلا بعد نظر واستدلال من واجب؛ كحدوث العالم[4]، أو مستحيل كقدمه أو جائز كبعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام فما توهم العقل وجوبه واستحالته حتى يرد ذلك صحيح نظر.

وقوله: بعد فكر، صريح في أن العلم يحصل بعد نظر، اختلف العلماء هل هو مكتسب أو ضروري والله تعالى أعلم.

---

(1) ومعنى التحيز كونه يسد قدرا من الفراغ، وهذا واجب ضروري؛ وخلو الجسم من حركة وسكون مستحيل ضروري، واتصافه بأحدهما جائز ضروري. إذ كل هذا لا يحتاج إلى تأمل. وسمي الضروري ضروريا لأنه يلجأ إليه صاحبه وبضطر إلى تصديقه. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) وفي نسخة (ب) الأمر

(3) النظري ما لا يعرف إلا بعد تأمل، ككون الواحد نصف سدس اثني عشر، فإن هذا لابد له من تأمل وإن قلّ، قال الأخضري:

(والنظري ما احتاج للتأمل وعكسه هو الضروري الجلي)

(4) فالعالم متغير - والتغير مشاهد لأن الأعراض تزول وتطرأ - وكل متغير حادث؛ فالعالم حادث، أي وجب له الحدوث واستحال عليه القدم. من درس شيخنا حفظه الله

ص:

فلتعــرف الواجــب والمحــالا وجــائزا في حقــه تعــالى
فعلمهــا فــرض علينــا شرعــا ومثلهــا في حــق رســل تــرعى

ش: ولما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من تعريف الحكم العقلي وأقسامه شرع في المقصود بالذات إذ ما قبله وسيلة له، يعني أنك إذا عرفت أن الحكم العقلي منحصر في الأقسام الثلاثة بحيث لا يتعداها فالواجب عليك أن تعرف الأقسام الثلاثة في حق مولانا جل وعز وهي: ما يجب في حقه وما يستحيل وما يجوز(1)، وكذا يجب عليك أن تحفظ مثل ذلك في حق رسله عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: فعلمها فرض علينا شرعا، يعني أن معرفة هذه الأقسام الثلاثة في حق مولانا جل وعز وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام واجبة علينا بالشرع لا بالعقل، بمعنى أن الشرع ورد بوجوبها علينا ولولاه لم نعرف ذلك بالعقل(2)، وهذا مذهب

---

(1) إذا كان كذلك علينا أن نعرف الواجب في حق الله تعالى مما دل عليه العقل من كمالات الله تعالى ولا نعرف من ذلك إلا ما أتى في الكتاب والسنة أما سوى ذلك من كمالات الله تعالى فنحن لا نحصيه والنبي ﷺ قال: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" فجميع صفات الكمال واجبة لله تعالى، لكن الصفات المعبر عنها بالعشرين الواجبة يجب العلم بها بالتفصيل؛ وأما ما سواها فإنما يجب العلم به إجمالا. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) إلا أن المتكلمين وغيرهم اختلفوا في هذه المسألة فبعضهم يكتفي بالأدلة العقلية وبعضهم يقول إن الأدلة العقلية لابد منها أما وجوب اعتقاد وجود الله تعالى فهذا ليس محل خلاف بين المسلمين فالخلاف إنما هو في وسائل الاعتقاد هل هي الأدلة النقلية فقط أو الأدلة العقلية فقط أو النقلية وما كان يعضدها من العقل لكن مع ذلك الاعتماد على النقل إذا الأقسام ثلاثة:

- الأشاعرة يرون أن معرفة هذه الأحكام واجبة بالشرع بشرط العقل لأن العقل هو مناط التكلف إذ لا يصح تكليف دونه

- والماتريدية: يرون أن معرفة الله واجبة بالعقل استقلالا وما عداها واجب بالشرع.

- والمعتزلة لا يرون شيئا واجبا إلا بالعقل فما خفي على العقل يأتي الشرع مبينا له وما أدركه =

أهل السنة ﷺ خلافا للمعتزلة.

***

=

العقل يأتي الشرع مؤكدا له، وإلى هذا أشار ابن عاصم في مرتقى الأصول بقوله:

وقـــال أهـــل الاعـــتزال العقـــل ... لـــه مجـــال في الأمـــور قبـــل

ثـــم أتى الـــشرع مؤكـــدا لمـــا ... أدرك أو مبينـــا مـــا انبهمـــا

من درس شيخنا حفظه الله.

فصل في النظر وأنه أول واجب

ص:

أول واجـــب عـــلى المكلـــف إعمالـــه للنظـــر المؤلـــف
كي يـــستفيد مـــن هـــدى الـــدليل معرفـــة المـــصور الجليـــل
وتطمـــئن نفـــسه لمـــا ســـلم مـــن ورطـــة الجهـــل وللحـــق علـــم
فـــإن يكـــن قبـــل البلـــوغ حـــصلا ذاك وللمطلـــوب قـــد توصـــلا
فليـــشتغل بعـــد البلـــوغ بـــالأهم ثـــم الأهـــم فاتحـــا لمـــا انـــبهم

ش: أخبر الناظم رحمه الله أن أول الواجبات على المكلف[1] استعماله للنظر[2] الصحيح المركب من مقدمات[3] يقينية كي يستفيد من هدى الدليل أي من بيان الدليل وهو نتيجة معرفة[4] مولانا جل وعز المصور الجليل وتسكن نفسه حين

---

(1) المكلف هو العاقل البالغ السليم الحواس الذي بلغته الدعوة معناه أنه قبل البلوغ لا يجب عليه وإنما يندب له كالوضوء للصلاة قبل دخول الوقت وبناء على هذا إنما يجب على المكلف العاقل البالغ وكان في صدر الإسلام التكليف عاما على العقلاء البالغين والصغار وله أدلة منها أن النبي ﷺ ذات يوم مر أمامه صبي وهو يصلي "قال قطع صلاتنا قطع الله أثره فما قام بعد ذلك" هذا دليل على أن الصبيان كانوا مكلفين في صدر الإسلام بما يكلف به البالغ إذا كانوا عقلاء فنسخ ذلك من غير عوض واختص التكليف بالبالغين بعد الهجرة، فمن ولد أعمى أصم أو أبكم فهذا غير مكلف لعدم إمكان تفهيمه (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) والنظر: جولان الفكر في المعقولات

(3) من قضيتين صغرى وكبرى والصغرى هي المشتملة على موضوع النتيجة والكبرى مشتملة على محمولها نحو: العالم متغير وكل مغير حادث النتيجة العالم حادث لابد أن يكون التركيب من جملتين فالجملة الواحدة لا تنتج.

(4) اختلف المتكلمون هل المعرفة والعلم مترادفان أو المعرفة تتعلق بالجزئيات والعلم بالكليات فنقول: علمت الله ولا نقول عرفته لأن المعرفة في الكنه ومعرفته الله تعالى متعذرة بخلاف كونه واحدا.

=

سلمت من مشقة الجهل وظلمته وتطمئن إلى معرفة الحق[1] ووضوحه، وإنما قلنا: الصحيح إلى آخره. لأنه الذي يفيد المعرفة، وأما غير الصحيح فإن كان الخلل في هيئته كان من مقدمة واحدة أو بلا حد أوسط فلا يفيد شيئا إجماعا، وإن كان من مادته ففيه قولان: هل يفيد الجهل وهو الصحيح للمنطقيين، أو لا يفيد شيئا وهو المشهور عند المتكلمين.

قوله: فإن يكن قبل البلوغ إلى آخره: يعني أن هذا الواجب إن كان حصل قبل البلوغ وتوصل للمطلوب منه فليشتغل بعد هذا الواجب بالأهم فالأهم[2] من

=

وهذا مقتضى كلام الصحاح والقاموس وفرق بينهما أهل التصوف فقالوا: العلم ما حصل من طريق النظر والاستدلال، والمعرفة ما حصل من طريق الفيض الرباني على جهة الكشف فالأول علم مكتسب والثاني موهوب، والفيض في الاصطلاح: هو العلم اللدني المكتسب بالنور ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝﴾ ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ ، وفي الأثر: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم" وقال الإمام مالك ﷺ ليس العلم بكثرة الروايات وإنما هو نور يضعه الله في قلب من شاء من عباده. من درس شيخنا حفظه الله

(1) ذكر الناظم في حاشيته على صغرى السنوسي ما نصه: " ذهب الجمهور إلى وجوب المعرفة مطلقا وأن التقليد لا تبرأ به الذمة وهم فيما بينهم مختلفون فبعضهم يقول: المعرفة واجبة شرط في حصول الإيمان إما أنها نفس الإيمان أو الإيمان حديث النفس التابع للمعرفة فيكون شرطا وعلى هذا يكون المقلد كافرا ولم تبرأ ذمته من إثم الكفر والعياذ بالله وبعضهم يقول: المعرفة واجبة غير شرط وجوبا فرعيا كالصلاة وغيرها على المكلفين فمن تركها يكون عاصيا لله ورسوله ولم تبرأ ذمته من إثم المعصية، من شرح القدامسي مصدر سابق.

(2) يقدم الأهم على المهم والمهم بعد العقائد إذا خوطب الإنسان بوجوب الصلاة - أي بمجرد البلوغ – يجب عليه أن يعرف أحكام الصلاة وإذا بلغ وخوطب بوجوب الصوم – أي بشهود شهر رمضان - تجب عليه معرفة أحكام الصوم، وإذا بلغ وكان من أهل المال تجب عليه معرفة أحكام الزكاة. وأما اشتغال الإنسان بغير هذا مع تضييعه لفرض العين فهذا جهل عظيم وخطأ عظيم قال الهلالي:

وقدم الأهم إن العلم جم ... والعلم ضيف زار أو طيف ألم
أهمه عقائد ثم فروع ... وآلة تصوف بها الشروع

(من درس شيخنا حفظه الله)

واجبات الشرع فليقدم ما يجب عليه في دينه من صلاته وزكاته وصيامه وما يلزمه في بدنه ومعاملاته من نكاح وبيع وغير ذلك حتى يحصل ما يلزمه في خاصة نفسه ثم فيما فوق ذلك من فروض الكفاية إن لم يتعين عليه وإن تعينت عليه فهو كما يلزمه.

قوله: فاتحا لما انبهم عليه ولما انغلق من المشكلات على غيره، والله الموفق.

ص:

وفي المقلد خلاف مستطر لأنه إيمانه على خطر

وهو معرض لشك يطرق وفيه للأشياخ تنمى طرق

ش: يعني أن في المقلد[1] اختلاف هل هو مؤمن أو كافر، مستطر أي مكتوب في كتب العلماء[2]، وكل ينسب للجمهور، بل كل واحد يدعي الإجماع على دعواه، وشدد الشيخ في شرح الكبرى بخلاف سائر عقائده فإنه رجع إلى التحقيق.

قوله: لأنه إيمانه على خطر إلخ، هذا بيان وجه القول بعدم صحة إيمان المقلد

(1) التقليد ترك النظر؛ واختلف هل النظر واجب وجوب الأصول فيكون تاركه كافرا، بناء على أن التقليد لايكفي في العقائد؛ وقيل واجب وجوب الفروع فيكون تاركه مع القدرة مؤمنا عاصيا كتارك الصلاة والصوم والحج، وقيل: إن النظر مندوب لكن من فعله يثاب ثواب الواجب، فيكون تاركه مؤمنا غير عاص. والراجح أن المقلد مومن لأن النبي ﷺ اكتفى من جفاة الاعراب وجهلتهم بهذه الكلمة. فهذا هو الصحيح إن شاءالله تعالى، لكن هذا محله إذا كان المقلد لايرجع برجوع مقلده فإذا كان يرجع برجوع مقلده فإيمانه ليس بصحيح. ومثال المقلد الصرف وغيره: أنه إذا رأى شخص الهلال وأخبر شخصا به فصدقه واكتفى بذلك، فهذا هو المقلد الصرف؛ وغير الصرف: إذا أخبره أنه رأى الهلال لكن طلب منه أن يدله على رؤية الهلال ففعل، فهذا ليس بتقليد محض، لأنه أرشده إليه حتى عاينه. والتقليد حقيقة: هو الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله. ومن هذا معرفة التلامذة بعد أن يرشدهم الأشياخ للأدلة؛ فهم في الحقيقة عارفون لا مقلدون.

(2) قال أحمد الصاوي: "وحاصل ما انحط عليه كلام الأشياخ أن من عرف الله بالدليل ولو جمليا ولو لم يكن باصطلاح أهل الكلام فهو مؤمن اتفاقا ومن عرفه بلا دليل أصلا، بل بالتقليد ففيه أقوال"، انظر حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد، مصدر سابق، وهذه الأقوال هي التي ذكر الشارح.

لأن إيمانه على خطر وغرر؛ لأنه محل عروض الشكوك الطارئة لشبهة حدثت ويخشى على صاحبه الشك[1] ولاسيما عند الأمور المعضلات عند نزول الموت وأحواله ومساءلة القبر وأهواله[2] ثبتنا الله تعالى بفضله وكرمه بالقول الثابت في

---

(1) لأن المقلد في العقيدة إذا أتاه شخص وقلده في دينه ربما أتاه شخص آخر يثق به وشككه فيما أخذ عن هذا لأن إيمانه معلق بغيره، لاسيما عند الاحتضار وتكالب الشياطين عليه وزرع الشبه لأن الشياطين ربما تأتي المحتضر وتحبب إليه الأديان المنحرفة وربما تأتيه على صور من مات من أهله ويقولون له إنهم سبقوه إلى هذا وأن خير الأديان دين النصارى أو اليهود فهذا كله معرض له للخطر إذا لم يعصمه الله تعالى. انتهى من درس شيخنا حفظه الله .

(2) قال الحافظ الجلال السيوطي في منظومة التثبيت في ليلة المبيت:

يبدو له هنالك الشيطان يومي إليه قاله سفيان

قال الفاسي في شرحه على المنظومة عند تقريره لهذا البيت: يريد أن الشيطان ورد أنه يظهر ويقف في زاوية من زوايا القبر فإذا سئل الميت وقيل له من ربك أشار له إلى نفسه. أخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن سفيان الثوري أنه قال: إذا سئل الميت في قبره من ربك تزيا له الشيطان في صورة فيشير له إلى نفسه أنا ربك قال الحكيم: هذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعوا بالثبات فيقول: " اللهم ثبت عند المسألة منطقه وافتح السماء لروحه" فلو لم يكن للشيطان هناك تسلط لما كان يدعو له رسول الله ﷺ بذلك انتهى وقال شيخ شيوخنا العارف بالله العالم النحرير المحقق المدقق أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري طيب الله ثراه في حاشيته على صحيح البخاري: و حضور الشيطان في القبر حين السؤال لا يصح لأنه لا يجتمع مع الملائكة مع كون أمر القبر غيبيا أخرويا ملكوتيا ولا تسلط للشيطان فيه لأنه من عالم الشهادة وهو مقتضى قوله: "وعزتك لأغوينهم ما دامت الأرواح فيهم"، قوله تعالى: {وعزتي لأغفرن لهم ما استغفروني} وهذا هو الظاهر لا ما ذهب إليه في نوادر الأصول من كونه يحضر ويشير لنفسه إذا قيل للميت من ربك قلت: تأمل كلام الشيخ العارف بالله مع ثبوت استعاذة النبي ﷺ من الشيطان في ذلك المكان واستعاذة الصحابة منه هنالك أيضا كما تقدم - يعني حديث سعيد بن المسيب - لأن قول التابعي كانوا إنما يعني به أصحاب رسول الله ﷺ لا سيما على القول بأنه إخبار عن جميع الصحابة فيكون نقلا لإجماعهم انتهى من شرح منظومة الجلال السيوطي للعلامة يوسف بن محمد بن علي بن يوسف بن محمد الملقب بالفاسي الفهري نسبا، ص: 117-118 مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف، ذكر في خاتمته انه انتهى منه عام 1070هـ ثم خرجه من مبيضته عام 1090هـ انتهى.

الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قوله: وفيه للأشياخ إلخ، يعني أنه تنسب طرق لأشياخ أهل السنة في إيمان المقلد:

- فقيل: إنه ليس بمؤمن أصلا - والعياذ بالله. ونسب للشيخ الأشعري، وأنكر نسبته إليه وقال القشيري(1): مكذوب عليه،

ومثل ذلك أنكر المعاصرون للشيخ هذا عليه(2)؛

---

(1) وهو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف جمع بين الشريعة والحقيقة. صنف "الرسالة في رجال الطريقة" وكان له الفروسية في استعمال السلاح، ولد في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة وتوفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشمس سادس عشرين ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة بنيسابور ودفن بالمدرسة.وفيات الأعيان لابن خلكان ج3 ص 207

(2) قال السنوسي في الكبرى "وهو الذي عليه الجمهور والمحققون من أهل السنة" قال المنجور: "يعني الجمهور من المتكلمين وإلا فجمهور الفقهاء والمحدثين على أن المقلد مومن من أهل النجاة قاله غير واحد على أن الذي يعطيه سياق كلام المؤلف وفحواه أن مراده جميع علماء السنة على العموم وهذا تشديد كثير من الشيخ رحمه الله ونفعنا به على المقلد" وقيل وبسببه نازعه أهل عصره من أهل تلمسان كالشيخ ابن زكري وجماعة وأنكروا عليه تكفير المقلد ونسبة ذلك إلى الجمهور ويقال إن كبراه هذه هي أول ما ألف من عقائده وقد رجع في شرحي الصغرى والمقدمات عن هذا التشديد فراجعهما، شرح الحاشية الصغرى على كبرى السنوسي للمنجور مصدر سابق، ص 10.

وبعضهم قال بأن المقلد غير كافر لأن تكفيره خطأ عظيم لما فيه من تكفير عوام المسلمين وبعضهم قال: ليس كذلك لأن العوام يدركون بأن هذا العالم دال على صانعه وإن كان تركيب الدليل على حسب اصطلاح علماء المعقول لا يكلف به إلا الخواص وقد ورد أن أعرابيا سئل بم عرفت ربك قال: "البعرة تدل البعير وأثر الأقدام في التراب يدل على المسير فإذا رأيت أثر قدم إنسان فهذا يدل على مسيره هل رأت الإنسان نفسه؟ لا إنما هو أثره فقط فهذا الاستدلال ضمني وقيل لأديب بم عرفت ربك؟ قال بالنحلة في أحد طرفيها عسل وفي الآخر لسع وعسل مقلوب لسع. فأمثال هذه الأدلة لا تخفى على العوام وتخرجهم من ربقة التقليد. =

- وقيل: إنه مؤمن عاص بترك النظر[1]؛

- وقيل: إنه مؤمن ولا يعصي؛

- وأكثر المحققين من أهل السنة أن ذلك إنما هو خلاف حال فإن كان المقلد جاز ما بحيث لا يتردد فإيمانه صحيح، وإن كان في تردد فلا خلاف في عدم صحة إيمانه، وهذا هو التحقيق عند السبكي وغيره من المحققين[2].

=

ونقل عن القاضي أبي بكر بن الطيب ﷺ أنه قال لا يوجد مومن إلا وهو عارف إلا أن أحوالهم مختلفة في ذلك فمنهم قوي القريحة على أن يعبر عما في قلبه ليبرهن عليه ومنهم من عرف الله يقينا ولا قدرة له أن يعبر عما في قلبه ونقل عن طائفة من أهل العلم أن الله معروف بضرورة العقل وأنه غرز معرفة وجوده في خلقه وما أقيم من الأدلة على ذلك إنما هو استدلال على أنواع الضرورة وظاهر هذا عين ما أنكرت قلت ليس هذا عينه ولا يدل عليه أما قول القاضي فهو جار على أصله وأوصل الجمهور لأن التقليد لا تحصل معه حقيقة الإيمان وإنما تحصل معه المعرفة ولهذا كانت حقيقة الإيمان عند القاضي هو التصديق التابع للمعرفة. انظر شرح السنوسي على الكبرى المسماة بعمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن يسوف السنوسي، ص 39 طبع على نفقه أحمد الشاذلي الأزهري صاحب جريدة الإسلامي ومحررها سنة 1316هـ

(1) وقيل إن النظر شرط كمال، فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر، فقد خالف الأولى، قال السنوسي في شرحه على أم البراهين وهذا مذهب غير الجمهور واختاره ابن أبي جمرة والإمام القشيري والقاضي أبو الوليد ابن رشد والإمام أبو حامد الغزالي وجماعة والحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه شرطا في صحة الإيمان أولا؟ والراجح أنه شرط في صحته، انظر شرح السنوسي على أم البراهين ص 75 – 76 وبهامشه حاشية الدسوقي عليه، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1422/1هـ - 2001م

(2) وهناك قول: أن التقليد يكفي إذا قلد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنه قد قلد معصوما، وهذا ناج قطعا للثقة التامة بالمعصوم. قال شيخنا حفظه الله: وهذا أسلم الطرق عندي وليس بتقليد حقيقة، لأنه تقليد معصوم وصاحبه ليس معرضا للشك والمعرض للشك إنما هو تقليد غير المعصوم أو كان على غير ثقة وعلى كل فالخلاف في المقلد في كفره وعدم كفره إنما هو في الآخرة لأنه في الدنيا لا قائل بأنه يعامل معاملة الكفار بل يعامل معاملة المسلمين إذا مات يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويورث اتفاقا وعوام المسلمين محكوم بإيمانهم في الدنيا بلا خلاف لقول النبي ﷺ "إذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

=

ص:

وذو احتيـــاط في أمـــور الـــدين مـــن فـــر مـــن شـــك إلى يقـــين
ومـــن لـــه عقـــل أبى عـــن شرب مـــا لـــم يـــصف مـــذ ألـــفى زلالا شـــبما

ش: يعني أن من احتاط في أمر دينه وعقائده التي هي رأس ماله من تباعد عن شك التقليد، الذي اضطرب فيه أئمة أهل السنة بالكفر والعصيان، إلى يقين المعرفة التي أجمع العلماء على صحة إيمان صاحبها[1]، ولا يرضى عاقل[2] جازم أن يشرب من نجاسة كدر التقليد مع وجوده لزلال عذب المعرفة.

=

بحقها وحسابهم على الله". وأما أحكام الآخرة فمحلها القلب، من درس شيخنا حفظه الله وهذا هو القول الفصل في المسألة التي عمت بها البلوى بالجدال والتعصب

(1) وقد ورد في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "تكون فتنة في آخر الزمان يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من أجاره الله تعالى بالعلم" وبالجملة فالاحتياط في الأمور هو أحسن ما يسلكه العاقل لاسيما في هذا الأمر الذي هو رأس المال وعليه ينبني كل خير، فكيف يرضى ذو همة أن يرتكب منه ما يكدر مشربه من التقليد المختلف فيه ويترك المعرفة والتعلم للنظر الصحيح الذي يأمن معه من كل مخوف ثم يلتحق معه بدرجة العلماء الداخلين في سلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾، فلا يتقاصر عن هذه الرتبة المأمونة الزكية إلا ذو نفس ساقطة وهمة خسيسة لكن على العاقل أن ينظر أولا فيمن يحقق له هذا العلم ويختاره للصحبة من الأئمة المؤيدين من الله تعالى بنور البصيرة الزاهدين بقلوبهم في هذا العرض الحاضر المشفقين على المساكين الرؤفاء على الضعفاء المؤمنين فمن وجد أحدا على هذه الصفة في هذا الزمان القليل الخير جدا فليشد يده عليه وليعلم أنه لا يجد له والله أعلم ثانيا في عصره. (انظر شرح السنوسي على أم البراهين، مصدر سابق، 89 – 91).

(2) العقل نور روحاني تدرك به النفس الأمور الضروريات والنظريات يخلقه الله عند نفخ الروح في الإنسان ولا يزال ينمو حتى يكمل واختلف في انتهائه قيل عند البلوغ وقيل عند الأربعين واختلف في محله

- قيل في القلب وهو قول أهل السنة بدليل قوله تعالى ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾.
- قيل في الدماغ وهو قول الفلاسفة ومن وافقهم من أهل السنة والتوفيق بين القولين أن العقل محله القلب لكن له شعاع متصل بالدماغ (من درس شيخنا حفظها الله)

وقوله: شبما أي عذبا باردا. وهذا مثال التقليد والمعرفة على وجه الاستعارة.

ص:

فبـــان أن النظـــر الموصـــلا أول واجـــب كمـــا قـــد أصـــلا
وقـــد عـــزوه للإمـــام الأشـــعري وهـــو عـــن الإشـــكال والـــضعف عـــري
وقيـــل بـــل قـــصد إليـــه أول فـــرض وفرقـــة عليـــه عولـــوا
وقيـــل بـــل معرفـــة الخـــلاق أول واجـــب عـــلى الإطـــلاق
وغـــير واحـــد نمـــاه أيـــضا للأشـــعري المـــستمد فيـــضا
ولـــيس ذا مخالفـــا مـــا قبلـــه إذ هي قـــصد وســـواها وصـــله

ش: يعني أنك إذا عرفت كدر التقليد وصفاء المعرفة عن جميع الكدر بان لك أن النظـر الموصـل إلى المعرفـة أول واجـب عـلى المكلـف كمـا أصـلناه وبينـاه؛ لأن المعرفة واجبة إجماعا فكذلك ما يتوقف عليه وهو النظر الصحيح؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد نسبوا هذا القول للشيخ أبي الحسن الأشعري شيخ السنة واضع هذا الفن ﵁، وهو قول إمام الحرمين[1] والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني[2] وغيرهم. ولهم نسب

(1) هو أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغيره.

توفي ليلة الأربعاء وقت العشاء الأخيرة 25 من شهر ربيع الآخر سنة 478هـ ونقل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين وصلى عليه ولده أبو القاسم فأغلقت الأسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه وأكثروا فيه المراثي وكان تلامذته يومئذ قريبا من 400 فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج3، مصدر سابق، ص 167 - 170

(2) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن مهران الأستاذ أحد أئمة الدين كلاما وأصولا =

الشيخ هذا القول في شرح الكبرى[1].

وهذا القول عار عن الإشكال والضعف أي سالم منه عند الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وأما عند غيره فضعيف لأنه إما أن يكون من الوسائل فالقصد قبله فيكون هو الواجب أو المقاصد المعرفة لأنها المقصودة والنظر وسيلة إليه[2].

وقيل: إن أول الواجبات القصد إلى النظر الصحيح[3] أي توجه القلب إليه وقطع العلائق والشواغل والموانع ومن أكبرها الكبر والحسد والغل وبغض العلماء؛ حتى يفرغ قلبه لذلك[4]. واعتمدت جماعة على هذا القول وجعلوه هو الصحيح.

وقيل: إن أول الواجب معرفة الله تعالى، ونسبه غير واحد أيضا للشيخ المؤيد بفيض[5] العلم من الله تعالى.

وقوله: وليس ذا مخالفا إلخ هذا هو التحقيق: أن القولين غير متخالفين؛ لأن القول بالمعرفة نظر إلى المقاصد، والقول بالقصد نظر إلى الوسيلة، فكل واحد تكلم =

وفروعا جمع أشتات العلوم واتفقت الأئمة على تبجيله وتعظيمه وجمعه شرائط الإمامة، توفي يوم عاشراء 412هـ ووقعت بينه مناظرة مع القاضي عبد الجبار المعتزلي، انظر طبقات الشافعية للسبكي ج4، مصدر سابق، ص 262

(1) انظر شرح السنوسي على كبراه، مصدر اسابق، ص 5

(2) وقال القاضي أول واجب أول جزء من النظر وقيل أول واجب المعرفة، ويعزى للشيخ أيضا وهو في الحقيقة غير مخالف لما قبله لأنه نظر إلى أول ما يجب مقصدا وغيره نظر إلى أول ما يجب امتثالا وأداء وإنما اخترت من هذه الأقوال القول بأن أول واجب النظر لتكرر الحث على النظر في الكتاب والسنة حتى كأنه مقصد بخلاف ما قبله من الوسائل وإنما أخذ من قاعدة أن الأمر بالشيء أمر بما يتوقف عليه من فعل المكلف وفي تل القاعدة نزاع ثم هذا النظر كاف في معرفته تعالى وإن كان بغير معلم (انظر شرح السنوسي على كبراه ص 8، مصدر السابق).

(3) والقول بأن أول الواجبات النظر لا القصد إليه هو الذي يظهر، لأن القصد وسيلة إلى النظر والنظر وسيلة إلى المعرفة، فهو وسيلة وسيلة؛ والمعرفة هي المقصودة، والوسيلة القربى مقدمة على الوسيلة البعدى. (من درس شيخنا حفظه الله).

(4) انظر شرح السنوسي على كبراه، مصدر سابق، ص 7.

(5) فيض يطلقونه على الإلهام وفي الحديث "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بحكمته" قد كان من قبلكم مكلمون إن يكن في أمتي فعمر". (من درس شيخنا حفظه الله).

على الجهة التي لم يتكلم عليها الآخر[1]، فبهذا وفق الشيخ وغيره بين القولين[2].

***

(1) ولا تعارض بين المقصد والوسيلة لأن المقصد إذا حصل يسقط الوسيلة لأن الوسيلة غير مطلوبة لذاتها فالمطلوب منها الحصول على المقصد وإذا حصل المقصد استغني عن الوسيلة فالداخل في المسجد لا يطالب بالسعي إلى المسجد لأن السعي مجرد وسيلة فلا خلاف بين وجوب الشيء ووجوب وسيلته. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) فالقول بأنه المعرفة أراد أول ما يجب من المقاصد والقول بأنه النظر أراد أول ما يجب من الوسائل فليس هناك قولان في الحقيقة وما قررنا به كلامه من جعل "ما قبله" مرادا بالقول بالنظر فقط هو الذي اقتصر عليه الدمشقي وصدر به المنجور في تفسيره للفظ الكبرى المماثل للفظ الناظم. وذكر احتمالا آخر وهو أن يراد بما "قبله" جميع الأقوال المتقدمة وأن القول بالمعرفة غير مخالف لشيء منها وفسر الشنجيطي ـ يعني الشارح ـ "ما قبله" بقول القصد فجمع بينه وبين قول النظر تبعا للسنوسي في شرح القصيد والمقترح وابن زكري وإنما جعل هؤلاء الثلاثة الجمع بين هذين القولين لأن المقترح أبطل الإقرار والشك وأورد على قول النظر أن القائل به قدمه على المعرفة لتقدمه عليها وجودا فيقال: " القصد إليه سابق عليه" وضعف قول أول جزء من النظر بأن المطلوب جملة واحدة وجزء العبادة لا ينفرد بالوجوب كركعة من الصلاة فلم يبق إلا قولا المعرفة والقصد فجمع بينهما. والسنوسي وابن زكري ضعفا ما ذكرا من الأقوال إلا هذين القولين فلم يبق لهما إلا هما فجمعا بينهما. فكان اللائق بالشنجيطي أن لا يسلك سبيل هؤلاء الذين جمعوا بين قولي المعرفة والقصد لأن الذي حملهم على ذلك أنهم لم يبق لهم إلا هما بخلاف الناظم فقد بقي له هذان القولان والقول بالنظر فإما أن يحمل كلامه على أنه أراد الجمع بين قولي الأشعري ليلا يتعارض كلام الأشعري أو يحمل على العموم العام من قوله "ما قبله" لأنه يتناول كل قول ذكر قبله. من شرح العلامة سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ت 1250هـ، على إضاءة الدجنه، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

فصل في الحث على النظر

ص:

وجـــاء في القـــرآن والأخبـــار حـــث عـــلى الفكـــر والاعتبـــار

وهـــو عـــلى وجوبـــه قـــد دلا مـــع كونـــه بالقـــصد مـــا اســـتقلا

ش: يعني أنه جاء في القرآن وهو كتاب الله تعالى وكلامه المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه وأحاديث النبي ﷺ، وهو مراد الناظم بالأخبار، الحث: أي الحض على الفكر في مخلوقاته والاعتبار بها أي الاتعاظ فأمر تعالى في كتابه بالنظر(1) والاعتبار(2) والاستدلال بمخلوقاته في غير موضع وكرر ذلك في كتابه في غير آية ومدح المتفكرين ووعدهم جزيل ثوابه وذم المعرضين عن النظر والاستدلال وأوعدهم أليم عقابه؛ فدل ذلك على وجوب النظر والاستدلال؛ إذ العقاب على ترك الفعل دليل وجوبه.

وقوله: مع كونه بالقصد ما استقلا، يعني أن النظر وإن كان واجبا فإنه غير كاف وحده في جميع العقائد بل من العقائد ما لا يعرف بالدلائل العقلية وهي السمعيات من العقائد بل يلجأ فيها إلى السمع ويحتاج فيها إلى الشرع، وسيأتي إن شاء الله ذلك.

ويحتمل أن يريد الناظم أن الوجوب ما استقل به النظر أي ما انفرد به بل شاركه غيره من واجبات الشرع، ويحتمل أن يريد الناظم أن النظر لا ينفرد وحده

(1) وهو التفكر في ملكوت السموات والأرض وقد ورد في الحديث "تفكروا في المخلوقات ولا تتفكروا في الخالق". لأن العقل قاصر عن التفكر لأن دائرته ضيقة عن إدراك الكنه (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) الاعتبار مأخوذ من العبور وهو الخروج من ظواهر الأشياء إلى بواطنها من عبر النهر إذا قطعه وكذلك اعتبر أيضا إذا أخذ علما نتيجة من شيء آخر أي استنتج غير حاصل من حاصل. فالاعتبار واجب، لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝﴾ لأن الأمر إذا تجرد من القرائن كان للوجوب (من درس شيخنا حفظه الله).

بالمقصود دون الشرع؛ لأن الباطل يلابس الحق في مسالكه ويشاكله فلا يأمن العقل الخطأ والوقوع في الباطل إذا لم يؤيده الشرع. فصار مريد هذا الفن محتاجا للأمرين: النظر الصحيح، الموافق للشرع،

وإلا ضل وابتدع؛ إذ كل نظر مصادم للشريعة فهو باطل، والله أعلم.

مع أن الكتاب ما أخذته رواية وإنما لنا فيه إجازة، والنسخة الواصلة إلينا هي ما ترى، والله أعلم.

ص:

واقـــرأ وفي أنفـــسكم مـــع أفـــلا تظفـــر برشـــد نـــوره مـــا أفـــلا

واســتجل معـنى مـن لنفـسه عـرف تلحـق بمـن مـن نهـر عرفـان غـرف

ش: يعني أنك إذا قرأت قوله تعالى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾[1] المعطوفة على قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ مع ما شابهها من الآيات كقوله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ يظهر لك من بيان الدليل نتيجة علم واضح وضوحا لا يقبل التشكيك ولا التوهم، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نوره ما أفلا: علمه لا يغيب وضوحه ولا يخفى؛ إذ لا يشك عاقل إذا تفكر في نفسه (وفي أحواله أنه مسبوق بعدم مفتقر غاية الافتقار عاجز عن إيجاد شيء لنفسه ولغيره جاهل)[2] وأن خالقه ورازقه سبحانه هو الذي خلقه ورزقه وأحياه ويميته وأنه على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علما، وأن ذلك معنى قوله ﷺ.

"من عرف نفسه فقد عرف ربه"[3] فمن أجال معنى هذا الحديث الكريم

---

(1) وفي نسخة (ب) سئل الناظم عن مراده بها حين أقرأها في الحرم المكي، هل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾، أو ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾، فأجابه بقوله: لم أقصد ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ لكن الأولى أن يكون كذلك، فقال له الشيخ أنت من أي البلاد فقال: من العراق. قاله سيدي عبد الله بن محم بن القاضي.

(2) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ب).

(3) هذا الحديث غير ثابت وإنما ذكره الشارح تبعا للسنوسي في كبراه في ص 33 من شرح الكبرى =

والآية الكريمة وحققه وتأمله لحق بمن روى من نهر المعرفة وانتفت عنه الشكوك والأوهام في حق خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته؛ إذ كل صفة من صفاتنا تدل على صفة من صفاته تعالى حدوثنا يدل على قدمه، وعجزنا يدل على قدرته، وجهلنا يدل على علمه، وفناؤنا يدل على بقائه، وقس على هذا جميع صفاتنا وصفاته.

ص:

ومـن يقـدم نفـسه عنـد النظـر مؤلفـا مـن القـضايا مـا حـضر

=

وقد ألف فيه الجلال السيوطي رسالة سماها "القول الأشبه في حديث من عرفه ربه" فقال: (الحمد لله وبعد فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الأسئلة "من عرف نفسه فقد عرفه ربه" وربما فهم منه معنى لا صحة له وربما نسب إلى قوم أكابر ورقمت في هذه الكراسة ما يبين الحال ويزيل الإشكال وفيه مقالات:

المقال الأول: إن هذا الحديث ليس بصحيح وقد سئل عنه النووي في فتاويه فقال: إنه ليس بثابت وقال ابن تيمية موضوع وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة ذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحي بن معاذ الرازي.

المقال الثاني: في معناه قال النووي في فتاويه معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى وفي هذا الحديث تفسير آخر وهو أنك تعرف صفات نفسك على الضد من صفات ربك – كما ذكر الشارح - فمن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء ومن نفسه بالجفاء والخطإ عرف ربه بالوفاء والعطاء وهكذا، ومن عرف نفسه كما هي عرفه نفسه كما هو واعلم أنه لا سبيل إلى معرفة إياك كما إياك فكيف لك سبيل إلى معرفة إياه كما إياه؟ فكأنه في قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه معلق على مستحيل لأنه مستحيل أن تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها فإنك إذا كنت لا تطيق أن تصف نفسك التي هي بين جنبيك كيف تعرف ربك؟ قال القونوي في شرح التعرف ذكر بعضهم في هذا الحديث أنه من باب التعليق بما لا يكون فذلك أن معرفة النفس قد سد الشارع بابها لقوله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ فنبه بذلك على أن الإنسان إذا عجز عن إدراك نفسه التي هي من جملة المخلوقات وهي أقرب الأشياء إليه فهو عن معرفة خالقه أعجز بل هو عاجز عن إدراك حقيقة قوله وحواسه وسمعه وبصره وشمه وكلامه وغير ذلك فكيف يعرف ربه؟ انظر الحاوي للفتاوي للحافظ السيوطي ج2 ص 291 الناشر دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان 1424هـ 2004م.

يقـــس بـــشكل بـــين الإنتـــاج إذ خلقـــه مـــن نطفـــة أمـــشاج
وبعـــد أن لـــم يـــك شـــيئا صـــارا حيـــا حـــوى الأســـماع والأبـــصارا
والحكمـــــة الرائقـــــة العيـــــان والفـــــصل بـــــالمنطق والبيـــــان
والعقـــل والغـــوص عـــلى الحقـــائق والعلـــــم بـــــالأسرار والـــــدقائق
وغيرهـــا مـــن أمـــره الغريـــب وحـــصره يعـــيي قـــوى الأريـــب

ش: يعني أنك إذا قرأت الآية الكريمة والحديث الكريم وامتثلت ما فيهما فإنك تقدم نفسك أي النظر والاستدلال وهي أقرب الأشياء إليك وأبينها عندك وهذا الدليل هو أوضح الأدلة وأقربها وإن قل جوده في كتب الأئمة، ذكره الإمام ابن مرزوق[1] في عقيدته، وصدر به الشيخ في عقيدته الكبرى[2]، وإياهم اتبع الناظم رَحِمَهُ اللهُ فقال: ومن يقدم نفسه عند النظر... إلخ، فيركب من القضايا ما حضره فيركب قياسا[3] من الشكل الأول الذي هو أشرف الأشكال وأبينها فيقول: أنا حادث وكل

(1) الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العسجيلي التلمساني أبو الفضل عرف بالحفيد وهو الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المطلع المحقق الكبير الثقة الثبت الفقيه النظار المجتهد المصنف له مؤلفات كثيرة مفيدة منها: تأليف في مناقب شيخه الولي إبراهيم المصمودي وتفسير سورة الإخلاص على طريق الحكماء وشرح الجامع الصحيح للبخاري روضة الأريب في شرح التهذيب والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل، وإيضاح المسالك على ألفية بن مالك لم يكمل، وله فتاوى كثيرة في فنون متنوعة انتشرت شرقا وغربا ذكر جملة منها المازوني والمعيار وله أيضا عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد على أسلوبه بنى السنوسي كبراه، ولد ليلة الاثنين 14 ربيع الأول عام 766هـ (انظر كفاية المحتاج مصدر سابق ج1، ص 137 – 145

(2) انظر شرح السنوسي على كبراه مصدر سابق، ص 7

(3) قال الأخضري في السلم:

إن القيـــاس مـــن قـــضايا صـــورا مـــستلزما بالـــذات قـــولا آخـــرا

معناه أنه يجمع بين قضيتين صغرى وتكون النتيجة بحذف الحد الوسط بين القضتين فتقول: أنا لم أك شيئا، هذه صغرى وما كان قبل أن لم يكن فهو حادث هذه كبرى، النتيجة: =

حادث لابد له من محدث فينتج: أنا لابد لي من محدث.

أما المقدمة الصغرى فصدقها ظاهر إذ هي ضرورية لا تحتاج لنظر واستدلال إذ لايشك عاقل في أنه لم يكن ثم كان وأن شكله وصورته لم يكن ثم كان وأنه ذو أحوال متباينة من منشئه إلى كبره إلى موته؛ إذ خلقه الله تعالى من نطفة أمشاج ثم علقة ثم مضغة ثم جسما ثم نفخ فيه الروح، وبعد أن لم يكن شيئا صار حيا ذا سمع وبصر.

والحكمة الرائقة العيان والإتقان المعجب للعيان ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ ثم تفضل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالمنطق الفصيح والبيان عما في الضمير وغيرها وعقل التمييز والاطلاع على حقائق الأشياء والعلم بأسرارها وعجائبها وغير ذلك مما اشتملت عليه صورته من الغرائب يعجز عن حصرها إدراكات العقلاء ولا يحيط به علما إلا خالقه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ومن طالع كتب التشريح[1] أعجزه دقائق صنعه تعالى في عضو واحد من أعضائه فكيف بكلها؟

فهذا معنى قوله: يعي قوى الأريب، جمع قوة وهي الإدراكات، والأريب العاقل، هذا كله دليل صغرى المقدمتين، وأما دليل المقدمة الكبرى فأشار إليها بقوله:

أنا حادث.

(1) يعني بالتشريح تشريح جثث الموتى ووظائف الأعضاء وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان ويقول ابن رشد الحفيد من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله، ومن الكتب المؤلفة في علم التشريح:

- كتب ابن سينا في الطب كالقانون وغيره وقد جمع ابن النفيس ما ذكره ابن سينا متفرقا في كتبه عن التشريح وسماه شرح كتاب التشريح من قانون ابن سينا
- كتاب الحكمة لحجة الإسلام الغزالي
- المباحث المشرقية للإمام فخر الدين الرازي بالإضافة إلى ما ذكر في تفسيره
- الرسالة الكاملية لابن النفيس إلى غير ذلك.

ص:

ومستحيل خلقه لنفسه لعجزه عن غيرها من جنسه
بل غيرها في الخلق منها أسهل لأنه تهافت لايجهل
إذ فيه تقديم وتأخير معا وهو تناف ظاهر لمن وعى

ش: يعني أن المقدمة الكبرى وهو قولنا: وكل حادث له موجد، ذهب جماعة إلى أنها ضرورية كالأولى حتى قال الإمام فخر الدين الرازي(1): إنها مركوزة في فطرة الصبيان بل في فطر البهائم، ورد عليه ذلك كما في شرح الكبرى(2).

والصحيح أنها نظرية إلا أنها تحصل بنظر قريب ولقربه نظر الإمام الفخر أنها ضرورية وبيان ذلك أن الحادث إذا تحققنا حدوثه وحققنا وجوده بعد عدم لا يخلو وجوده إما أن يكون من ذاته أو غيره فمحال أن يكون من ذاته، كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبين ذلك بقوله: لعجزه عن غيرها، يعني أن كل عاقل يدرك بالضرورة عجزه عن إيجاد غيره من جنسه لأن إيجاد غيره أسهل عليه وأهون من إيجاده نفسه لما في إيجاده من التهافت(3) وهو التناقض الذي لا يجهله كل أحد وهو تقدمك على

(1) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام فخر الدين الرازي بن الخطيب الري إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع بالشاسع حقائق المنطوق والمفهوم والارتفاع قدرا فكان بحرا لا يجارى ولد سنة 544- وقرأ على والده الخطيب وكان من تلامذة محيي السنة محمد البغوي واشتهرت مصنفاته في الآفاق وأقبل الناس على الاشتغال بها ومن تصانيفه المطالب العالية ونهاية العقول والأربعين والمحصل والبرهان في الرد على أهل الزيغ وكان شاعرا ومن شعره:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

توفي رحمه يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة 606- (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج4 ص 167 – 170 مصدر سابق).

(2) انظر شرح السنوسي على كبراه ص 8 مصدر سابق.

(3) التهافت التساقط ومنه تهافت البناء إذا كان كل ما أقيم منه جانب سقط جانب آخر ومنه تهافت الجراد في النار ليلا وأصله الثوب الممزق البالي من شدة اندراسه ووجه التهافت هنا =

نفسك وتأخرك عنها وهو جمع بين متنافيين وهو ظاهر لمن حفظه ووعاه أي لكل عاقل؛ لأن العاقل هو الذي يصح منه الوعي، وبيان ذلك: أنك إذا أوجدت نفسك وجب أن تتقدم عليها لكونك فاعلا، والفاعل قبل الفعل ضرورة، ووجب أيضا أن تتأخر عن ذلك لكونك فعلا لها، والفعل يجب تأخيره عن الفاعل ضرورة؛ فقد أدى هذا إلى جمع بين الضدين وهو: تقدمك عن نفسك وتأخرك عنها وأحدهما محال فكيف يجمعها؛ إذ الشيء لا يتقدم على نفسه ولا يتأخر عنه لما يلزم فيه من المحالات.

وإذا بطل أن يكون من ذاتك بطل أيضا أن يكون من مماثلك لمساواته لك فيعجز كعجزك؛ تعين أن يكون وجودك من غيرك غير مماثل لك ولا مساو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۞﴾ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ص:

ولا تصح نسبة التأثير لنطفة بالطبع في التقدير

لأنه مفض إلى شكل الكره ومنعه أظهر من أن تذكره

ش: اعلم أن التأثير على ثلاثة أقسام بحسب التقسيم العقلي، وذلك أن الفاعل:

إما أن يصح منه الترك للفعل، أولا؛

الأول هو الفاعل المختار وشرطه أن يكون قادرا مريدا عالما حيا إلى غير ذلك من صفات الكمال.

الثاني هو الذي لا يصح منه الترك إما إن يتوقف تأثيره على شرط وانتفاء مانع أو

= اجتماع الضدين إذ فيه تقديم وتأخير لأنه من جهة كونه خالقا ينبغي أن يتقدم ومن جهة كونه مخلوقا ينبغي أن يتأخر واجتماع التقديم والتأخير في آن واحد مستحيل مع أن هذه المسألة ضرورية وإقامة الدليل عليها مما لا يحتاج إليه ولعلهم ذكروها شحذا للذهن فقط وإلا فهي من الضروريات التي لا تحتاج لإقامة الدليل ولا يمكن للإنسان أن يكون خالقا لنفسه ولا يدعي ذلك أحمق الناس حتى يقام عليه الدليل (من درس شيخنا حفظه الله).

لا الأول الطبيعة، والثاني العلة. وهذان القسمان محالان عند أهل السنة وجودهما وتأثيرهما[1].

فإذا عرفت هذا فقد قدم الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن ذاتك محتوية من حيث جملتها ومن حيث أجزائها على عجائب الصنع ودقائق الأسرار، وأن اختصاصها بما اختصت به جملة وتفصيلا بدلا عن نقائصها الجائزة عليها دليل على اختيار فاعلها لذلك واختصاصها بذلك؛ فدل ذلك على أنه فاعل بالاختيار لا بالإيجاب كالطبيعة والعلة.

ومن ثم قال الناظم: ولا تصح نسبة التأثير إلخ يعني أن النطفة يستحيل نسبة الإيجاد إليها لا بالاختيار ولا بالإيجاب، وهو معنى قول الناظم: في التقدير، أي في كل تقدير قدرت، فالألف واللام للعموم، أما سلب الاختيار عنها فلأنها جماد لا حياة لها ولا قدرة ولا إرادة (ولا غير ذلك من شروط الاختيار)[2].

فإذا كنت أنت مع اتصافك بما أنت عليه من الحياة والعقل والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام عاجزا عن إيجادك فإن يعجز عنه جماد لا يسمع ولا يبصر أولى.

وأما بطلان تأثيرها بالإيجاب لكونها علة لوجودك أو طبيعة فظاهر أيضا؛ لأن

---

(1) الفلاسفة يزعمون أن المؤثر إما أن يكون مؤثرا بإرادة واختيار، أو بالطبع، أو بالعلة.

- المؤثر بالطبع تشترط فيه أشياء أن ينشأ شيئ عن شيء آخر من غير إرادة ولا اختيار ويتوقف عليه حصول الشرط وانتفاء المانع ويمثلون له بإحراق النار فيقولون إن النار محرقة بطبعها لكن لابد من حصول الشرط وهو المماسة إذ لا يقع حرق دون مماسة وانتفاء مانع وهو البلولة فإذا حصل الشرط وهو المماسة وانتفى المانع وهو البلولة حصل الإحراق عندهم هذا هو الذي يقولون له المؤثر بالطبع

- المؤثر بالعلة عندهم أن ينشأ شيء عن شيء آخر من غير إرادة واختيار من غير توقف على شرط وانتفاء مانع كحركة الخاتم بحرك الأصبع فكل ما تحرك الأصبع تحرك الخاتم إذ حركة الخاتم معللة بحركة الأصبع وحركة الأصبع علة لحركة الخاتم.

- المؤثر بالإرادة والاختيار لابد أن يكون حيا قادرا عالما. وهذا لا يتصف به إلا الله تعالى (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ب).

العلة لا تخصص وقد اختصت ذاتك بمقدار معلوم بدلا من غيره وبصفات مخصوصة وبمكان وبزمان وبأجزاء كل جزء كذلك بمقداره وصفته ومحله ومنافعه المخصوصة بدلا عن غيرها؛ فدل ذلك على أن النطفة يستحيل كونك أثرا لها لا بطريق العلة ولا بطريق الطبيعة، وهذا معنى قول الناظم: ولا تصح نسبة التأثير لنطفة بالطبع، أي وكذلك العلة إذ هي معناها إذ تأثيرهما عند من يقول بهما بالإيجاب لا بالاختيار.

وقوله: لأنه مفض إلى شكل الكرة، هذا دليل آخر على استحالة كون النطفة طبيعة لذاتك، وتقريره أن يقال: لو كانت النطفة طبيعة لذاتك لكنت على شكل الكرة؛ إذ ذاتك شكلها إذ يقولون: إن الطبيعة المتساوية في كل وجه تقتضي شكلا متساويا من كل وجه؛ إذ تجب موافقة المطبوع للطبيعة[1]، لكن التالي باطل وهو كونك على شكل الكرة، فالمقدم مثله وهو كون النطفة طبيعة لك.

وقول الناظم: ومنعه أظهر من أن تذكره؛ لأنه ظاهر للعيان من اختصاص ذاتك بكون بعضها يدا وبعضها رجلا وبعضها رأسا إلى غير ذلك من أجزائها؛ فبان لك بهذا البرهان فائدتان:

- **الأولى**: كون فاعلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مختارا ليس بعلة ولا طبيعة؛

- **الثاني**: استحالة تأثير النطفة في ذاتك بالأقسام الثلاثة، وهو المطلوب. والله الموفق.

---

(1) الفلاسفة يزعمون أن المطبوع على هيئة الطبيعة فمن أحرقته النار صار نارا على هيئتها، والإنسان ليس على شكل النطفة لأن النطفة كروية والإنسان ليس كذلك فله يد ورجل وعروق.

والتأثير من النطفة بالاختيار مستحيل أيضا لأنه لابد له من الحياة والعلم والقدرة، وهي جماد.

والتأثير بالعلة مستحيل أيضا لأنه ينشأ عنه عدم انتهاء المخلوقات لأنه إذا كان التأثير علة يكون لا نهاية له والمخلوقات لها نهاية قطعا فدل ذلك على أن خالقها فاعل بالاختيار ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (من درس شيخنا حفظه الله).

ص:

فـإن نظـرت في الـسماوات العـلى ... ومـا لهـا مـن الـشيات والحـلى
وسـقفها المرفـوع مـن غـير عمـد ... والنـيرات المـشعرات بالأمـد
ومـا حوتـه الأرض والبحـار ... أبـصرت مـا فيـه الـنهى تحـار

ش: ولما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الاستدلال على وجود مولانا جل وعز بذات الإنسان بعد ثبوت حدوثها استدل بذلك على حدوث العالم كله من طرفه الأعلى إلى طرفه الأسفل يستحيل أن يكون شيئا منه قديما. وتقدير الدليل أن تقول: العالم أجرام قامت به أعراض كانا وكل من كان كذلك فهو حادث مثلي، فنتج: العالم حادث مثلي، وهو المطلوب.

والمقدمة الصغرى ضرورية والكبرى إن حققت حدوثك كذلك إذ الحدوث واجب لك وكذلك كل جرم مثلك يجب له ما يجب لك؛ إذ حقيقة المثلين هما المتساويان في جميع صفات النفس وهي جوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات، وإلا كان مثلا غير مثل، وهو محال. وقد وجب لذاتك الحدوث واستحال عليها القدم وجاز عليها الوجود والعدم، فكذلك جميع العالم من عرشه إلى فرشه.

وما ذكرنا من تمثيل الأجرام كلها سواء نورانيتها وظلمانيها كثيفها وروحانيها بسيطها ومركبها فالسماء والأرض والجبال والماء والنار والريح وغير ذلك مماثلة لا نوع تحتها، فتمييزها بالعوارض لا بالذاتيات عند المتكلمين خلافا للمناقطة. ومقصد المناطقة تقريب الحقائق للأفهام رضي الله عن الجميع.

قوله: فإن نظرت في السماوات العلى، وما فيها من اختلاط الأحوال والصفات، وسقفها المرفوع بغير عمد[1]، ونيراتها من شمس وقمر ونجوم وطلوعها وأفولها

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فقوله ترونها صفة لعمد لكنها اسم جمع عمود فصح أن يرجع عليه ضمير الإناث وهو صادق بأن لا عمد لها أصلا كما يصدق بأن لها عمدا أخفاها الله، فالسالبة تصدق بنفي الموضوع (من درس شيخنا حفظه الله).

واختلافها في سيرها ومنازلها[1] الذي جعل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذلك سببا لمعرفة الزمان سنينه وشهوره وأيامه وساعاته وفصوله، وما حوته الأرض من سهل وجبل وطيب وضده وأشجار وقفار ونبات ومعادن وحيوانات ووحش وبحار وما حوته من عجائب المخلوقات علمت من حدوثها وعجزها وافتقارها أن لها موجدا خالقا مباينا لجميعها ظاهرا لا يخفى وباطنا تحار فيه العقول وتعجز عن إدراكه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكل ذلك دل بحدوثه على كمال صانعه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ص:

هـذا ومـا قـد غـاب عنـا أكـثر	مـن البـدائع الـتي لاتحـصر
فهـل يكـون الـصنع دون فاعـل	أو وضـعه مـن غـير جعـل جاعـل
كـلا لقـد أفـصحت الأكـوان	عـن فعـل رب مـا لـه أعـوان
مـن أذعنـت لقهـره الأمـلاك	وانتظمـت عـن أمـره الأسـلاك
وأشرقـت مـن نـوره الأحـلاك	وسـبحت بحمـده الأفـلاك

ش: يعني أن ما أدركنا من عجائب المخلوقات بحواسنا كلا شيء بالنسبة لما أدركنا بعقولنا، وما أدركنا بعقولنا كلا شيء بالنسبة لما غاب عن حواسنا وعقولنا[2]. قال الله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وهذا كله من عجائب الصنعة التي لا يحيط بها إلا خالقها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هل يمكن أن يكون من غير فاعل؟ أو جعل هذه المخلوقات كلها كل على ما هو عليه من علو وسفل وغيرها من غير جعل جاعل لها؟ كلا، والله لا يكون ذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

---

(1) معناه أجزاء الدهر وللشارح تأليف في هذا المجال مفيد جدا سماه روضة الأفكار في علم الليل والنهار كما قدمنا.

(2) ويقال إن الإنس عشر الجن، وهما عشر الطير، وهؤلاء كلهم عشر دواب البحر، وجميع هؤلاء أيضا عشر أهل السماء الدنيا ويتضاعف إلى ما لا نهاية ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (من درس شيخنا حفظه الله).

قوله: لقد أفصحت إلخ أي أبانت وأعلنت بلسان حالها وبلسان مقالها أنها مخلوقة للمولى المنزه عن الشريك والأعوان الذي أذعن لقهره وسلطانه، أي خضع جميع الأملاك[1] بل جميع الكائنات، وانتظمت، أي جمعت الطرق والمنافع التي هي كالقلائد عن أمره أي شأنه الذي هو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ أو عن أمره ونهيه وأضاءت الظلم من نوره حسا ومعنى، ونزهته عما لا يليق به جميع الكائنات المعبر عنها بالأفلاك؛ لأن العالم كله محصور في الأفلاك التسعة[2] ومحصوراتها كما قاله الحكماء، والأحلاك جمع حَلَكَ وهو شدة الظلمة استعارها للجهل، والله أعلم.

***

(1) جمع مَلَكٍ أو مَلِكٍ إذا كان مَلكا فالملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ فهم مجبولون على الطاعة، وإذا كان ملِكا فالملوك قهرهم الله تعالى بالموت وزوال الملك، يرفع ويضع ويعز ويذل. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) والأفلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الأرض والأرض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك وأقربها من الأرض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الأفلاك وفوقها فلك المريخ وفوق فلك المريخ فلك زحل وفوق كل فلك من هذه الأفلاك كوكب واحد وفوق زحل الفلك الثامن والفلك التاسع هو أرفع وأعظم يحيط بالأفلاك دونه، وهو عار من النجوم والدراري ويسمى فلك الأطلس وفلك العرش يدور بجميعها دورتين ليلية ونهارية فالخلق كلهم مسجونون في هذا الأفلاك (انظر شرح روضة الأفكار في علم الليل والنهار للشارح ص 31 مصدر سابق).

فصل في الصفة[1] النفسية[2] والسلبية[3] وما ينافيها

اعـرف مـن الـصفات مـا الـدليل دل عــلى وجوبـــه لـــه عـــز وجـــل
وهي الوجــــود والبقـــاء والقـــدم وانـــف الحـــدوث والفنـــاء والعـــدم

ش: يعـني أن النـاظم ذكـر في هـذا الفـصل وجـوب سـت صـفات واسـتحالة أضدادها وبراهينها، فقال: واعرف، وجوبا عليك أيها المكلف، من الصفات ما دل الدليل على وجوبها له ﷻ، وهي: الوجود، والبقاء[4]، والقدم[5]

(1) الصفة معنى وجودي يقارن الموصوف وربما يطلقونها على ما ليس بذات فإذا أطلقت على معنى وجـودي قـام بالموصوف فهـذه تختص بـصفات المعـاني لأن الـصفة الـسلبية ليـست وجودية.

(2) الصفة النفسية هي التي لا يتعقل موصوفها دونها والصفة النفسية عندهم بالنسبة للخالق: الوجود وهو أن الله حق، إلا أن المتكلمين يقولون: الله موجود وأهل الحديث يقولون: الله حق والأمر سهل إن شاء الله لأن المآل واحد هذه هي الصفة النفسية بالنسبة للخالق ولا تختص بالخالق لأن كل موجود له صفة نفسية تميزه كالجوهر صفته النفسية تحيزه والعرض صفته النفسية كونه لا يقوم بنفسه كالبياض لابد له من جرم يحل فيه كالحركة والسكون ولا يتعقل عرض دون جوهر ولا جوهر دون تحيز (من درس شيخنا حفظه الله).

(3) السلبية سميت بذلك لسبها عن الله ما لا يليق

(4) وهو استمرار الوجود إلى غير نهاية.

(5) وجوده لا بداية له ولا نهاية له وقد اختلف العلماء هل القديم من أسمائه تعالى بدليل قوله تعالى ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾، والقدم بهذا المعنى على الله تعالى محال لأن وجوده ﷻ لا يتقيد بمكان ولا زمان لحدوث كل منهما فلا يتقيد بواحد منهما وهل يجوز أن يتلفظ بلفظ القديم في حقه تعالى فيقال هو جل وعز قديم لأن معناه واجب له جل وعز عقلا ونقلا أو لا يتلفظ بذلك وإنما يقال يجب له تعالى القدم ونحو هذا من العبارات ولا يطلق عليه في اللفظ اسم القديم لأن أسماءه جل وعز توقيفية؟ هذا مما تردد فيه بعض الأشياخ لكن قال العراقي في شرح أصول السبكي وعده الحميلي من الأسماء وقال لم يرد في الكتاب نصا وإنما ورد في

وانف عنه أضدادها وهي: العدم ضد الوجود؛ والفناء ضد البقاء؛ والحدوث ضد القدم.

ثم شرع في برهان الوجود، فقال:

ص:

أما الدليل لوجود الحق سبحانه فهو حدوث الخلق
لأنه من المحال الباطل وجود فعل ما بدون فاعل
إذ فيه جمع المتنافيين في واحد من متساويين
أي كونه مساوي المقابل له وراجحا بغير جاعل

ش: يعني أن دليل وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو حدوث الخلق أي إبرازه للعيان بعد العدم، وقد مر تقريره في ذاتك وفي غيرك من أجزاء العالم من طرفه الأعلى إلى طرفه الأسفل، وسيزيده بيانا إن شاء الله تعالى هنا.

فقال: لأنه...إلخ، أي لأنه من الكذب الواضح الذي لا يخفى إخراجه من العدم إلى الوجود من غير فاعل؛ إذ فيه على هذا التقرير الفاسد وهو خروجه من العدم بغير فاعل ما يجمع بين متنافيين وهو المساواة والرجحان بلا مرجح؛ لأن المساواة ضد الرجحان والرجحان ضد المساواة، فالجمع بينهما في واحد جمع بين الضدين =

السنة وقال العراقي وأشار بذلك إلى ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه عد القديم من التسعة والتسعين انتهى كلام السنوسي.

قال الدسوقي في حاشيته: عليه إن قلت إن هذا الحديث الذي رواه ابن ماجه حديث آحاد وخبر الآحاد ظني والظني لايعول عليه في الأصول القطعية الاعتقادية؟ فالجواب أن التسمية من باب الأمور العملية لا من باب الأمور الاعتقادية والعملية يكتفى فيها بالظني. (انظر شرح السنوسي على أم البراهين وبهامشه حاشية الدسوقي عليه (ص 102 - 103 مصدر سابق)

والقديم تغني عنه الأول، والآخر تغني عن الباقي؛ فكلاهما صفة ثابتة لله كتابا لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وسنة لقول النبي ﷺ "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء" (من درس شيخنا حفظه الله)

وهو محال.

ثم بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجهات المتقابلات على الممكنات وهي ستة كما في المقدمة فقال:

ص:

كالوقت والوجود مع سواه ... فإنه لذاته ساواه

فكيف صار راجحا بلا سبب ... وهكذا كل مساو في الرتب

من جهة مخصوصة أو قدر ... خص ووصف أو مكان فادر

ش: يعني أن الجهات المتقابلة على الممكن المتساوية عليه يستحيل ترجيح واحد منها على مقابله بلا مرجح: ستة: الوجود؛ والوقت؛ والقدر؛ والصفة؛ والمكان؛ والجهة.

فوجوده مساو لعدمه، وزمانه المخصوص مساو لغيره من الأزمنة، وقدره المخصوص مساو لغيره من المقادير، وصفاته المخصوصة مساوية لغيرها من الصفات، ومكانه المخصوص به مساو لغيره من الأمكنة، وجهته المخصوصة مساوية لغيرها من الجهات.

فكل واحد من هذه الست لايترجح على مقابله بلا مرجح، وإلا لزم المساواة والرجحان، وهو جمع بين الضدين.

وهذا الذي ذكر من مساواة الوجود والعدم في حق الممكنات هو مذهب الأكثرين.

وذهب بعض أهل السنة إلى أن العدم في حق الممكن أولى من وجوده لأصالته وعدم احتياجه إلى سبب، وعلى هذا فترجيح المرجوح بلا سبب أظهر.

ثم شرع في رهان القدم، فقال:

ص:

وفي دليـــل القـــدم المقـــرر وجوبـــه بالمطلـــب المحـــرر
تقـــول لـــو ركبتـــه لـــو انـــتفى عنـــه لكـــان حادثـــا بـــلا خفـــا
وهـــو مـــؤد لافتقـــاره إلى مـــؤثر لمـــا عرفـــت أولا
وتنقـــل الكـــلام للمـــؤثر منحـــصرا أو مـــا ســـوى المنحـــصر
فيلـــزم الـــدور أو التسلـــسل ومـــا يـــؤدي لهمـــا لا يحـــصل

ش: يعني أنك إذا أردت دليل القدم الذي تقرر وجوبه بالقياس المحرر أي السالم من القوادح تقول: إذا ركبته من القياس الاستثنائي أي لو انتفى عنه القدم لكان حادثا بلا خفاء ولا شك؛ إذ لا واسطة بين النقيضين[1] ونقيض قديم لا قديم فحادث مساويه، ومساوي النقيض نقيض، لكن التالي وهو كونه حادثا باطل؛ فالمقدم مثله وهو انتفاء القدم.

وبيان الملازمة أنه إذا كان حادثا افتقر إلى محدث، لما تقدم أن كل حادث لابد له من محدث لما عرفت أولا من حدوث العالم[2]، وننقل الكلام إلى المؤثر فيلزم منه ما لزم فيما قبله فيحتاج هو أيضا إلى محدث، فإن انحصر العدد لزم الدور[3]،

---

(1) لو ركبت هذا الدليل لانتفى عنه القدم لأنه لا واسطة بين الحدوث والقدم لأن الحدوث والقدم نقيضان على قاعدة (نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان) لانتفى قدمه ثبت حدوثه لو كان حادثا لاحتاج لمحدث تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

(2) لو فرضنا نعوذ بالله والمحال قد يفرض لو قيل بالحدوث لاحتاج إلى محدث ولو احتاج إلى محدث ينظر إلى ذلك المحدث لابد أن يكون قديما حادثا هذا مما يلزم منه الدور ومما يلزم منه التسلسل لأنه لو كان حادثا لابد له من مؤثر لأن الحادث وجوده ممكن وترجيح وجوده على عدمه بلا مرجح من المستحيلات العقلية.

(3) وحقيقة الدور توقف الشيء على ما يتوقف عليه، أي توقف الشيء على شيء يتوقف الشيء الثاني عليه أي على الشيء الأول كما لو أوجد زيد عمرا وعمرو أوجد زيدا فقد توقف عمرو =

وإن لم ينحصر لزم التسلسل، والدور والتسلسل محالان، فكذلك ما يؤدي لهما.

أما بطلان الدور فظاهر؛ لأن فيه تقدم الشيء على نفسه وتأخره عن نفسه وهو جمع بين الضدين.

وأما بطلان التسلسل[1] فأقر بها أنه يلزم منه الفراغ وعدم النهاية وهو جمع بين الضدين.

وبيان ذلك أن المؤثر على هذا التقرير الفاسد لما وجد دل على فراغ ما قبله، وما قبله لا يفرغ على الدعوى، فصار ما قبله يتناهى بدليل وجود المؤثر ولا يتناهى بمقتضى الدعوى، وهو جمع بين الضدين.

ولو في كلام الناظم في قوله: لو ركبته، كما هو في نسختنا، إن وجد عند العرب[2] لو بمعنى إن فهي ذاك، وإلا فانظر في

=

على زيد الذي توقف على عمرو وتوقف زيد على عمرو الذي توقف على زيد والدور إما بمرتبين أي نسبتين ويقال له دور مصرح كما مثلنا وذلك لأن كلا منهما متقدم على نفسه بنسبتين ومتأخر عنه بنسبتين: بيان ذلك أن زيدا باعتبار كونه فاعلا لعمرو متقدم على نفسه وباعتبار كونه مفعولا له وباعتبار كون عمرو فاعلا له متأخرا عن نفسه باعتبار كونه فاعلا لعمرو وإما بمراتب ويقال له دور مضمر كما لو أوجد زيد عمرا أو عمرو أوجد بكرا وبكر أوجد زيدا فكل واحد متقدم على نفسه بثلاث مراتب ومتأخر عنها بثلاث وحقيقة التسلسل ترتب أمور غير متناهية (انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين مصدر سابق، ص203

(1) ويبطلون التسلسل أيضا بالدليل التطبيقي وهو أن يفرضوا أفرادا موجودة الآن إلى ما لا نهاية ونفرض أفرادا موجودة من زمان الطوفان إلى ما لا نهاية أيضا، وإذا حكمنا بالاستواء في عدم الفراغ يكون فيه استواء الناقص بالكامل أي تساوي السلسلة الآنية بالطوفانية وهذا لا يصح؛ فإذا قلنا بعدم الاستواء - وهو الواقع - فإن مقدار التفاوت بينهما معلوم وهذا يدل على أنه منته، لأنه إنما زاد عليه بقدر متناه.

وقد يتسامحون في إطلاق الدور على التسلسل أو عكسه، ولا مشاحة في الاصطلاح (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) وفي هامش نسخة (أ) قف على أن الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إن وجد لو عند العرب بمعنى (إن) فهي وإلا فانظر في معناها مع جلالة قدره، ولكن الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والنار قد تخبو والإنسان محل النسيان لو في كلام الناظم بمعنى (إن) كما قال العلامة ابن مالك في خلاصته:

=

معناها(1).

ثم شرع في دليل البقاء، فقال:

ص:

وهكـذا يلـزم في نـفي البقـا حدوثـه وفيـه مـا قـد سـبقا

فـلا يكـون واجـب الوجـود عنـد طـرو العـدم المـردود

إذ فيـه نـفي القـدم الـذي مـضى مـع أنـه بـه الـدليل قـد قـضى

ش: تقرير دليل البقاء أن نقول: لو انتفى عنه البقاء لانتفى عنه القدم، لكن نفي القدم عنه محال؛ لأنه يؤدي إلى المحال وهو الدور أو التسلسل. وما أدى إلى المحال فهو محال. فمحال نفي البقاء عنه.

وهذا معنى قوله: وهكذا يلزم في نفي البقا.

قوله: فلا يكون...إلخ، بيان الملازمة كأنك قلت: ما الدليل على أن نفي البقاء يلزم منه نفي القدم؟ فقال: لأنه إذا انتفى عنه البقاء وانعدم صار قابلا للوجود والعدم لاتصافه بهما فصار من جملة الممكنات التي لا يترجح وجودها إلا بمرجح كما تقدم فلا يكون واجب الوجود لطرو العدم عليه فيكون حادثا، كيف يكون حادثا وقد قضى الدليل بقدمه تعالى؟ والدليل يلزم طرده؛ لأن ما قام عليه الدليل

=

لـو حـرف شرط في مـضي ويقـل إيلاؤهـا مـستقبلا لكـن قبـل

وهي في الاختـصاص بالفعـل كـإن

وكما صرح به ابن هشام في مغنيه وكما هي في لسان العرب وكما قال الحافظ السيوطي في الفريدة وقال في شرحه عليه المسمى (المنن العديدة) وذهل هنا رحمه الله عن معناها قاله الحبر المتفنن الطالب عبد الله ابن الحاج محمد الرقيق ومن خطه نقلت. لكن الصواب ما ذكره الشارح .

(1) وفي نسخة ب: قلت: لو بمعنى (إن) الشرطية موجود في كلام العرب موضوع في كتب النحاة . نقله ابن هشام وغيره لكن الجزم بها قليل، كقول مجنون ليلى:

لـو تلـتقي أصـداؤنا بعـد موتنـا ومن دون رمسينا من الأرض سبسب

العقلي يستحيل تخلفه وقد قام الدليل على قدمه تعالى. هذا معنى قول الناظم: مع أنه به الدليل قد قضى.

ص:

فبان من ذا أن تجويز العدم أمر مناف دون ريب للقدم
وأن كونه قديما يلزم منه البقاء وبهذا يجزم

ش: يعني أنه ظهر من وجود القدم والبقاء وبرهانهما كلية صادقة وهي أن كل ما جاز عدمه استحال قدمه؛ لأن تجويز العدم يلزم منه نفي القدم. وأن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه؛ لأن ثبوت القدم يستلزم وجوب البقاء.

والتحقيق أن وجوب الوجود يستلزمهما معا؛ لأن الوجود إذا وجب لم يقبل العدم سابقا ولا حقا، والله الموفق.

ص:

وكونه مخالفا لخلقه سبحانه من واجب في حقه

ش: هذه هي الصفة الرابعة وهي كونه تعالى مخالفا للحوادث من واجب في حقه تعالى، يعني أنه مما يجب في حقه تعالى مخالفته للحوادث بحيث لا يماثل شيئا منها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾[1]. ثم ذكر برهانها فقال:

---

(1) فأول هذه الآية تنزيه وآخرها إثبات فصدرها يرد على المجسمة وأضرابهم، وعجزها يرد على المعطلة النافين لجميع الصفات، وحكمة تقديم التنزيه في الآية وإن كان من باب تقديم السلب على الإثبات وإن كان الأولى في كثير من المواطن العكس أنه لو بدأ بالسمع والبصر لأوهم التشبيه، إذ الذي يؤلف في السمع أنه بأذن وفي البصر أنه بحدقة وأن كلا منهما إنما يتعلق في الشاهد بعض الموجودات دون بعض وعلى صفة مخصوصة من عدم البعد جدا ونحو ذلك، فبدأ في الآية بالتنزيه ليستفاد منه نفي التشبيه له تعالى مطلقا حتى في السمع والبصر اللذين ذكرا بعد، فإن سمعه تعالى وبصره ليسا كسمع الخلائق وبصرهم، لأن سمعه تعالى وبصره صفتان قائمتان بذاته العلية التي يستحيل عليه الجرمية والجارحة ولوازمهما واجبتا القدم والبقاء متعلقتان بكل موجود قديما كان أو حادثا ذاتا كان أو صفة ظاهرا كان أو باطنا (انظر شرح السنوسي على أم البراهين مصدر سابق، ص 109 - 111).

ص:

لأنــــه لــــو ماثـــل العـــوالم كـــان حدوثـــه مـــن اللـــوازم

لأن مثـــل الـــشيء دون لـــبس لـــه مـــساو في صـــفات الـــنفس

وهي الـــتي موصـــوفها لا يعقـــل بـــدونها كـــالنطق فيمـــا مثلـــوا

ش: تقرير الدليل أن تقول: لو ماثل الحوادث - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - للزم حدوثه، لكن التالي باطل وهو حدوثه، لما تقدم من دليل القدم، والمقدم مثله وهو كونه مماثلا للحوادث؛ فينتج: أنه مخالف للحوادث وهو المطلوب.

وبيان الملازمة أنه سبحانه لو ماثل الحوادث لوجب له ما وجب لها من الحدوث والجرمية والعرضية وغيرها؛ إذ المثلان هما المتساويان في جميع صفات النفس، وصفات النفس هي التي لا تعقل الذات دونها كالجرمية للأجرام والعرضية للأعراض، فلو ماثلها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيها لوجب له ما وجب لها وإلا كان مثلا غير مثل وهو تضاد.

قوله: كالنطق فيما مثلوا، يعني أن صفة النفس مثالها النطق[1] للإنسان أي القوة المفكرة القابلة للتميز، وهذا على جري المناطقة في اصطلاحهم في عدم تماثل الأجرام وأنها تتمايز بفصول منوعة، ولذلك قال الناظم: كالنطق فيما مثلوا، كأنه تبرأ منه. وقصد المناطقة تقريب الحقائق للأفهام. وأما مذهب المتكلمين فإن الأجرام كلها متماثلة وأنها نوع واحد وتمايزها بالعوارض لا بالذاتيات كما قدمناه، والله الموفق.

ص:

وأوجـــه التماثـــل المعـــدوده منفيـــة في حقـــه مـــردوده

ككونـــه جرمـــا لـــه التحـــيز أو عرضـــا لـــه بـــه التمـــيز

(1) الصواب عند المتكلمين التمثيل بالجرمية والعرضية، لأنها صفة نفسية لكل جسم لا يتعقل موصوفها دونها (من درس شيخنا حفظه الله تعالى).

أو بارتسام في خيال يعتبر ... أو بزمان أو مكان أو كبر

أو ضده كما يقول الشاني ... نعم هو الأعلى الكبير الشان

جل عن الجهات والأغراض ... فيما يشا والوصف بالأعراض

فليس مثله على شيء كما ... بذاك نقل وفق عقل حكما

ش: يعني أن أوجه التماثل بينه وبين الحوادث تعالى عن ذلك كلها منفية في حقه تعالى مردودة ككونه جرما له التحيز(1)، يعني أن الجرم هو ما له التحيز وهو أخذه قدره من الفراغ بحيث يمنع أن يحل فيه غيره، والوصف للكشف لا الإيضاح فيستحيل عليه تعالى أن يكون جرما، وكذلك يستحيل عليه أن يكون عرضا به أي قائم بالجرم يتميز به، وكذا يستحيل عليه أن يرتسم في خيال(2) أي يتصور به. وانظر كلام الشيخ في شرح كلام الحوضي عند قوله:

وكل ما يخطر في الجوانح ... من التصورات والجوارح

فربنا الله العظيم المالك ... جل وعز بخلاف ذلك

فإنه أتى فيه بكلام نفيس عجيب(3).

---

(1) التحيز صفة كاشفة لأن الجرم دائما متحيز، والتحيز كأنه مأخوذ من الحيِّز، وهو فَيْعِلٌ من الحوز، أصله "حيوز" اجتمعت الياء والواو وسبقا إحداهما بالسكون .. إلخ القاعدة الصرفية المشهورة، فقلنا "حَيِّز"؛ وربما خففت فقيل: "حيْز" كميْت في ميِّت (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) الخيال عبارة عن خزانة ترتسم فيها الصور بعد غيبتها عن الحس فتنبطع الصورة في الذهن وكل ما خطر ببالك شخص تخرج صورته من الخيال وتعرض على شاشة الفكر وهذا العرض بمثابة تلفزيون ولا يرتسم في ذهنك إلا مخلوق مثلك (من درس شيخنا حفظه الله)

(3) يعني كل ما يخطر بالباطن من صور التصورات ومن جملتها الجوانح وهي الاعضاء كالوجه واليدين واللسان والعين والأنف ـ فإنه سبحانه منزه عن ذلك لوجوب مخالفته تعالى لجميع الحوادث فالعطف في قوله والجوارح من عطف الخاص على العام وأما الجوانح فقال الجوهري: هي الأعضاء التي تحت الترائب الواحدة جانحة وجنح البعير انكسرت جوانحه. =

وقد سئل الإمام أبو العباس بن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رؤية المؤمنين في الآخرة له تعالى: هل يبقى ارتسامه في أذهانهم بعد إعادة الحجاب عليهم؟ فأجاب أن لا.

وبحث معه بعض العلماء في ذلك كما ذكره أبو العباس المنجور[1] في حاشيته على شرح الكبرى[2].

وكذلك يستحيل عليه تعالى أن يتقيد وجوده بزمان[3] أو مكان؛ لأن الزمان عبارة عن حركات الأفلاك فلا تعتبر إلا على ما كان محصورا فيها، كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا زمان ولا مكان كان الله ولا شيء معه.

وكذا يستحيل عليه أن يتصف بالكبر وضده وهو الصغر؛ لأن ذلك من خواص الأجرام كما تقول الحشوية أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العرش وأنه جسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهو المراد بالشاني أي المبغض أو العدو في كلام الناظم. فقال: نعم

=

انتهى. والمصنف عبر بها هنا عن الباطن انظر شرح السنوسي على واسطة السلوك للحوضي، مصدر سابق، ص: 114

(1) هو أحمد بن علي بن عبد الله، الفاسي، عرف بالمنجور، فقيه عالم متفنن فقها وأصولا وبيانا وقراءة وعربية وفرائض وحسابا ومنطقا وعروضا إلى مطالعة التواريخ والحديث، وخدم العلم حتى صار شيخ الجماعة أخيرا مع ضيق خلقه.
له مؤلفات منها: مراقي المجد، في آيات السعد، وشرحان على قصيدة أحمد بن زكري في الكلام، مطول ومختصر، وشرح ظريف لرجز الزقاق في الفقه، وحاشية على شرح الكبرى للسنوسي في العقائد.
ولد عام ستة وعشرين وتوفي في ذي القعدة ليلة الاثنين عام خمسة وتسعين وتسعمائة، انظر كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص 77 - 78

(2) فأجاب بعدم التخيل لأن ما في الخيال مثل والله ﷻ لا مثل له قال شيخنا يعني أبا عبد الله "اليستني" وعندي في هذا نظر لأن الدليل إنما قام على نفي المثل له جل وعز الخارجي فما وجه استحالته قال: وهذا كلام شيخنا (انظر الحاشية الصغرى على كبرى السنوسي لأبي العباس المنجور ص30) مصدر سابق

(3) والظاهر أن الزمان أمر نسبي لا وجود له في الخارج قد يكون ماضيا بالنسبة لشيء وحاضرا بالنسبة لشيء آخر؛ كهذه السنة بالنسبة للسنة الماضية والسنة المستقبلة (من درس شيخنا حفظه الله)

هو الأعلى عن سمات الحوادث، الكبير أي العظيم الشأن يصغر كل شيء عند ذكره ووصفه.

قوله: جل عن الجهات أي تنزه سبحانه عن أن يكون في الجهات فوق أو تحت أو غير ذلك من الجهات إذ لا يعمر الجهات إلا الأجرام، وتنزه هو أيضا عن أن يكون له جهة؛ إذ الجهات من صفات الأجسام(1).

قوله: والأغراض فيما يشاء أي تنزه عن الحاجات فيما يشاء من أفعاله وأحكامه فلا يفعل شيئا لغرض(2) له تعالى ولا يحكم لغرض أيضا بل أفعاله وأحكامه بمحض

(1) فأهل الحديث أولوا حديث السوداء التي سألها ﷺ "أين الله؟" فأشارت للسماء ثم قال ﷺ "إنها مؤمنة" - وإنما ذلك - قيل لأنها كانت خرساء وإنما سألها ﷺ ليرى هل هي ممن تعبد الصنم فتشير إلى البيت الذي به الأصنام أم لا؟ فلما لم تشر لبيت الأصنام علم أنها ليست مشركة وإشارتها إلى السماء فلأن السماء أعلى ما تراه حسا وهو سبحانه أعلى معنى قال تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾ فعبرت عن العلو المعنوي بالعلوي الحسي مجازا لما لم يمكنها التعبير باللسان لخرسها وتعذرت عليها الإشارة لغير جهة فاختارت أعلى الجهات وأما ما ثبت من رفع الرأس عند الدعاء لأن الشرع جعل السماء قبلة الدعاء كما جعل الكعبة قبلة للصلاة والسبب أن الناظر في السماء مشاهد لأعجب صانع القدرة فيما يشاهد فالمشاهد للمصنوع كالمشاهد للصانع لدلالة المصنوع على صانعه (انظر شرح العقباني على البرهانية، لأبي عمر عثمان السلاليجي ص 66 – 67 تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م).

(2) هم الأشاعرة يقولون إن الله تعالى لا يفعل لغرض معناه: لا يبعثه غرض على فعل فمعناه أن أفعاله مالها بواعث خارجية لأن البواعث الخارجية كأنها احتقار لذلك الفعل تقتضي الاحتياج والله تعالى غني عن العالمين الغني المطلق وهو الغني الحميد إذ لا تحمله البواعث والأغراض على الأفعال إذ يفعل ما يشاء ويختار ويقولون إن الأغراض تكملة للنقص فالإنسان إذا كان ذا غرض معناه أنه محتاج هذا بالنسبة للحوادث ولا ينافي أن أفعاله لحكم. ويفرقون بين الغرض والحكمة فيقولون: الغرض تكميل لنقص صاحبه والحكمة صون للفعل عن العبث، وقد يفرقون أيضا بينهما بشيء آخر فيقولون: إن الشخص إذا غرس غرسا من الأشجار المثمرة فهذا لغرض الحصول على الثمرة التي يحتاج لأكلها وبيعها وإعطائها فهذا كله فقر لأنه يحتاج لأكلها ليقتات بها وبيعها لأنه يحتاج للثمن وإعطائها لتكميل صورته المعنوية بالإعطاء والسلامة من البخل هذا هو الغرض.

=

اختياره على وفق حكمته ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾

قوله: والوصف بالأعراض أي تنزه سبحانه عن أن يوصف بالأعراض لأنها حادثة ولا تقوم إلا بالأجرام وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن ذلك؛ لأن ذلك يؤدي إلى الحدوث والحدوث محال كما عرفت.

وقوله: فليس مثله...إلخ، يعني أنه تعالى لا يماثله شيء من الحوادث كما جاء به النقل وهو الشرع على وفق دليل العقل. أما دليل العقل فهو الذي تقدم، وأما النقل فقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾.

ص:

وواجب قيامه بالنفس جل   أي لا مخصص له ولا محل

لأنه ذات قديمة فلا   تنصت إلى ما قاله من غفلا

ش: هذه هي الصفة الخامسة، وهي القيام بالنفس، أي ويجب له تعالى قيامه بنفسه.

ثم فسر الناظم القيام بالنفس بعدم الافتقار إلى المحل، أي ذات يقوم بها قيام الصفة بالموصوف والمخصص أي الفاعل يخصصه ببعض ما جاز[1].

ثم أشار الناظم إلى المعنى الأول بقوله: لأنه ذات لا يحتاج إلى محل يقوم به.

وقوله قديمة أشار به إلى المعنى الثاني وهو عدم افتقاره إلى المخصص، لأنه قديم.

وقوله فلا تنصت الخ، يعني لا تستمع إلى ما قاله من جهل الحقائق من

=

- وأما الاستظلال بالشجر فإنه حكمة لأن الإنسان أصلا لا يغرس ليستظل وإن كان الإستظلال مصلحة تترتب على الفعل إذ أفعال الله تعالى لا تخلو من حكم لكنها منزهة عن الأغراض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ فاللام هنا للصيرورة أي ما خلقتهم إلا ليصيروا لمصلحة راجعة عليهم وهي عبادة الله تعالى (من درس شيخنا حفظه الله).

(1) في نسخة (ب) يجوز

النصارى ومن في معناهم من الباطنية وجهلة المتصوفة.

ثم أشار إلى دليل هذا الواجب بقوله:

ص:

إذ لو إلى المخصص احتاج وجب حدوثه ورد هذا ما احتجب

أو قام جل ربنا بالذات لكان معدودا من الصفات

وتلك لا توصف بالمعاني والله قد حقق بالبرهان

وجوب وصفه بها فأنى يكون وصفا من هدانا منا

ومستحيل أن يقوم المعنى بمثله فاحتط بهذا المعنى

ش: قرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هنا برهانين لكل واحد من المعنيين برهان. أشار إلى الأول بقوله: إذ لو إلى مخصص...إلخ، وتقريره أن تقول: لو احتاج إلى المخصص لكان حادثا لكن التالي باطل فالمقدم مثله وهذا أبين مما تقدم من برهان القدم والبقاء، وهو مراد الناظم بقوله: ورد هذا ما احتجب أي وبطلان هذا ما خفي ولا احتجب بعد برهان القدم والبقاء.

وأشار إلى برهان المعنى الثاني بقوله: أو قام...إلخ، وتقريره أن تقول: لو احتاج إلى محل لكان صفة لذلك المحل؛ إذ لا تقوم بالمحل إلا صفاته لاستحالة قيام ذات بذات لكن التالي باطل فالمقدم مثله، كأنك قلت: ما دليل بطلان التالي وهو كونه تعالى صفة؟ فبرهن الناظم بقوله: وتلك...إلخ.

وتقريره أن تقول: مولانا جل وعز قد ثبت بالدليل القاطع وهو فعله وجوب اتصافه تعالى بصفات المعاني التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة، والصفة لا توصف بصفات المعاني لاستحالة قيام صفة بصفة؛ لأنه يؤدي إلى التسلسل أو الدور، وما أدى إلى المحال فهو محال فكونه تعالى صفة محال؛ فوجب أن يكون ذاتا لا صفة وهو المطلوب.

وأما برهان استحالة قيام صفة بصفة الذي أشار إليه الناظم بقوله: ومستحيل أن يقوم المعنى...إلخ، فتقريره أن تقول: لو قامت صفة بصفة للزم التسلسل والدور

لكن التالي باطل فالمقدم مثله، وبيان الملازمة أنها لو قامت صفة بصفة لكانت الصفة الثانية مثل الأولى، فتقوم بها صفة أخرى وهكذا هلم جرا. فإن عاد إلى الأولى كان دورا وإلا تسلسل وهما محالان كما تقدم ويلزم منه أيضا الجمع بين الضدين أوالمثلين وهو محال.

وبيان ذلك أن المعنى لو قام بالمعنى لا يخلو إما أن يكون مثله أو ضده وكلاهما محال.

وقوله: إذ لو إلى مخصص، كذلك في النسخة الواصلة إلينا بالتنكير، ولعل صوابه التعريف، والله الموفق للصواب.

ص:

ولا تصخ لمذهب النصارى ... ومن إلى دعوى حلول صارا

فذاك كالقول بالاتحاد ... نحلة أهل الزيغ والإلحاد

ش: يعني أنك لا تصخ أي لا تستمع[1] بأذنك ولا تمل بقلبك لمذهب النصارى في المسيح حيث جعلوه هو المعبود أو ابنه أو ثالث ثلاثة، هذا مذهب أوائلهم قبل الملة الإسلامية.

ولا تمل أيضا إلى مذهب من صار إلى دعوى الحلول وهو من يعتقد أن الله تعالى يحل في الأجسام - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -وهو اعتقاد متأخري النصارى والباطنية وغلاة المتصوفة

قوله: فذلك: مبتدأ وخبره نحلة يعني أن ذلك المذهب مذهب أهل الزيغ والإلحاد أي أهل الميل والإلحاد فيه وهو كفر صراح[2].

وقوله: كالقول بالاتحاد، يعني أن ذلك كفر كما أن القول بالاتحاد كفر، والاتحاد صيرورة شيئين فأكثر شيئا واحدا، وذلك مذهب الباطنية ومذهب غلاة المتصوفة والنصارى، وذلك أن النصارى قالوا - لعنهم الله تعالى-: إن الإله اتحد

---

(1) في نسخة (ب) لا تسمع

(2) في نسخة (ب) صريح

بناسوت عيسى عليه السلام أي جسده أي صار معه شيئا واحدا، وبعضهم يقول: إنه امتزج معه امتزاج الخمر بالماء، وبعضهم يقول: قام به كقيام العرض بالجوهر، وبعضهم يقول: ارتسم فيه كارتسام الصورة في المرآة، وقالوا أيضا: إن معبودهم أقانيم ثلاثة اتحدت وصارت واحدا[1]، إلى غير ذلك من ترهاتهم وكفرهم، فسلك غلاة المتصوفة مسلكهم في ذواتهم نجانا الله تعالى بمنه وكرمه من جميع الآفات في الدنيا والآخرة آمين.

وتفصيل كفرهم يطول والكلام معهم كذلك، والحق ظاهر لكل موفق، والله الموفق للصواب.

ص:

وموهم المحذور من كلام ... قوم من الصوفية الأعلام

جريا على عرفهم المخصوص ... يرجع بالتأويل للمنصوص

وما يفوهون به في الشطح ... فقيل غير مقتض للقدح

وهو إلى التأويل ذو انتحال ... أو أنهم قد غلبوا بالحال

وقيل بل يناط حكم الظاهر ... بهم صيانة لشرع طاهر

فلا يقر ظاهر في الميل ... منهم وذا أمر طويل الذيل

ش: يعني أن ما يوهم المحذور المذكور وهو الاتحاد أو الحلول من كلام جماعة من الصوفية الأعلام[2] المشهورين بالاستقامة والصلاح جارين بذلك على

(1) وهذا باطل حتى في الحوادث كاللبن في الماء فإما أن يبقى كل منهما كما كان فلم يحصل اتحاد حيئذ وإما أن تنشأ عنهما حقيقة ثالثة كحار ببارد فاترا وإما أن يعدم أحدهما فلا اتحاد كذلك إذ لا يتحد معدوم بموجود. (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) هم أعلام ومع أنهم مشهورون بالعلم والصلاح والورع ربما صدرت من بعضهم عبارات موهمة أي توهم غير جائز ومن ليس من الأعلام كلامه ملغى كما قال ابن بونا في الوسيلة:

ومن بعلم الشرع لم يشتهر ... من أهل ذا الفن فلا تعتبر

يعني أن من ليس من أهل العلم يحمل كلامه على ظاهره ويحكم بضلاله على حسب درجته =

عرفهم المخصوص بهم[1] في حال التربية أو في حال السلوك أو في حال الانتهاء يجب تأويله إلى ما يوافق المنصوص من الشريعة.

وقوله: من الصوفية الأعلام: احترازا من المدعين الكذابين المحرفين فإن ما يصدر منهم من ذلك لا يجب تأويله بل يؤاخذون بمقتضاه من كفر ولوازمه وفسق[2] ولوازمه.

وقوله: وما يفوهون به...الخ أي ما يتكلمون به في حال التواجد وهو المراد بالشطح[3] فقيل: إنه غير مقتض القدح وأنه يؤول عنهم إلى موافقة الشريعة، وهو معنى قوله: وهو إلى التأويل ذو انتحال. وقي: ل: إن ذلك حصل لهم بغلبة

=

في الضلال. (من درس شيخنا حفظه الله).

(1) هم يرون هذا الموهم جريا على اصطلاحهم لأن كل أهل فن لهم اصطلاح النحاة لهم اصطلاح والمحدثون لهم اصطلاح والفقهاء لهم اصطلاح ومن لا يعرف اصطلاح قوم لا يفهم مرادهم إذا سألت أحد الصحابة عن الحديث المسلسل أو الموضوع أو المضطرب هذا الصحابي لا يفهمه مع أنهم أعلم أهل الأرض لأن هذا مجرد اصطلاح؛ وإذا سألت امرأ القيس عن اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة لا يفهم منها شيئا مع تمهره في اللغة؛ إذ هذه الاصطلاحات طرأت على العلوم فمعاني العلوم الصحيحة لا يمكن أن تكون حادثة أبدا فما حدث منها معناه أنه باطل ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقول الناس، فالاصطلاحات والاكتشافات طارئة والعلم قديم (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) وفي نسخة (ب) وفسوق

(3) الشطح عندهم غلبة الوجد وهي الحالة الوجدانية التي تحصل في باطنهم ولا يجدون لغة يعبرون بها عما في باطنهم، فربما يضيق صدر بعضهم ولا ينطلق لسانه، فيصدر منهم ما يخالف ظاهرهم. وأهل الشطح قصارى أمرهم أنهم معذورون. من درس شيخنا حفظه الله.

وفي هامش نسخة (أ) قال الحبر عبد الله بن الحاج حمى الله في شرحه لهذا المحل: ومن تقرير سيدي عبد الله ابن محم بن القاضي: الشطح عبارة عن كلمات عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين ومن تقرير سيدي عبد الله بن الفاضل: عبارة عن قولهم: ألقي في روعي أي قلبي أو حدثت أو كلمات مزخرفات ظاهرهن باطل وباطنهن لا يعلمه إلا الله كقول الحلاج: ما في الجبة إلا الله أي أمره ونهيه ومعبودكم تحت قدمي أي الدينار والدرهم قال أبي حفظه الله: حفروا تحت قدمه فوجدوا كنزا – انتهى منه بلفظه.

الحال[1] وهو حال فنائهم وسكرهم فصار ما يصدر منهم بمنزلة ما يصدر من غير مكلف والبهيمة. وقد قال سيدي زروق[2] رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح المباحث الأصلية في شرح قوله:

ثـــم أتى في غيبـــة الـــشهود   وأطلـــق القـــول أنـــا معبـــود

الإطلاق العرفي لا يصح ولا يجوز لإيهامه الاتحاد والحلول. إلى أن قال: لكن من حيث المعنى يكون على أحد وجوه ثلاثة:

أحدها أنه يقول: كل ما أدركته من الصفات وغيرها إنما ينتهي علمي فيه لوجودي لا المعبود.

الثاني: يشهدك عين الحقيقة بأن فعله أثر ووصف لازم لذاته فليس إلا هو وحده فظهر فناء الموجود الجائز في وجود الحق بحيث لا يبقى له ذكر معه، الثالث: أن يظهر له من التصرف وإطلاق الحكم في الوجود ما يقتضي له من الكرامة بأن يرى نفسه في محل النيابة والخلافة. انتهى باختصار.

---

(1) نقول إنهم غلبوا بالحال ونطقوا بما لا يريدون وهذا يشهد له الحديث الذي أخرجه مسلم في الرجل الذي ضلت راحلته عليها طعامه وشرابه فجلس تحت ظل شجرة كأنه ينتظر الموت فبينما هو كذلك فإذا بدابته واقفة عليه أخذ بزمامها وقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح أراد أن يقول اللهم أنت ربي وأنا عبدك، فهذا الحديث من ذلك الباب (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، شهر بزروق الصوفي، الولي الصالح القطب الغوث العارف بالله الرحلة المشهور شرقا وغربا، ذو التواليف العديدة المفيدة، والمناقب العتيدة الحميدة، ولد كما قال يوم الخميس طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم عام ستة وأربعين وثمانمائة. له تواليف كثيرة مختصرة محررة محققة مفيدة كشرح الرسالة وشرح الإرشاد وشرح مواضع من مختصر خليل رأيتها بخطه، وشرح القرطبية والوغليسية والعافية والعقيدة القدرية للغزالي، وشرح حزب البحر وشرح مشكلات الحزب الكبير وشرح حقائق المقري والنصيحة الكافية.

توفي ببلاد طرابلس الغرب في صفر عام 899هـ، انظر كفاية المحتاج ص 66 - مصدر سابق، 68 ج1

وقوله: وقيل بل يناط حكم الظاهر بهم أي وقيل: إنهم يتعلق بهم أي بما يصدر منهم حكم ظاهر الشريعة(1) بما يقتضيه فعلهم وقولهم من كفر و لوازمه وأدب حفظا للشريعة الطاهرة من كل ما يدنسها ويشكك فيها فلا يترك ما ظاهره في الشريعة الميل عن الشرع إلا عمل بمقتضاه.

والحاصل أن العلماء على مذهبين في ذلك:

- فمنهم من راعى حرمة الدماء والأعراض ودرأ عنهم الحد بالشبهة وأنهم غير متعمدين ذلك أو أنهم قصدوا معاني صحيحة؛

- ومنهم من غلب حرمة الشريعة المطهرة فعمل بمقتضى ما صدر منهم ولم يعذرهم ولم يلتمس لهم تأويلا.

والحاصل أن العلماء اضطربوا في ذلك اضطرابا كثيرا، ولهم في ذلك كلام طويل(2)، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ: وذا أمر طويل الذيل.

والحاصل أن الحاصل منهم غير مرتضى في الشريعة ظاهره فلا يجوز

---

(1) وقيل لا يعذرون لأنا إذا فتحنا هذا الباب لا يسد أبدا فيكون العوام يتشبهون بالأعلام ويقولون ما شاءوا أن يقولوا، وربما يدعي بعضهم أنه من القوم، وقد يدخل فيهم زنادقة الناس الذين يريدون إفساد الدين. وفي الحقيقة تعارض هنا أمران: صيانة دم المسلم وصيانة الشرع، وأحدهما ربما يكون أسهل من الآخر، والكل له وجه. فبعض العلماء قدم صيانة الشرع ولو أدى ذلك إلى قتل المُحق، حتى إن بعض علماء الصوفية أفتى بقتل الحلاج، وجل الفقهاء أفتوا بقتله. وفي مثل هذا قال بعض الأئمة: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي النبي ﷺ إذ لم أذب عن سنته (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) معناه أن المسألة لا يكفي فيها هذا البحث القصير لأن المسألة طويلة عريضة فظهر من هذا أن الموهمات التي تصدر منهم لا يعتقد ظاهرها أبدا سواء أولنا كلامهم أو لم نأوله بل ينبذ ظاهرها بالكلية وبقي لنا هل يحسن الظن بصاحبها أو يساء به الظن، ويقام عليه حكم الشرع أما ظاهرها فلا عذر لأحد في اعتقاده لأن العقيدة هي أساس إيمان المومن وأعماله كلها مبنية على سلامة عقيدته فيفسد كل شيء إذا فسدت، وكل ما دونها سهل بالنسبة لها (من درس شيخنا حفظه الله)

الاقتداء(1) بهم في ذلك كما قال:

ص:

وليس يقتدى بهم في ذلك لكونه من أصعب المسالك

والحزم أن يسير من لا يعلم مع رفقة مأمونة ليسلم

ويسلك المحجة البيضاء فنورها للمهتدي استضاء

وفي بنيات الطريق يخشى سار ضلالا و هلاكا يغشى

أمننا الله من الآفات في الدين والدينا إلى الوفاة

ش: يعني أنه لا يجوز الاقتداء بهم في ذلك لأنه من أعظم الأمور وأصعبها لأنه إما أن يتجاسر على دم مسلم أو عرضه وهو خطر عظيم أو يتهاون بحرمة الشريعة ويسقط عظيم حقها وهو أقبح وأشنع نسأل الله العافية.

فالحزم والاحتياط كما قال الناظم أن يسير الجاهل بالطريقة مع الرفقة المأمونة ليسلم(2) من التلف، والرفقة المأمونة هو ظاهر الشرع لأن الناس كلهم مسافرون إلى الله تعالى والدار الآخرة، والدنيا بمنزلة الليل المظلم، والآخرة نهارها، وقضاء الله تعالى منتهى سفر الكل ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾.

---

(1) وهذا هو التحقيق في المسألة

(2) ضبط الدمشقي قوله: " ليسلم" وقوله: " ليعلم" بسكون الميم وأما الشنجيطي - يعني الشارح - فلم يتعرض لضبطهما كما هو عادته لكن في النسخة التي بيدي من شرحه ما يقتضي موافقة الدمشقي لرسم الكلمتين في هذه النسخة بميم دون ألف ووجه السكون فيهما ظاهر وهو الوقف. ووجه الكسر أن الميم سكنت في الوقف ثم جاء بعدها حرف الإطلاق وهو ساكن فالتقى ساكنان فكسر الأول منهما على الأصل في التقاء الساكنين.

ويصح عندي أن يضبطا بالفتح أما فتح "يسلم" فظاهر لنصبه ب أن مقدرة وأما فتح "يعلم" فلنون التوكيد الخفيفة المبدلة ألفا قال ابن مالك: وقل بعد ما ولم وبعد لا. وقال أيضا: وبعد فتح اجعلنها ألفا وقفا ... إلخ من شرح سيدي محمد بن سيدي عبد الله مخطوط مصدر سابق.

فمن لم يسلك في الليل المظلم المنهاج الواضح الذي سلكه معظم الناس، حتى صار الأثر فيه ظاهرا لا يخفى على كل أحد عارف وجاهل لكثرة من سلكها، وسلك بنيات - جمع بنية مصغر - الطريق أي آثر الطريق المائلة عن المنهج العظيم، يمينا وشمالا لا يسلكه إلا الواحد أو الاثنان[1] أو القليل من الناس، يخاف الضلال والخروج عن الطريق أو هلاكا يصيبه فيتلف رأسا.

وهذا كله استعارات من الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لظاهر الشرع وللدنيا وللناس وأعمالهم أمننا الله تعالى بفضله من جميع الآفات الدينية والدنيوية إلى الوفاة على حسن الخاتمة بجاهه ﷺ.

ص:

وواجب وحدة ذي الجلال ... في الذات والصفات والأفعال

لأنه لو انتفت عنه عدم ... صنع من التمانع الذي علم

ش: هذه هي الصفة السادسة وهي الوحدانية ومعناها نفي التعدد في ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا متصلا ولا منفصلا وفي صفاته كذلك وفي أفعاله[2].

ثم برهن عليها بقوله: لأنه لو انتفت عنه...إلخ، تقرير الدليل أن تقول: لو انتفت عنه الوحدانية بوجود التعدد للزم عدم المصنوعات، لكن التالي باطل وهو عدم المصنوعات بالمعاينة، فالمقدم مثله وهو التعدد؛ فوجبت له الوحدانية وهو المطلوب.

---

(1) وهي التي تتفرع عن الطريق الواضحة، فمن سلكها ربما يتيه ويضل ويهلك جوعا وعطشا وهذا كما أنه يقع في المحسوسات يقع في المعنويات يقع في الأديان والمذاهب والعقائد (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) يعني أن الوحدانية في حقه تعالى تشتمل على ثلاثة أوجه: أحدها نفي الكثرة في ذاته تعالى ويسمى الكم المتصل، الثاني نفي النظير له جل وعز في ذاته أو في صفة من صفاته ويسمى الكم المنفصل، الثالث انفراده تعالى بالإيجاد والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة فلا مؤثر سواه تعالى في أثر ما عموما، قال جل من قائل ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝﴾، (من شرح السنوسي على أم البراهين، مصدر سابق، ص 119 – 120)

وبيان الملازمة أنه لو كان معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غيره لتمانعا أي لكان كل واحد منهما يمنع الآخر فلا يوجد شيء من المخلوقات.

وبيان ذلك أنهما لو أرادا خلق جوهر فرد وهو الذي لا يقبل الانقسام: إن أوجده أحدهما لزم عجز الآخر، فإن أوجداه معا لزم تحصيل الحاصل أو انقسام ما لا ينقسم؛ وكلاهما يستلزمان عجز أحدهما، وعجز أحدهما يستلزم عجز الآخر لتماثلهما وذلك أنهما إن أوجداه لم يخل: إما أن يكون ما أوجده عين ما أوجده الآخر، فيكون تحصيل حاصل إذا أوجد ما كان موجودا، فلم يوجد شيئا، فيلزم عجزه، وإما أن يكون غيره، فالموجود اثنان، وقد فرض أنه واحد، هذا تناقض: وهو كون الواحد اثنين لا يعقل؛ فهو محال، والمحال غير موجود؛ فوجب عجزهما.

وكذلك سائر العالم عند التعدد يلزم منها ما لزم في الجوهر الفرد من التمانع؛ وذلك أن كل واحد يلزم أن يكون عام القدرة والإرادة فلا يتخصص ببعض العالم دون بعض إلا بمخصص، فإن احتاجا إلى مخصص لزم حدوثهما، وحدوثهما يؤدي إلى استمرار العالم في العدم، لما تقدم من برهان القدم. وإن لم يتخصص بعض العالم بل كل واحد منهما مؤثر في جمعه لزم تحصيل الحاصل وتعدد الواحد، وكلاهما محالان مؤد إلى العجز، فإذا عجز كل واحد منهما لزم عدم العالم، وهذا باطل بالمعاينة، وإذا لزم عجزهما عند الاتفاق فعجزهما عند الاختلاف أظهر.

وهذا الذي قررنا من أن عجز أحدهما يلزم منه عجز الآخر، لأنه مثله فيجب له من العجز ما وجب لمماثله هذا هو الصواب عند جمهور المتكلمين(1)، لا ما قاله

---

(1) اعلم أنه لو وجد على جهة المفرض فردان متصفان بصفات الألوهية، فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإذا اختلفا كأن أراد أحدهما خلق شيء والآخر عدمه، فحينئذ إما أن يحصل مرادهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين، أو لا يقع مرادهما وهو محال أيضا لاستلزامه عجزهما مع اتصافهما بصفات الألوهية، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو محال أيضا لاستلزامه الترجيح بلا مرجح، واستلزامه عجز من فرض قادرا ويلزم منه عجز الآخر بانعقاد المماثلة. وهذا هو برهان التمانع المشهور، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي ولم تفسدا فدل على أن هذا الكون لا يمكن أن يصدر إلا من إله واحد.

ومن الأدلة العقلية أيضا ما يسميه المتكلمون برهان التوارد؛ وقد يسميه بعض الفقهاء برهان =

ابن رشد[1] من أن عجز أحدهما يحصل المطلوب، فيكون الذي نفذت إرادته هو الإله والآخر من جملة العوالم، لأن تماثلهما يمنع ذلك ولأنه مخالف لمدلول الآية الكريمة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. سواء فسرنا الفساد بالعدم كما هو تقرير جمهور المتكلمين؛ فيكون الدليل برهانيا، أو فسرنا الفساد بالفساد المعتاد الذي يكون بين الملوك عند التعدد من الاختلاف وعدم الانتظام؛ فيكون القياس خطابيا فلا يفيد اليقين، والله الموفق للصواب.

ص:

ونفي تأثير عن الأسباب يعلم من برهان هذا الباب

كالماء للري وكالسكين والنار في القطع وكالتسخين

وقدرة العبد وغير ذلك فالكل خلق للقدير المالك

وما له في صنعه من مثل وليس للعبد اختراع فعل

ش: يعني أنك إذا عرفت من دليل التمانع استحالة أثر بين مؤثرين وأنه

=

التمانع أيضا. وذلك لأنهما إما أن يتواردا على الفعل كما في هذا، وإما أن يتمانعا فيه كما تقدم. وتقريره - أي برهان التوارد - هو: أن يفرض اتفاقهما على الإيجاد مثلا؛ فإنهما إما أن يوجدا الشيء في وقت واحد، فيلزم عليه وجود أثر واحد لمؤثرين، والأثر لا يكون إلا عن واحد عقلا؛ إما أن يكون على سبيل الترتيب بأن يوجده هذا ثم هذا، فيلزم عليه تحصيل الحاصل؛ فإذا فرضنا أن أحدهما خلق جزءا وخلق الآخر جزءا، فهذا الذي خلق هذا الجزء عاجز عن خلق الجزء الآخر، لأن قدرة صاحبه سدت عليه الطريق؛ كذلك لو أرادا أن يخلقا جوهرا فردا لا يقبل القسمة، فإنه لا يمكن أن يخلق أحدهما بعضه لأنه لا يقبل القسمة، فإما أن يعجزا وإما أن يخلق أحدهما مثل خلق الآخر، وهذا تحصيل حاصل؛ فإذاً ظهر عجز الكل، لأن ما ثبت لأحدهما من العجز يثبت للآخر، إذ المفروض أنهما متفقان في الصفات النفسية. (من درس شيخنا حفظه الله)

(1) يعني ابن رشد الحفيد، فهو يقول إن القادر هو الإله الحق، وهذا القول قال به أيضا بعض المتكلمين؛ لكن الأصح أن كلا منهما عاجز؛ فأحدهما عاجز بالفعل، والآخر عاجز بالقوة؛ لأن صاحبه عجز، وما جاز على المثل جاز على مماثله (من درس شيخنا حفظه الله).

سبحانه يجب له الوحدة في الأفعال بحيث لا شريك له في فعل من الأفعال عموما، عرفت استحالة تأثير الأسباب العادية: كالماء في الري، والسكين في القطع، والنار في الإحراق والتسخين، وقدرة العبد في أفعاله الاختيارية، والطعام في الشبع، والثوب في الستر، وغير ذلك من الأسباب العادية التي أجرى الله تعالى الخلق عندها لا بها.

وتقرير الدليل أن تقول: هذا القطع وغيره من جملة الممكنات التي تعلقت به قدرة مولانا جل وعز فلو أثرت فيه السكين وغيره من الأسباب العادية للزم عجزه، لكن التالي باطل وهو لزوم عجزه؛ لأنه نقص والنقص على الله تعالى محال، فالمقدم مثله[1] وهو تأثير السبب العادي، وإذا بطل تأثير السبب العادي لزم انفراد مولانا تبارك وتعالى بذلك التأثير وهو المطلوب[2]، كما قال الناظم: فالكل خلق للقدير المالك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقول الناظم: في القطع راجع للسكين، والتسخين راجع للنار، من باب اللف والنشر المرتب.

---

(1) انظر شرح السنوسي على مقدماته ص 99 ط1، 1430هـ/ 2009م

(2) ومن رأى أن الأسباب مؤثرة بطبعها وبذاتها فهو كافر متفق على كفره

- ومن رأى أنها مؤثرة بقوة خلقها الله تعالى فيها لا يمكن تخلفها عقلا فهذا مختلف في كفره لأن هذا ينبني عليه محظور آخر وهو نفي المعجزة.

- من ربط الأسباب بمسبباتها ربطا عقليا لا يمكن تخلفه فهذا جاهل يعلم.

ومن رأى أنها مؤثرة تأثيرا عاديا يمكن تخلفه بقدرة الله تعالى فهذا مؤمن كما قد يقع من عدم الإحراق عند ملاقاة النار (انظر شرح السنوسي على مقدماته مصدر سابق، ص99) كما وقع لإبراهيم ﷺ - ووقع أيضا لذؤيب بن كليب وقصته أنه كان في صنعاء وأسلم وكان من أجلاء الصحابة ثم لما تنبأ الأسود العنسي وتغلب على الأمر دعاه وقال له أنت تشهد أن محمدا رسول الله قال نعم وقال وتشهد أني رسول الله قال له أنا أعمى وأصم فأوقد له نارا وألقاه فيها فما ضرته النار – وكما يقع من عدم القطع بالسكين عند الذبح، فهذه مجرد أسباب والأسباب عندها لا بها (من درس شيخنا حفظه الله).

وقوله: وما له في صنعه من مثل أي لا مماثل له في خلقه ولا شريك له.

وقوله: ليس للعبد... إلخ مع قوله:

ص:

نعم له كسب به يكلف شرعا ولا تأثير منه يعرف

ش: يعني أن للعبد قدرة حادثة لا يخترع بها شيئا من أفعاله لا على وجه الاستقلال، كما تقول القدرية مجوس هذه الأمة[1]، أنها يخترع بها أفعاله الاختيارية دون قدرة الله تعالى، فأثبتوا شريكا مع الله تعالى في أفعاله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- ولا على غيره، كما يحكى عن إمام الحرمين والقاضي[2] والأستاذ، بل مذهب

(1) وفي هامش نسخة (أ) أشار إلى ما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وقد رواه أبو داود حديثا وقد روي أنهم لعنوا على لسان سبعين نبيا وقد روى مسلم في صحيحه تبري عبد الله بن عمر رضي الله عنهما منهم والحكم عليهم بما يقتضي كفرهم عنده ووجه تشبيههم بالمجوس أن المجوس جعلوا للخير فاعلا وللشر فاعلا والقدرية أيضا منعوا نسبة الشر إلى الله تعالى وأضافوه إلى إبليس تسبيبا وسعيا إلى العباد مباشرة وهذه المناسبة التي بين المعتزلة والمجوس تبين أنهم المرادون بالقدرية في الحديث دون أهل الحق. من شرح السنوسي على الوسطى. انتهى.

وقد سألت شيخنا حفظه الله تعالى عن تكفير القدرية فأجاب: القدرية مختلف في تكفيرهم لأن التكفير عند أهل السنة صعب؛ فقد يكون الكلام كفرا لكن صاحبه متأول، فنقول: هذا الكلام كفر ولا نكفره هو. فهناك فرق بين الكفر والكلام الكفري، فالكفر قد يصدر من شخص من غير تأويل؛ وهذا كافر خارج من الملة وقد يصدر منه كلام يكون له تأويل باطل، فالتأويل غير مقبول والكلام باطل؛ فهو فاسق من أفسق الفساق ومبتدع من أرذل المتبدعين؛ وأما تكفيره وإخراجه من الملة بحيث يحل دمه فهذا صعب يحتاج لدليل خاص. وهذا هو التحقيق في المسألة. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) القاضي وهو أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور كان على مذهب أبي الحسن الأشعري مؤيدا اعتقاده وناصرا طريقه سكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وسمع =

شيخ السنة وأتباعه كافة[1] أن للعبد قدرة حادثة تقارن أفعاله الاختيارية من غير تأثير لها البتة.

هذا الذي دل عليه المعقول والمنقول ولا يصح سواه.

ولذلك قال الناظم: نعم له كسب...إلخ يعني أن العبد له كسب[2] بقدرته يكون مكلفا به شرعا من غير تأثير.

= الحديث، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سن 403هـ بغداد وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج4،، مصدر السابق ص 269 - 270

(1) انظر المنهج السديد لشرح كفاية المريد للإمام السنوسي على شرح المنظومة المسماة بالجزائرية لأحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري ص 61 تحقيق الأستاذ مصطفى مرزوقي دار الهدى عين مليلة الجزائر.

(2) ولا معنى للكسب والاكتساب المضاف لقدرة العبد إلا كون تلك القدرة تتعلق بما يخلق الله تعالى عندها من نظر أو علم أو غيرهما من غير أن يكون لها تأثير في شيء من الأفعال البتة، انظر المنهج السديد، مصدر سابق، ص 61

ومذهب أهل السنة والجماعة الأشاعرة خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) فالفرث أحسن من الدم وكلاهما قبيح والذي بمنزلة الدم مذهب المعتزلة لأنهم أضافوا الإيجاد لغير الله والذي بمنزلة الفرث مذهب الجبرية لأنهم أخف من كلام المعتزلة لأنهم أضافوا جميع الأفعال لله هكذا قرروا والصواب أن الجبرية أشد من المعتزلة لأن من لازم مذهب الجبرية عدم التكليف وانتفاء الشريعة وهذا كفر ومذهب المعتزلة فسق فقط لأن الجبرية قالوا إن العبد لا قدرة له وأنه كالريشة في الهواء والمعتزلة قالوا إنه مستقل بأفعاله فطائفة أفرطت في الاعتقاد وهم الجبرية وطائفة فرّطت وهم المعتزلة؛ ومذهب أهل السنة أنهم لا يقولون بالجبر ولا بالاختيار؛ بل بأن العبد مخير بحسب الظاهر، لكنه مجبور في الحقيقة؛ فهو مجبور في قالب مختار. وهذا هو الذي يسمى عندهم بالكسب، وهو مناط التكليف. ويفرق بينه وبين الجبر بحركة المرتعد - وهو الشخص المرتخي العصب الذي يستطيع السكون - وحركة المختار، فلا شك أنك تجد فرقا بينهما؛ فحركة المختار كسب، والآخر مجبور جبرا محضا (من درس شيخنا حفظه الله).

وتفسير الكسب عند الأشعرية: مقارنة القدرة الحادثة للمقدور في محلها من غير تأثير لها وهو محل التكليف الشرعي وأمارة الثواب والعقاب، بمعنى أن الله تعالى إذا خلق الفعل في العبد وخلق له قدرة تقارنه فذلك علامة على الثواب إن كان خيرا والعقاب إن كان شرا.

وأما نفس الثواب ففضل منه ونفس العقاب فعدل منه تعالى لا سبب لهما عقلا في ذلك الفعل. ولكن جعل سبحانه ذلك الفعل علامة على ما أراد بعبيده شرعا بمحض اختياره.

ولو عكس بأن جعل فعل المعاصي علامة على الثواب والطاعات علامة على العقاب أو جعل الكل علامة لأحدهما أو لم يجعل علامة أصلا، لصح ذلك وكان حسنا في حقه تعالى؛ إذ لا يجب عليه شيء من الأفعال صلاحا كان أو أصلح، ولا يستحيل عليه منها شيء فسادا كان أو غيره؛ إذ أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلها عدل؛ إذ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير محله والعالم كله ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ص:

ولتحذر النسج على منوال ... ما خالف المذكور من أقوال
والله عن أفعاله لا يسأل ... والقدري لم يقل ما يعقل

ش: أي واحذر الاستمرار والدوام على ما خالف قول الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الأقوال في قدرة العبد فإنه ضلال مبين لا يصح عقلا ولا يجوز شرعا.

وجملة الأقوال في قدرة العبد خمسة:

- قول أهل السنة: إن للعبد قدرة يكتسب بها من غير تأثير لها البتة، فالعبد مكتسب لا خالق، والمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق كل شيء لا مكتسب؛

- الثاني قول القدرية: إن للعبد قدرة يخلق بها أفعاله الاختيارية من غير تأثير للقدرة القديمة فيها، وهذا قول باطل قطعا لا يصح عقلا لما يلزم عليه من عجز

المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك، ولا شرعا إذ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾. ولذلك قال الناظم: والقدري لم يقل ما يعقل، يعني أن قوله لا يصح عقلا - يريد - ولا شرعا؛ إذ الإجماع على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛

- الثالث: أن للعبد قدرة يؤثر بها في أفعاله من غير استقلال بل بأقدار قدرها الله تعالى على ذلك، ونسب لإمام الحرمين في آخر عمره، ولا يصح عنه، وهو باطل أيضا؛

- الرابع: أن قدرة العبد تؤثر في أخص وصف الفعل، ونسب للقاضي والأستاذ أبي إسحاق، وهو باطل أيضا، ولا يصح عنهما، وقد أطال الشيخ في شرح الكبرى الكلام في إبطال هذين القولين والاعتذار عن القائلين على تقدير التسليم وأن ذلك مؤول ليس على ظاهره، فليطالع ثمة[1]؛

- الخامس: مذهب الجبرية أن لا قدرة للعبد أصلا وأنه لم يكن إلا العبد والمقدور فقط وأنهما فعلان لله تعالى، وأما قدرة العبد فلا وجود لها أصلا، وهو مذهب باطل لجحده الضروريات ولما فيه من إبطال الشريعة وتكذيبها عصمنا الله تعالى من الزيغ والضلال.

وإلى هذه الأقوال أشار الشيخ بالتحذير منها.

قول الناظم: والله عن أفعاله لا يسأل يعني أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

ص:

وجوز البعض دليل السمع في وحدة وقيل ذا ذو منع

ش: يعني أن بعض العلماء جوز إثبات هذه العقيدة وهي الوحدانية بدليل السمع[2]؛ إذ لا تتوقف دلالة المعجزة عليها.

---

(1) انظر شرح السنوسي على كبراه، ص 92 مصدر سابق

(2) من المتكلمين الأشاعرة وهو الأقل، قال: بأن الوحدة يكفي فيها الدليل السمعي ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. والأكثر على أن وحدة الله تعالى لا بد في إثباتها من الدليل العقلي زيادة على السمع؛

وقيل: إنه لا يصح إثباتها بدليل السمع وإنما يصح الاعتماد فيها على دليل العقل، وهو الأصح والصواب؛ لما علمت أن وجود العالم متوقف على الوحدانية، والمعجزة فرد من أفراد العالم، فلو توقفت الوحدانية عليها للزم الدور، وهو باطل، والله الموفق للصواب.

ص:

فتلك من صفاته القدسيه	ست وأولاها هي النفسيه
أعني الوجود والبواقي الخمس	سلبية وما بذاك لبس
لسلبها عن الإله ما لا	يليق واقتضائها كمالا
وكل وصف واجب للذات ما	دامت بلا زيد لنفس ذو انتما
ومن يرى الوجود عين الذات	كالشيخ لم يعدده في الصفات

ش: يعني أن هذا الذي تقدم من الصفات ستة: الأولى منها نفسية وهي الوجود، والخمسة بعدها سلبية فإن معناها: سلب ما لا يليق بمولانا جل وعز واقتضاؤها الكمال له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فمعنى القدم: سلب العدم السابق للوجود، وإن شئت قلت: نفي الأولية للوجود، وإن شئت قلت: هي عبارة عن عدم افتتاح الوجود، والمعاني الثلاثة بمعنى واحد.

ومعنى البقاء: نفي العدم اللاحق للوجود.

ومعنى المخالفة: سلب المماثلة.

ومعنى القيام بالنفس: سلب الافتقار إلى المحل والمخصص

ومعنى الوحدانية: سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال.

= لأنهم يرون أن الوحدة يتوقف عليها التأثير في الخلق الذي من جملته المعجزة المصدقة للرسول، فلا يكفي فيها السمع؛ لأن القاعدة عند المتكلمين أن كل ما يتوقف عليه إثبات الشرع فدليله عقلي لا سمعي، لكن الأصح عكس القضية وإن كان المتكلمون اختلفوا في المسألة وبعضهم اكتفى بالسمع وبعضهم قال (من درس شيخنا حفظه الله).

قوله: وكل وصف...إلخ يعني أن حقيقة الصفة النفسية هي كل وصف واجب للذات ما دامت من غير زيادة على ذلك، يعني أنه غير معلل بمعنى، قائم بالذات كالتحيز للجرم فإن التحيز واجب للجرم مادامت ذاته بلا زيادة على الجرمية فإن التحيز واجب للجرم لجرميته لا لشيء آخر احترز بذلك من الوصف المعنوي فإنه واجب للذات، لكن لا لذاته بل لأجل صفة قائمة بالذات وهي المعنى، فالمعنى صفة زائدة على حقيقة الذات، ولأجل أن الصفة النفسية ملازمة للذات من غير زيادة يستحيل تعقل الذات دون صفة نفسها؛ ولذلك كان من علم صفة نفس الشيء علم حقيقته، ومن ثم كانت صفة النفس في حق مولانا جل وعز مجهولة؛ إذ لو علمناها علمنا كنه ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك مستحيل في الدنيا قطعا وفي الآخرة نظر، قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ١١٠﴾.

وأما عدهم الوجود صفة نفسيه فمن جهة توقف الصفات عليها، وجهة وصفه بالوجود في اللفظ لا أنها صفة؛ لأنها عند إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري عين الذات(1)، فليست بصفة أصلا.

وأما من يقول إن الوجود زائد على ماهية الشيء فيصح عده صفة كالإمام فخر الدين الرازي، وعليه فليست بصفة نفسية؛ لأن الوجود مشترك بين الحقائق، وصفة نفسه تعالى لا يشاركه فيها غيره؛ لأن ذلك يؤدي إلى التماثل لما تقدم أن حقيقة المثلين المتساويان في صفات النفس.

---

(1) اختلف في الوجود هل عين الوجود أو غيره؟

والذي عليه الأشعري الأول بناء على نفي الأحوال وهو المعتمد أنه لا واسطة بين الوجود والعدم عند الأشعري والوصف به أمر اعتباري يعتبره الشخص، لا ثبوت له، مثال ذلك كما إذا أخرجت ثوبا من صندوق مثلا، فالثوب يوصف بالظهور، وهو أمر اعتباري لا ثبوت له في الخارج بحيث يصح أن يرى ولا في نفسه، بل هو أمر يعتبره الشخص في نفسه فقط.

وعلى هذا فتسمية الوجود صفة بناء على قول بعض المحققين: ليس المراد أو خارجا عنها، فدخل في هذا التعريف الوجود، وصفات السلوب، وصفات المعاني، والصفات المعنوية، ولو على القول بنفي الأحوال فتأمل. (انظر حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد، مصدر سابق، ص 64).

ص:

وقــد أشرنــا للمحــال وهــو مــا نــافى الــتي وجوبهــا تقــدما

ش: يعني أن المحال هو الذي نافى ما تقدم وجوبه وهو العدم والحدوث والفناء وهو طرو العدم والمماثلة للحوادث بأن يكون جرما أو عرضا أو ما لازمهما والافتقار إلى المحل أو المخصص والتعدد في ذاته أوصفاته أو أفعاله تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

***

فصل في المعاني[1]

والعلـــم والحيـــاة والقـــدرة مـــع إرادة الله بهـــا العقـــل قطـــع

لأنهـــا لـــو انتفـــت لمـــا وجـــد شيء مـــن الـصنع الـــذي لهـــا شـهد

ش: من هنا شرع في صفات المعاني السبع أو الثمان على اختلاف.

واعلم أن المتكلمين اصطلحوا على أن كل صفة موجودة في نفسها يسمونها صفة معنى سواء كانت حادثة كبياض الجرم وسواده وعلمنا الحادث وإرادتنا، أو قديمة كقدرته تعالى وسائر صفات المعاني.

فذكر الناظم هنا منها أربعة وجمعها في برهان، وهي: العلم[2]، والحياة[3] والقدرة[4]، والإرادة[5]، وإن هذه الأربعة جزم بها العقل قطعا أي جزم بوجودها لمولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وبرهانها أن تقول: لو انتفت واحدة من هذه الأربع لما وجد شيء من المصنوعات، لكن شهدت المصنوعات أي وجودها بوجوب اتصافه تعالى

(1) وهي في الأصل: ما يقابل الذات ولو كانت نفسية أو سلبية، لكن إنما تطلق في اصطلاح المتكلمين على الصفات الموجودة خاصة لا السلبية ولا النفسية، وصفات المعاني أثبتها أهل السنة ونفاها المعتزلة وهي من كبريات مسائل الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة وهي من الصفات الوجودية والصفة الوجودية لو كشف الحجاب لرؤيت لأن كل موجود يصح أن يرى، من درس شيخنا حفظه الله.

(2) العلم صفة أزلية محيطة بالمعلوم والمعدوم والممكن والجائز والمستحيل من غير تقدم خفاء.

(3) الحياة صفة أزلية يصح لمن اتصف بها أن يتصف بالإدراك وهي مشتركة بين القديم والحادث فحياة الحادث بروح وحياة القديم أزلية غير معللة بشيء ولا يتأتى الإدراك إلا لحي.

(4) صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

(5) تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه فهذه هي صفات التأثير فلا يصح خلق دونها عقلا فالعقل يستقل بالحكم بوجوب اتصاف الله تعالى بالعلم والحياة والقدرة والإرادة، فهذه الصفات دليلها عقلي تجب لله ويستحيل عليه عدمها (انظر شرح الشيخ السنوسي على الجزائرية ص 240 - 243). مصدر سابق.

بها؛ فتجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو المطلوب.

وبيان الدليل أن وجود المصنوعات متوقف على قدرة فاعله، وإلا لم يكن شيء؛ لأن العاجز لا يخلق شيئا، ووجود المصنوعات متوقف على تخصيصها لاستحالة وجود مصنوع غير مخصص، والتخصيص بالإرادة، ومحال التخصيص بغير علم بالمخصص، وشرط الجميع الحياة لاستحالة قدرة وإرادة وعلم دون حياة.

فبان أنه لو انتفت عنه صفة من هذه الأربع لما وجد شيء من العالم؛ لتوقف وجوده على القدرة وهي على الإرادة وهي على العلم والجميع على الحياة، والله الموفق.

ص:

وبعض من ينمى له الإيقان	قال دليل علمه الإتقان
لأن هذا العالم الذي ظهر	إحكامه كل العقول قد بهر
سبحان من أودعه إذ أبدعه	من حكم جليلة ما أودعه
وقد مضى ذكري لبعض ما اشتمل	عليه إجمالا بما النظم احتمل

ش: قوله: ينمى أي ينسب. قوله: الإيقان أي المعرفة، والإتقان إحكام الشيء في صنعه. قوله: إحكامه بكسر الهمزة مبتدأ وخبره قد بهر أي غلب، كل العقول: مفعول بهر.

وقوله: أودعه أي جعل فيه ما جعل فيه من الحكم الجليلة والدقائق العجيبة.

يعني أن بعض الأئمة الذي ينسب إلى كمال المعرفة قال: دليل وجوب العلم له تعالى إتقان[1] صنعه تعالى وما اشتمل عليه من العجائب والدقائق التي لا يحاط

(1) في هامش نسخة (أ) معنى الإتقان: جريان الفعل على وفق الإرادة والعلم كان ذلك الفعل في نفسه قويا أو ضعيفا ناقصا أو كاملا وضيعا أو رفيعا إذا قيل مثلا أتقن الله كذا أي أوجده ودبر أمره على وفق إرادته وعلمه الذي برز وجوده على ما أراد له تعالى من الدنو وأتقن جل وعلا ذلك الدنو المراد إتقانه لا يختلف عما أراد منه بحيث لو اجتمعت العوالم كلها على أن يبدلوا مراده تعالى فيه فيردوا ذلك الدني عاليا لما قدروا والعلي باعتبار علوه مثله والمتوسط =

بها؛ لأن هذه المخلوقات التي ظهر وجودها بعد العدم قد غلب إتقان كل جنس منها كل العقول، بما اشتمل عليه من الإتقان والإحكام، بل كل فرد من أفراد الجنس، بل كل جزء من أجزاء الفرد، تعجز العقول عن الإحاطة بعجائبه وما اشتمل عليه من دقائق صنعه، من خلقه تعالى ذلك الجزء على شكله المخصوص وصفاته، وكيف ركب أجزاءه من أنواع مختلفة، ورتب منفعة كل جزء عليه، وغير ذلك من عجائب صنعه.

ثم ذلك الجزء بعينه، في أفراد ذلك الجنس، على مثل ذلك، مختلفة الصفات من: صغر وكبر، وقوة وضعف، وحسن[1] وقبح، وشدة ورخاوة، وغير ذلك من عوارضه التي لا تنحصر، فكيف بغيره؟

فهل تقع هذه العجائب والدقائق من جاهل بها؟

هذا ما لايقوله إلا ملحد خارج عن حيز العقلاء جاحد للضروريات بالجملة؛ فدليل الإتقان يدل على علمه تعالى بالضرورة، وإن ضعفه إمام الحرمين وقال: الدليل الأول أعني وجود العالم وتخصيصه، فقد رد عليه شرف الدين ابن التلمساني[2] الفهري بما هو مبسوط في شرح الكبرى وقال: إن هذا يدل بالضرورة، والأول بالنظر، وصوبه الشيخ في الكبرى واقتصر عليه[3].

= باعتبار توسطه مثلهما وكل حادث لايمكن فيه خلل باعتبار ما أريد منه وما ذلك إلا استناد الكائنات كلها إلى الخلق الذي لا يصح عليه تغيير ولا تبديل.

(1) فكل ذرة في الوجود متقنة سواء أحسن الأشياء لأنه أريد حسنه، وأقبح الأشياء لأنه أريد قبحه؛ فكل شيء في الكون متقن فيما أريد منه؛ والحكمة من ذلك حصول التفاوت (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) هو أبو عبد الله بن محد الفهري المعروف بابن التلمساني الشافعي المصري كان إماما عالما في الفقه والأصلين تصدر للإقراء بمصر وانتفع به الناس وصنف الكتب المفيدة ولد سنة 576- ومات بالقاهرة في جمادى الأخيرة سنة 644هـ انظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ السيوطي ج1 ص 413 الناشر إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1387هـ/1967م تحقيق أبي الفضل إبراهيم.

(3) انظر شرح السنوسي على كبراه، ص 104 مصدر سابق

وقوله: سبحان من أودعه...إلخ أي من تنزه وتقدس، من أودع هذا العالم ما أودعه من حكم جليلة ومصالح عجيبة حين أبدعه أي أنشأه على غير مثال سابق.

قوله: وقد مضى ذكري..إلخ يعني أنه تقدم ذكر بعض ما اشتمل عليه العالم من الدقائق والأسرار إجمالا لا تفصيلا على قدر ما احتمله النظم وقدر عليه؛ إذ الإحاطة متعذرة يعني قوله في الحث على النظر:

وبعد أن لم يك شيئا صارا حيا حوى الأسماع والأبصارا

....إلخ مع قوله: فإن نظرت في السماوات إلخ.

ص:

والسمع والبصر والكلام جاء بها النقل ولا ملام

إذ كل ما لم يتوقف شرع عليه فالدليل فيه السمع

وعكسه ممتنع للدور فاقطف بأيد الفهم أبهى النور

وقيل لو لم يتصف بها لزم وصف بأضداد بنقصها جزم

وفيه بحث برقه قد أومضا بعكس وحدانية كما مضى

ش: يعني أنه يجب له تعالى السمع والبصر والكلام، وهي باقي السبع من صفات المعاني.

وقوله: جاء بها النقل أي يعني أن دليل هذه الثلاثة: النقل: وهو الشرع، وهو الكتاب والسنة والإجماع.

فقول الناظم: ولا ملام...إلخ، يعني أنه لا لوم عليك في الاستدلال على هذه الثلاث بالشرع؛ لأنه لم يتوقف ثبوت الشرع عليها فيمتنع الاستدلال، بخلاف ما تقدم من الصفات، فإن الشرع متوقف عليها (فيمتنع الاستدلال عليها بالشرع للزوم الدور؛ لأن الشرع متوقف عليها)[1]؛ إذ لا يعرف الكتاب إلا بعد معرفة من أنزله، ولا الرسول إلا بعد معرفة مرسله، فلو توقفت معرفته عليها كان دورا وهو محال.

(1) ما بين معكوفتين سقط من النسخة (ب).

هذا معنى قوله: إذ كل إلى قوله: وعكسه ممتنع للدور، يعني أن عكس ما لم يتوقف عليه شرع وهو: ما توقف عليه شرع من الصفات المتقدمة من: وجود وبقاء وقدم،، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، وقدرة، وإرادة، وعلم، وحياة: ممتنع إثباتها بدليل السمع للزوم الدور كما قررنا.

وقوله: فاقطف أي اجن بقوة فهمك تحقيق المسائل وأحسنها كما يختار من جنى من الأزهار أحسنها.

قوله: وقيل لو لم يتصف بها... إلخ، هذا أيضا قول بإثبات هذه الصفات الثلاث بدليل العقل وأخره لضعفه.

وتقريره أن تقول: لو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها وهي نقائص، لكن التالي باطل فالمقدم مثله؛ فوجب أن يتصف بها وهو المطلوب.

وقول الناظم: وفيه بحث برقه قد أومضا أي لمع برقه أي ظهر اتضاحه وصح يعني أن الاعتراض على هذا الدليل ظاهر صحيح، وهو أن هذا قياس الغائب على الشاهد بغير جامع وهو باطل؛ إذ ذاته سبحانه لم تعرف حتى نحكم عليها بأن كل كمال في حقنا كمال في حقه تعالى، بل كمالاتنا نحن في الحقيقة نقص بالنسبة إلى كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا مشاركة بين كمالنا وكماله إلا في الاسم.

وأما في الحقيقة فمباين كل التباين، فلا يعرف إذا من أوصافه إلا ما دل عليه فعله، فإن لم يدل عليه الفعل ألجأنا إلى الشرع، فما قال قلنا، وإن لم يرد في الشرع توقفنا.

وقد ورد الشرع بسمعه وبصره وكلامه فوجب اعتقاده وتنزيهه على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير تكييف ولا تشبيه.

وقوله: بعكس وحدانية إلخ أي إن الوحدانية إثباتها بدليل العقل أقوى من إثباتها بدليل السمع كما تقدم من قوله: وقيل ذا ذو منع.

والحاصل أن العقائد على ثلاثة أقسام:

- قسم يعتمد فيه على دليل العقل دون السمع، وهو كل ما تتوقف دلالة المعجزة عليه؛

- وقسم يعتمد فيه على دليل السمع ولا مجال للعقل فيه، وهو جميع السمعيات؛

- وقسم يستدل عليه بهما، ثم هو على قسمين: ما دليل العقل فيه أقوى من دليل السمع وهو الوحدانية، وما دليل السمع أقوى فيه من العقل وهو السمع والبصر والكلام.

ص:

وأثبت الإدراك قوم واكتفى بالعلم نافيه وبعض وقفا

ش: اعلم أن الإدراكات خمسة: السمع والبصر واللمس والذوق والشم، فاثنان واجبان له تعالى بلا شك لورود الشرع به، واختلف المتكلمون في الثلاثة الباقية:

- فبعضهم أثبتها قياسا على السمع والبصر على ما يليق به من غير اتصال ولا تكييف، وهؤلاء منهم من جعلها صفة واحدة وسماها الإدراك[1]، ومنهم من جعلها ثلاث صفات،

- وبعضهم نفاها وقال: إنه يستحيل اتصافه تعالى بها؛ لما يستلزم من الاتصال الذي هو من صفات الأجسام، واكتفى بصفة العلم عن هذا الإدراك، وهو ضعيف؛ لأن توقف هذا الإدراك على الاتصال إنما هو عادي لا عقلي، وأما اكتفاؤه بصفة العلم عنها فيلزمه أن يكتفي بها عن السمع والبصر، لكن الجواب عن هذا أن السمع والبصر ورد بهما الشرع ولم يرد بهذا.

- وبعضهم وقف في هذا الإدراك بمعنى أنا لا نعلم هل يجب له تعالى على ما يليق به زائدا على العلم أم هو العلم؟ وهذا الوقف هو التحقيق عند الشيخ[2]

(1) والإدراك عبارة عن صفة تدرك بها المذوقات والمشمومات والملموسات. وهذا القول لأبي بكر الباقلاني.

والإدراك بالنسبة لله تعالى ليس كإدراك المخلوق، لأن الله تعالى منزه عن ذلك؛ فعلى القول بإثباته لله تعالى فإنما يثبت له على ما يليق به. وأما من نفاه فقد اكتفى بصفة العلم (من درس شيخنا حفظه الله)

(2) شرح السنوسي على الكبرى ص 106 مصدر سابق

ومختار تقي الدين المقترح[1] وتلميذه شرف الدين بن التلمساني وغيرهم من المحققين[2].

ص:

واعلم بأن هذه المعاني لها وجود خارج الأذهان

ولا يقال إنها عين ولا غير لذات فاعرف المعولا

ش: يعني أن هذه الصفات المعاني صفات موجودة في الحقيقة وهو الوجود الخارج عن الذهن الزائد على إثبات الذهن لها؛ لأن الشيء له وجودات أربع:

- وجود في الأعيان وهو وجود الحقيقة؛
- ووجود في الأذهان وهو إدراك العقل لمعنى الحقيقة؛
- ووجود في اللسان وهو ذكر الحقيقة؛
- ووجود بالبنان وهو كتابة الحقيقة[3].

قوله: ولا يقال إنها عين ولا غير يعني أنه لا يجوز إطلاق لفظ العين على هذه الصفات أي لا يقال إنها عين الذات؛ لما يوهم من الاتحاد، ولا يقال إنها غير الذات؛

---

(1) المقترح بفتح الراء هو لقب الشيخ الإمام الكبير المحقق النحرير تقي الدين أبي العز مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسن الأزدي الشافعي عرف بذلك لأنه كان يحفظ كتابا في الجدل اسمه المقترح في المصطلح وقد شرحه شرحا جيدا مستوفيا وعرف به ولقب باسمه واشتهر ذلك حتى صار لا يقال له غالبا إلا التقي المقترح والكتاب المذكور لأبي منصور محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله البروي الفقيه الشافعي أحد الأئمة المشار إليهم في التقدم والفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ ولد بالاسكندرية سنة 520- ومات في شعبان سنة 612 (انظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ السيوطي ج1، ص 409 الناشر إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى 1387هـ/ 1967م تحقيق أبي الفضل إبراهيم)

(2) انظر شرح السنوسي على الجزائرية ص 276 - 277

(3) خلافا للمتعزلة والفلاسفة فإنهم نفوها وقالوا إن الله تعالى عالم بذاته لا بعلم وقادر بذاته لا بقدرته.

لما يوهم لفظ الغيرية[1] من المفارقة، واللفظان لا يجوز إطلاقهما في الشرع؛ لذلك قال: فاعرف المعولا أي المعتمد عليه في الشرع[2].

ص:

وانـــسب لكلهـــا ســـوى الحيـــاة تعلقـــا وشرحـــــه ســــيأتي

ش: يعني أن هذه الصفات السبع ينسب لها التعلق إلا الحياة فإنها لا تعلق لها، إلا أنها شرط في جميع الصفات، وسيأتي في كلام الناظم معنى التعلق في فصل التعلق.

ص:

فكـــل ممكـــن تعلقـــت بـــه إرادة وقـــــدرة فانتبـــــه

ش: يعني أن القدرة والإرادة يتعلقان بكل ممكن إلا أن جهة تعلقهما مختلف:

- فالقدرة تعلقها إيجاده وإعدامه،

- والإرادة تعلقها تخصيصه بأحد طرفي الممكن من وجود وعدم وغيرها من

---

(1) إن الذي يوهم لفظ الغير والمخالفة صحة العدم والمفارقة إذ الغيران هما الأمران واللذان يصح وجودهما دون الآخر والخلافان هما اللذان يصح اجتماعهما وارتفاعهما فمنع إطلاق لفظ الغير على الصفات متفق عليه وإطلاق لفظ الاختلاف فيه خلف بالمنع والجواز فالمنع مذهب الشيخ الأشعري وأحد قولي القاضي أبي بكر الباقلاني وللقاضي قول آخر في جواز إطلاق لفظ الخلاف في صفات الباري تعالى وإن لم تكن أغيارا لأن حقيقة الخلافين عنده ما لا ينوب أحدهما مناب الآخر ولاشك أن القدرة لا تنوب مناب العلم وكذا العلم لا ينوب مناب القدرة (انظر شرح السنوسي على الجزائرية ص 222 - 223)

(2) ولا يقال إنها عين الذات وهو ظاهر، ولا غيرها وإن لم يلزم عليه تعدد القديم، لأن تعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف. والحاصل أن أهل السنة الأشاعرة يقولون إنها ليست عينا ولا غيرا؛ فإن قيل: كيف يكون الشيء لا عينا ولا غيرا؟ فالجواب أنهم قالوا: إن المراد بنفي الغيرية الغير المنفك لا مطلق الغير؛ فالمراد أنها ليست بعين الذات ولا بغيرها غيرا منفكا، فلا ينافي أن حقيقتها غير حقيقة الذات لكنها ليست منفكة عنها والخلاف لفظي. من درس شيخنا حفظه الله.

الجهات المتقابلة على الممكن.

ولا يصح تعلقهما بالواجب والمستحيل؛ لما يلزم عليه من تحصيل الحاصل أو قلب الحقائق ولا يتوهم منه أنه يلزم منه عجزه تعالى عن ذلك؛ إذ العجز إنما يلزم لو كان الواجب والمستحيل يصح فعلهما، أما إذا لم يصح أن يكون فعلا فليس بعجز، بل لو تعلقتا بهما للزوم العجز؛ إذ يلزم على هذا التقدير الفاسد أن يسلب الألوهية عن ذاته ويجعلها لغيره - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-.

وهذا التعلق قسمان:

- قديم وهو الصلاحي ويسمى معنويا وعقليا؛
- وحادث وهو التنجيزي ويسمى العقلي أيضا.

ص:

وإن يكن علم بنفيه جرى ... ففي تعلق به خلف سرى

مثاله الإيمان من أبي لهب ... والبعض للتوفيق في هذا ذهب

أي من رأى تعلقا به اعتبر ... إمكانه الأصلي مع قطع النظر

عن ضده ومن نفاه راعا ... تعلق العلم به امتناعا

ش: يعني أن الممكن إذا تعلق علمه سبحانه بعدم وقوعه ففي تعلق القدرة به خلاف شائع بين الأئمة.

مثاله: إيمان أبي جهل وأبي لهب وغيرهما ممن علم الله سبحانه موته على كفره.

وبعضهم[1] وفق بين القولين وجعل الخلاف لفظيا.

(1) وفي هامش نسخة (ب) قال سيدي عبد الله بن محم بن القاضي المراد بالبعض هو الغزالي ووفق شيخنا بتوفيق آخر غير توفيق الغزالي وهو أن من رأى لهما التعلق أراد التعلق الصلاحي دون التنجيزي ومن نفى التعلق لهما أراد التنجيزي دون الصلاحي فما تواردا على محل وهو توفيق حسن.

فمن قال: إنه تعلقت القدرة به، راعى الإمكان الأصلي مع قطع النظر عن تعلق العلم بعدم وقوعه[1].

ومن قال: إنه لم تتعلق به القدرة راعى تعلق العلم بعدم وقوعه، فصار مستحيلا، والمستحيل لا تتعلق به القدرة، لكن هذه الاستحالة عرضية، فلو كانت مانعة من تعلق القدرة للزوم ألا تتعلق القدرة بشيء من الممكنات؛ لأن الممكنات إما أن يتعلق العلم بوجودها فيصير واجبا ويتعلق بعدمها فيصير مستحيلا.

لكن يجاب: أن تعلق العلم بعدم وقوع الممكن على العدم الأصلي لم تتعلق به القدرة بخلاف تعلق العلم بوجوده، فإنه يحتاج إلى أمر زائد على تعلق العلم بوجوده وهو: إيجاده؛ فتتعلق به القدرة، فلا خلاف.

وهذا الجواب للشيخ في شرح القصيدة[2]، ولذلك خص الناظم الخلاف بالممكن الذي تعلق العلم بنفيه، والله أعلم.

---

(1) لاشك أن الإيمان من أبي جهل مثلا ممكن عادة لأنه أسلمت أمه وأسلمت بناته وأسلم ابنه وأسلم بعض إخوته وأسلم أمثاله وما جاز على المثل جاز على مماثله لكنه سبق في علم الله تعالى أنه لا يسلم وما سبق في علم الله يستحيل تغيره وهذا النوع من الممكنات بعضهم ألحقه بالمستحيل اللازم وقال إنه لا تتعلق به القدرة والإرادة لما يلزم منه من تغير العلم القديم وبعضهم قال إنه تتعلق به القدرة والإرادة بغض النظر عما عرض له من الاستحالة لأنه هو في نفسه ممكن واستحالته عارضة لأنه سبق في علم الله أنه لا يكون وما سبق في علم الله أنه لا يكون لا يكون ويسمونه المستحيل العرضي لأنه عرضت له الاستحالة من غيره ليست من ذاته كالجمع بين الضدين استحالته ذاتية كذلك وعدم التحيز للجرم استحالته ذاتية وقيام العرض بنفسه استحالته ذاتية أيضا، أما الإيمان من أبي لهب فقد عرضت له الاستحالة من خارج وهو كونه سبق في علم الله أنه لا يسلم.

وبعض المتكلمين وفق بين هذا وقال بأنها تتعلق به نظرا لإمكانه الأصلي ولا تتعلق به من جهة ما عرض له من الاستحالة وهذا التوفيق هو محل الخلاف حقيقة لكن التوفيق الذي يظهر هو ما قدمناه قريبا من النظر إلى التعلق الصلاحي أو التنجيزي. (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) يعني بالقصيدة كفاية المريد للشيخ الزواوي وقد شرحها الشيخ السنوسي شرحا سماه المنهج السديد في شرح كفاية المريد، انظر هذا الجواب عند الصفحة 234

ص:

والسمع والبصر بالموجود قد تعلقا لا غير عند من نقد
وليس يستغنى بعلم عنهما للافتراق شاهدا بينهما
ورده بعض ذوي التحقيق والنظم عن تقريره ذو ضيق

ش: يعني أن السمع والبصر تعلقا بكل موجود قديما كان أو حادثا ذاتا كان أو صفة، وقوله: لا غير أي لا يتعلق بالمعدوم عند الناقدين العارفين المحققين.

وتعلقهما الانكشاف والاتضاح، وانكشاف كل واحد غير انكشاف الآخر، ولذلك قال الناظم: وليس يستغني بعلم.. إلخ يعني ليس انشكافهما عين انكشاف العلم حتى يستغنى بالعلم عنهما؛ لما تجده من الفرق الضروري بين علمنا بالشيء حال غيبته[1] أو عدمه وعلمنا به عند رؤيته وسماعه، فإن الفرق بينهما ضروري.

قوله: ورده...إلخ يعني أن بعض المحققين رد هذا الاستدلال والتفرقة بكلام طويل يضيق هذا النظم عن تقريره. ومراد الناظم ببعض ذوي التحقيق شرف الدين ابن التلمساني رد هذا الاستدلال بما هو مبسوط في شرح الكبرى، فطالعه إن شئت[2]، وحاصله أن التفرقة ترجع إلى كثرة التعلق وقلتها وإلى تعدد المحل وانفراده.

---

(1) كونه لا يستغنى بالعلم عن السمع والبصر عندهم قياسا على الحادث وأن هذا قياس غائب على حاضر، قال شيخنا حفظه الله الذي يظهر لي أن الغائب في الحقيقة هو الحادث لأنه معدوم ابتداء ودواما والعبارة لا تخلو من جفاء وجفاف ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۞﴾ قاسوا حاضرا على غائب والقياس لابد من توفر شروطه. (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) قال الشيخ السنوسي في شرحه على كبراه واعترض شرف الدين بن التلمساني هذه الحجة لأن مجرد التفرقة بينهما تفرقة نوعية وإلا أنهما نوعان خارجان عن نوع العلم وهو محل النزاع ولا مانع من رجوع التفرقة إلى كثرة المتعلقات وقلتها لأن البصر يتعلق بالهيئات الاجتماعية ولا يتعلق العلم بذلك في حال الغيبة ولذلك يقال (ليس الخبر كالعيان) انظر شرح السنوسي على كبراه، ص 104 مصدر سابق

ص:

وحكم إدراك لدى من قال به حكمهما فلتفرغن في قالبه

ش: يعني أن تعلق الإدراك على القول به حكمه حكم تعلق السمع والبصر، فيتعلق بكل موجود كالسمع والبصر.

وقوله: فلتفرغن في قالبه أي اجعل الإدراك في قياس السمع والبصر وقالبه، وقالب الشيء صورته، أي اجعل حقيقة الإدراك على القول به كحقيقة كل واحد من السمع والبصر وفي متعلقه، وتعلقه بالانكشاف والإيضاح - كما تقدم - وليس انكشاف كل واحد عين انكشاف الآخر.

ص:

والعلم والكلام قد تعلقا بواجب ومستحيل مطلقا

وجائز فاستوعب الأقساما والرب في الجميع لا يسامى

ش: يعني أن العلم والكلام يتعلقان بجميع أقسام الحكم العقلي وهي كل واجب ومستحيل وجائز فاستكمل تعلقهما جميع أقسام الحكم العقلي.

وقوله: مطلقا يحتمل سواء كانا ذاتين أو عرضين، ويحتمل جميع أفراد الأقسام الثلاثة: ذواتا كانت أو صفات، وجوديا كان أو عدميا، ثبوتيا كان أو سلبيا، إلا أن تعلق العلم الانكشاف والإيضاح، وتعلق الكلام الدلالة؛ يعني أن كلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يدل على جميع معلوماته. وقوله: والرب....إلخ، يعني أن مولانا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يماثل ولا يشابه في جميع صفاته وتعلقها كما لا يماثل في ذاته وأفعاله سبحانه جل عن شبه وعن مثل.

***

فصل في المعنوية

ص:

والسبعَ لازمت صفاتٌ تسمى بمعنويةٍ إليها تنمى

ش: يعني أن الصفات المعاني السبع وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر، والكلام، لازمتها صفات تسمى بالمعنوية[1]، فصفات فاعل لازمت، والسبع مفعول مقدم، بمعنى أن صفات المعنوية ملازمة للمعاني لا تنفك عنها عقلا، ولذلك قال: إليها تنمى أي تنسب المعنوية إلى المعاني أي الاتصاف بها فرع الاتصاف بالمعاني ولذلك كانت سبعا على عدد المعاني كل واحد منها ملازم لواحد من المعاني.

ص:

كون الإله عالما قديرا حيا مريدا سامعا بصيرا
وذا كلام والمقال حال بعدها على ثبوت الحال
واسطة بين الوجود والعدم ونهجها تشكو الوجى فيه القدم
ومن نفى الحال فقد رآها عبارة عن تلك لا سواها

ش: اعلم أن الحال عند المتكلمين عبارة عن وصف ثابت ليس بموجود ولا معدوم ملازم لموجود. فإن كان الموجود ذاتا يسمى حالا نفسيا وصفة نفسية، وإن

(1) منسوبة للمعنى. يعني أن صفات المعاني لازمتها صفات معنوية، فقيام صفة بموصوف كالعلم لازمها كونه عالما، ووصفه بالقدرة لازمه كونه قادرا. وهذا الوصف - أي كونه عالما ونحوه – هو الذي يسمى صفة معنوية؛ نسبة للمعنى على القاعدة أن الجمع إذا نسب إليه ينسب لمفرده كما قال ابن مالك:

(والواحد اذكر ناسبا للجمع إن لم يشابه واحدا في الوضع)

(من درس شيخنا حفظه الله).

كان معنى يسمى حالا معنويا وصفة معنوية.

وهو واسطة بين الوجود والعدم، فأهل السنة فيه على مذهبين:

- فمنهم من أنكر ثبوته وجعله محالا، وهو قول إمامنا أبي الحسن الأشعري ﵁ والمحققين؛

- ومنهم من أثبته وصححه، وهو قول جماعة من أئمة أهل السنة[1].

وبالجملة فالمسألة لا يضر جهلها بالعقائد، وينفع علمها في معرفة الحقائق.

فإذا عرفت هذا فالمعنوية من هذا القبيل، فكون مولانا جل وعز قادرا وصف ثبت له جل وعز ملازم (لمعنى قائم بالذات وهي: القدرة وكذلك كونه مريدا وصف)[2] ملازم للإرادة، وعالما ملازم للعلم، وحيا ملازم للحياة، وسميعا ملازم للسمع، وبصيرا ملازم للبصر، وذا كلام أي متكلما ملازم للكلام.

فالمعاني في هذا كله حقائق موجودة، وأحوالها أوصاف غير موجودة ولا معدومة، ملازمة لها على القول بثبوت الحال وأنه واسطة بين الوجود والعدم، أي مرتبة بينهما، وهو ثبوت فوق العدم ودون الوجود أي ثبوت أشرف من النفي ولا ينتهي إلى الموجود.

وهذا معنى قوله: واسطة بين الوجود والعدم أي أمر ثبوتي لا وجودي ولا منفي[3].

---

(1) كالقاضي وإمام الحرمين.

(2) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ب)

(3) كل موجود له خاصية يتميز بها عن غيره تسمى حالا ويقال لها صفات الأجناس والأنواع وما أشبه ذلك وهذه الأحوال اختلفوا فيها - كما ذكر الشارح - هل هو وجود أو عدم وقيل واسطة بين الوجود والعدم ليست معدومة محضا لأن لها وجود ذهنا وليست موجودة وجودا محضا لأن الأجزاء لها وجود خارجا بحيث ترى والطائفة التي أثبتت الحال قالت كونه عالما فرع عن قيام العلم بذاته وإذا قلنا قام العلم بذاته فهذا ثبوت الحال ولا يختص بالقديم بل في الحادث =

هذا معنى قول الناظم: والمقال حال بعدها...إلخ يعني أن القول متصف بعد هذه الصفات على ثبوت الحال وأنه واسطة بين الوجود والعدم، وحال اسم فاعل من حلي بالشيء إذا اتصف به وجعله حليا.

وضعف الناظم هذا القول، وإن كان الشيخ بنى عقائده على هذا القول ما عدى صغرى الصغرى، فإنه لم يتعرض فيها لإثباته ولا نفيه مع قوله في شرح الكبرى: المحققون أن الحال محال وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم. لكنه قال في شرح الوسطى: والنفس إلى ثبوت الحال أميل فإن طريقه خشنة حزونة تشكو القدم في سلوكها الوجى أي وجع القدم، ومعنى ذلك أن الدليل على إثباته لا يسلم من الاعتراض وينازع فيه، وكذلك كانت الأدلة في كتب الأئمة كثيرة جدا احتجاجا واعتراضا صحة وإبطالا، والله الموفق.

وأما قوله: ومن نفى الحال فقد رآها...الخ، يعني أن من أنكر الحال ورآه محالا قال: إن الصفات المعنوية عبارة عن قيام المعنى بالذات، وأن الصفات النفسية عبارة عن الذات لا غير ذلك، فمعنى القادر على هذا القول الاتصاف بالقدرة وكذلك إلى آخرها من غير شيء زائد على ذلك، والله الموفق.

= تقول قام البياض باللون فكان أبيض فكونه أبيض فرع عن قيام الصفة بالمحل وقيام الصفة بالمحل ليس بموجود ولا معدوم إنما هو واسطة بينهما فقد روي أن أبا الحسن الأشعري قال إن القول بالحال يلزم منه الحدوث والله تعالى لا يمكن أن يوصف بالحدوث قال إنه كونه عالما فرع عن قيام العلم بذات المحل وقيام العلم بذات المحل تتقدم على كونه عالما تقدم العلة على المعلول وقال أبوبكر الباقلاني إن هذا تقدما ذهنيا لا تقدما في الوجود وهذا من المسائل التي اختلف فيها الشيخ أبو الحسن الأشعري ومن وافقه وهذا شائك لكن لا يسع جهل مذاهب الفرق من كان منه صحيحا ينصر ومن كان فاسدا يبتعد منه ويظهر ضعفه وهذا لا غنى عنه (من درس شيخنا حفظه الله) وهذا هو القول الفصل في المسألة التي تعتبر من معضلات علم الكلام

ص:

ومثبـــت الإدراك يجريـــه عـــلى أحكـام هـذي الـسبع مثـل مـا خـلا

ش: يعني أن من أثبت الإدراك صفة ثامنة يجري معنوية هذا السبع مثل ما تقدم من كونه مدركا وصفا ثابتا ليس بموجود ولا معدوم ملازم للإدراك على القول بثبوت الحال، وعلى القول بنفيه هو عبارة عن قيام الإدراك بالذات لا غير، والله الموفق.

***

فصل في التعلق

ص:

واختلف الأشياخ في التعلق فقيل نفسي لدى التحقق
أي طلب الصفة زائدا على قيامها بذات موصوف علا
كالكشف بالعلم وكالدلاله من الكلام وصف ذي الجلاله

ش: هذا فصل في تفسير التعلق، وهذا الذي وعد به الناظم قبل في قوله: وشرحها سيأتي. واختلف أهل السنة في التعلق، فقيل:

وصف نفسي للصفة لدى التحقيق، وهو قول الإمام الأشعري وجمهور المتكلمين.

وتفسيرها على هذا القول: طلب الصفة أمرا زائدا على قيامها بمحلها كالكشف بالعلم وكالدلالة بالكلام، فإن العلم صفة وجودية قامت بمحلها ولها أمر زائد على القيام بالمحل وهو اتضاح المعلوم بها، وكذلك الكلام صفة وجودية قامت بالمحل ولها أمر زائد على ذلك وهو دلالته على المعلوم، وكذلك القدرة صفة وجودية قامت بالمحل ولها أمر زائد على ذلك وهو تأثيرها في الممكن، وكذلك جميع صفات المعاني إلا الحياة فإنها لا تعلق لها كما تقدم أي ليس لها أمر زائد على القيام بالمحل إلا أنها شرط في الجميع كما تقدم.

ص:

لكن ذا القول لوصف الحال بالحال أفضى وهو ذو إشكال
في قول من للمعنوية التزم وبالتعلق لها أيضا جزم

ش: يعني أن هذا القول وهو جعل التعلق نفسيا للصفات يفضي أي يؤدي، إلى القول بثبوت الحال، وهو قول من التزم ثبوت المعنوية وجزم بأنها تتعلق بما تتعلق به المعاني، إلى قيام الحال بالحال وهو محال.

وبيان ذلك أن التعلق للقدرة نفسي لها، وكذلك كونه قادرا فالتعلق نفسي له أيضا، وقادر حال لأنه وصف ثابت ليس بموجود ولا معدوم وتعلقه أيضا نفسي، وكل نفسي فهو حال؛ فيلزم قيام حال بحال وهو محال.

لكن يجاب عنه: بأنا لا نسلم تعلق الحال، فلا تعلق للمعنوية، إذ كيف؟ والتعلق تأثير، والتأثير لا يصح إلا من الموجود، ولا موجود للحال، والله أعلم. ومعنى البيتين ظاهر.

ص:

وقيـــل نـــسبة وللفخــــر انـــتمى ذا القـــول والـــسعد ارتـــضاه واعـــتمى

ش: يعني أن ما تقدم من أن التعلق للصفات نفسي لها هو قول جمهور الأشعرية، واقتصر عليه الشيخ في الكبرى وشرح الصغرى، وهو التحقيق[1].

فالتعلق إذا قديم كالصفات.

وقيل: إن التعلق نسبة بين المتعلق بكسر اللام والمتعلق بفتح اللام، أي نسبة التعلق وإضافتها إلى الصفة. وعلى هذا القول يصح حدوث النسبة وقدم الصفة كإضافة الخلق والرزق والإحياء والإماتة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع انتفاء هذه الأمور في الأزل، فيصح قدم الصفة وحدوث تعلقها[2].

وانتسب هذا القول لفخر الدين الرازي[3]، وتبعه على ذلك متكلمو الأعاجم كسعد الدين التفتازاني الذي قال الناظم: إنه ارتضى هذا القول واختاره،

(1) انظر شرح السنوسي على كبراه ص 120 مصدر سابق

(2) وفي هامش نسخة: ب: قوله: وللفخر إلخ، قال سيدي عبد الله بن محم بن القاضي: يمكن جمعه وبين القول بأنه نفسي بأن تقول: الذي قال نفسي أراد التعلق الصلاحي والذي قال نسبة: أراد التنجيزي وهو فرق حسن.

(3) وقد شنع عليه الشيخ السنوسي في شرح الكبرى فقال: ومن شنيع مذهبه رده الصفات إلى مجرد نسب وإضافات وتسميته لها في بعض المواضع مغايرة للذات مع ما علم من أن أئمة السنة يمنعون إطلاق الغيرية في صفاته تعالى، انظر شرح السنوسي على كبراه نفس المصدر.

والبيضاوي[1]، والعضد[2] وغيرهم.

قال المنجور: وهو مقتضى قول عبد الله بن سعيد[3] أنه يتجدد على الكلام القديم كونه أمرا أو خبرا[4] ولا يتصف بذلك في الأزل وإنما يتصف به فيما لا يزال عند وجود المأمور والمخبر، ورده المقترح وقال: إنه بعيد من التحقيق.

ص:

ومسند الأحكام للصفات	فقط إلى المجاز ذو التفات
والحق أن تنسد للذات التي	قد وصفت بذي الصفات جلت
هذا الذي نص عليه المقترح	وغيره والصدر من ذاك انشرح
وقولهم سبحان من تواضعا	كل لعزه أبى من نازعا

(1) هو عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي قاضي القضاة الإمام العلامة المفسر الفقيه ولد في المدينة البيضاء بفارس وولي قضاء شيراز له مصنفات منها مختصر الكشاف وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وطوالع الأنوار في التوحيد توفي سنة 685- انظر بقية الوعاة ج2 مصدر سابق، ص 50

(2) العضد: هو أبو الفضل عضد الدين الأيجي الشيرازي الشافع ولد في بلدة إيج من نواحي شيراز أخذ عن زين الدين النهكي ولي القضاء في عهد السلطان أبي سعيد الدرقندي بهادر سنة 716- وأصبح قاضيا للقضاة ببلاد الشرق التي كانت تشمل الموصل وسنجار، ومن مصنفاته المواقف في علم الكلام وشرح منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب توفي سنة 756 انظر الأعلام للزركلي، ج3 ص 295 – 296)

(3) هو عبد الله بن سعيد بن الكُلابِي القطان رأس المتكلمين في البصرة في زمانه وكان يلقب كلابا لأنه يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته وأصحابه هم الكلابية وكان يرد على المعتزلة وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة وهذا ما سبق إليه أبدا قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن وصنف في التوحيد وإثبات الصفات وأن علو الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص ولم أقف على تاريخ وفاته وقد كان حيا قبل 240- (انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي ج11 ص 174 - 175 مصدر سابق)

(4) انظر الحاشية الصغرى على شرح كبرى السنوسي للمنجور، ص 40 مصدر سابق

ش: يعني أن من أسند الأحكام أي إثبات الأشياء ونفيها للصفات فقط فهو على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، كما يقول مثلا: تأثير القدرة الإيجاد والإعدام، وتخصيص الإرادة. فمستعمل هذا التفت إلى المجاز وإنما الحقيقة أن تسند إلى الذات التي قامت بها الصفات بواسطة الصفات فتقول: المؤثر الإيجاد والإعدام بقدرته والمخصص بإرادته.

هذا الذي نص عليه تقي الدين أبو العز مظفر الشهير بالمقترح مؤلف الأسرار العقلية وأحد شراح الإرشاد لإمام الحرمين المجيدين ومن أئمة أهل السنة المحققين رضي الله عنه ونفعنا به، ولم أقف على تاريخ مولده ووفاته[1]، لكن تلميذه شرف الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن التلمساني الشهير بالفهري شافعي المذهب مصري الدار توفي حدود خمسين وستمائة. وهو المراد بقول الناظم: وغيره.

وهذا الذي قالوه هو الذي تنشرح له الصدور وهو الحق الذي لا شك فيه؛ لأن اسناد شيء إلى ما هو له حقيقة، وإسناده إلى غيرما هو له مجازا.

وقوله: وقولهم....الخ يعني أن قول من يقول: سبحان من تواضع كل شيء لعزه، يمنعه من خالف في استعمال المجاز وهو يقول: إن التواضع للذات لا للصفات، وهو قول ضعيف بل الذي دل عليه العقل والشرع والحس أن التواضع حاصل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من المخلوقات، في كل حال باعتبار الذات وباعتبار الصفات وباعتبار الأفعال، قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾[2] .

هذا باعتبار فعله، وقد قال ﷺ"أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من

(1) ولد بالإسكندرية سنة 526- ومات في شعبان سنة 612-، انظر حسن المحاضرة مصدر سابق، ص 409

(2) فالخضوع عبادة هم خضعوا لتلك الآية معناه أنه يجوز إطلاق التأثير على الصفة والمراد به الموصوف على سبيل المجاز

عقوبتك وأعوذ بك منك"[1] وغير ذلك من أدعيته ﷺ، هذا باعتبار الذات والصفات.

وقال الشيخ أبو عبد الله الأبي في شرح قوله ﷺ "أعوذ برضاك من سخطك" قال: أخذ من هذا الحديث صحة قول: سبحان من تواضع كل شيء لعظمته، وقول الخطيب يوم الجمعة: واجتمعنا متضرعين لعظمتك. وحجة المانع أن التضرع والتواضع إنما يكونان لذاته تبارك وتعالى.

***

(1) صحيح مسلم ج1 رقم الحديث 486

فصل في منافيات المعاني والمعنوية

ص:

وما ينافي ما مضى العقل حكم بأنه من المحال كالبكم

أو ما له يرجع كالثبوت للحرف والصوت وكالسكوت

وإنما كلامه القديم ما فيه تأخير ولا تقديم

نعم ولا لحن ولا إعراب أو كل أو بعض أو اضطراب

إذ كلها إلى الحدوث انتسبا ....

ش: يعني أن كل ما نافى وضادَّ ما تقدم من وجوب المعاني والمعنوية فإن العقل يحكم بأنه من المحال؛ لأن ما ثبت وجوبه بالدليل استحال ضده ومنافيه؛ لأن الدليل يجب طرده.

ومعنى ذلك أنه يستحيل وجود الدليل بدون المدلول، وقد دل الدليل على وجوب المعاني والمعنوية؛ فيستحيل أضدادها كالبكم ضد الكلام، يعني أنه يستحيل عليه تعالى البكم أو ما يرجع إلى البكم كإثبات الحرف والأصوات بكلامه تعالى، وإنما يرجع الحروف لمعنى البكم؛ لأن الحروف لما استحال اجتماعها في وقت واحد - بل لابد من تقديم بعض على بعض - صار عند النطق بحرف أبكم عن غيره.

وكذا يستحيل عليه: السكوت، وتقديم بعضه على بعض[1]، وتأخيره، ولحن،

---

(1) وفي أجوبة العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم لأسئلة العلامة عبد الله بن الحاج حمى الله ما نصه: وأما سؤالك عن معنى قولهم في الكلام الأزلي منزه عن الكل والبعض فمعنى نفي الكلية إشارة إلى وحدة كلامه تعالى فلا يقال كلام الله ولا جميعه ولا بعضه لأن هذا لا يقال إلا فيما له أفراد وجزئيات وهذا قريب مما نقله الشيخ ياسين في حواشيه على الصغرى وبعضهم في تفسير التبعيض أنه طرو البعض بعد وجود البعض و صدر. أعنى الشيخ ياسين . في تفسيره بأنه ليس بعضا من شيء وليس شيء بعضا منه فالحاصل أن الكل والبعض =

وإعراب، وكل، وبعض، وأنواع التغيرات من جميع الوجوه[1]. وهو المراد بقوله:

=

متلازمان لأنه لا يقال إلا فيما له بعض ولا يقال بعض إلا فيما له كل كما أن التقديم و التأخير كل منهما يستلزم الآخر ولا يكونان إلا في الأفراد ولا شك في استحالة التبعيض في كلام الله تعالى إذا قلنا إنه طرو البعض فكل كلمة بعض وكذا إذا فسرنا التبعيض المنفي عن كلامه بما صدر به الشيخ ياسين فإنه يكون فيه ما في التفسير الأول من المحال و يريد أن يكون أصلا وجملة لشيء أو يكون شيء أصلا وجملة له.

الله يعلـــم أني لـــست أعلمـــه   فكيـف يُعلـم مـن بـالعلم نجهلـه

والله تعالى أعلم. انتهى بحوزتنا نسخة من الأجوبة المذكورة بخط سيدي عبد الله.

(1) انظر شرح السنوسي على الجزائرية، مصدر سابق، ص 267، وقال أيضا في نفس المحل: واعلم أن إثبات صفة الكلام لله تعالى على هذا الوجه الذي ذكرناه لم يقل به إلا أهل الحق رضي الله تعالى عنهم، وخالفهم في ذلك جميع الفرق أذلهم الله تعالى. انتهى.

إذا فالكلام صفة المتكلم وكلام الله تعالى قديم منزه عن الأصوات والحروف وهو المعبر عنه بالكلام النفسي والكلام النفسي معنى قائم بالنفس إذا تعلق بأمر يكون أمرا وإذا تعلق بنهي يكون نهيا وإذا تعلق بوعد يكون وعدا وإذا تعلق بوعيد يكون وعيدا إذا هو في نفسه شيء واحد واختلافه بحسب متعلقاته فالأشاعرة يرون أن كلام الله تعالى صفة قديمة بقدمه باقية ببقائه يتأتى بها ما يريد بيانه والله تعالى متكلم منذ القدم ولم يزل قائلا متكلما ومتى شاء كشف لمن شاء كلامه القديم فأسمعه ما أراد أن يسمعه إياه من غير صوت ولا حرف ولا كيف لأن الحرف مما تدركه الأبصار والصوت مما تدركه وتحيط به الآذان والله تعالى لا تدركه الأبصار ولا يحيط به شيء، أما الحروف والأصوات والرسوم فهي حادثة.

والكلام النفسي يستدل له الأشاعرة بقول الأخطل:

إن الكـــلام لـــفي الفـــؤاد وإنمـــا   جعـل اللـسان عـلى الفـؤاد دلـيلا

فهناك القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو والدال والمدلول فالأول من الثلاثة حادث والثاني قديم فالمتلو والمقروء والمدلول كلام الله تعالى ودلالة الحروف على الكلام القديم لا يستلزم حدوثه لأن الأثر لا يكون صفة للمؤثر فخالق البياض لا يقال إنه أبيض.

فهذه الحروف لا يصح أن تكون قديمة لأنا قد نحضر كتابتها، ولأنا نرى القارئ يقرأ بعدما كان ساكتا ويسكت بعدما كان قارئا. وكلام الله تعالى منزه عن التقديم والتأخير وعن جميع التغيرات.

وأنكر المعتزلة الكلام النفسي وقالوا إن الكلام حقيقة في الألفاظ، وكذلك بعض الحنابلة أيضا

=

واضطراب.

إذ كل هذه الصفات ملازمة للحدوث، وقيام الحوادث بذاته تعالى محال؛ لأنه يفضي إلى حدوثه، بل يجب له تعالى وجميع صفاته القدم؛ ولذا قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما كلامه قديم لا يدرك العقل كنهه ولا حقيقته كذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ص:

....   ككـــون علمـــه عـــلا مكتـــسبا

وهـــو محـــال وكـــذا الجهـــل ومـــا   ضـــاهاه والوصـــف بمـــوت أو عـــمى

ش: يعني أنه يستحيل على علمه تعالى أن يكون مكتسبا أي يكون بعد سبق نظر؛ لأن العلم النظري لا يكون إلا حادثا، وهو محال عليه.

وكذا يستحيل عليه الجهل بمعلوم ما وما شابهه أن يكون العلم نظريا - كما تقدم - أو ضروريا أي يقارنه ضرر كعلمنا بجوعنا وألمنا، وكذا كون علمه بديهيا؛

=

أنكر الكلام النفسي

- والحاصل أن بعض الحنابلة يرون أن الأصوات والحروف قديمة

- والمعتزلة يرون أن الجميع حادث لأنه لا كلام عندهم إلا الكلام اللفظي

- أما الأشاعرة الذين يقولون بالكلام النفسي جعلوا الكلام النفسي قديما وما دل عليه حادث لكن مع ذلك لا ينبغي أن يقال لفظي بالقرآن حادث لأنه لفظ موهم ربما يؤيد مذهب المعتزلة من القول بحدوث القرآن (من درس شيخنا حفظه الله وهذا هو التحقيق في المسألة).

وقال بعض المحققين إن التطويل في مسألة الكلام وكذا باقي الصفات بعد بيان الحق في ذلك قليل الجدوى لأن كنه ذاته وصفاته تعالى محجوب عن العقل فالسبيل الأمثل ترك المنازعة والخوض فيما لم يخض فيه أصحاب النبي ﷺ والعمل بما في كتاب الله تعالى وتدبره لكن العذر لأهل السنة أنه لما كثر الخبط والآراء الباطلة في هذه الصفة وما أشبهها تصدى بعض الأئمة لتحقيق الحق وإبطال الباطل لأن ذلك فرض كفاية فهو عمل بما في الكتاب انظر تيسير الحصول على خلاصة الأصول للعلامة الأصولي الشيخ محمد سعيد بن بدي العلوي الشنجيطي حفظه الله ورعاه، ص 224، مركز تيجبوية والدار النابغية، ط1، 1438هـ/ 2017م.

لإشعار ذلك كله بالحدوث، وعلمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قديم كذاته لا يسمى نظريا ولا ضروريا للإيهام.

وقوله: والوصف بموت أو عمى: هذا ضد الحياة والبصر، يعني يستحيل في حقه الموت والعمى، وما في معنى العمى من كون البصر بجارحة أو عرض أو مخصوصا ببعض الموجودات دون بعض.

ص:

أو صمم وقد سما من خلقا عن عجزه عن ممكن ما مطلقا

ش: يعني أنه يستحيل عليه الصمم ضد السمع وما في معناه من كون السمع بآلة أو جارحة أو خاصا ببعض الموجودات دون بعض؛ لأن بعض ذلك يؤدي إلى الحدوث.

قوله: وقد سما...إلخ، يعني أنه تنزه من خلق المكونات عن العجز عن ممكن ما مطلقا صلاحا كان أو فسادا طاعة أو معصية ثوابا كان أو عقابا، لأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على كل شيء قدير.

ص:

كذلك الإيجاد مع كراهته لفعله أعني انتفا إرادته

أو كونه طبيعة أو علّه للخلق أو إيجاده مع غفله

ش: وكذا يستحيل عليه إيجاد شيء من العالم مع كراهته لوجوده.

ثم فسر الكراهة بقوله: انتفا إرادته أي عدم إرادته لوجوده - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد.

وإنما فسر الكراهة بنفي الإرادة لأنه المستحيل عند أهل السنة.

وأما الكراهة بمعنى النهي عنه، فإنها لا تنافي الإرادة كالمنهيات الشرعية فإنها واقعة بإرادة الله تعالى خلافا للمعتزلة.

وقوله: طبيعة أو عله: يعني أنه يستحيل كونه تعالى علة للخلق أو طبيعة له؛ لأن ذلك مناف للإرادة؛ لأن تأثير العلة والطبيعة باللزوم والإيجاب الذاتي لا

بالاختيار، وتأثير الإرادة بالقصد والاختيار، وذلك مناف للزوم.

وقد تقدم انحصار الفاعل بحسب التقسيم العقلي في الثلاثة؛ لأن الفاعل إن صح منه الفعل والترك فهو بالاختيار، وإن صح منه الفعل دون الترك: فإما أن يتوقف فعله على شرط وانتفاء مانع أو لا: الأول الطبيعة والثاني العلة.

لأنه سبحانه لو كان طبيعة أو علة لزم قدم العالم، إن كانتا قديمتين، واستحالة وجود العالم، إن كانتا حادثتين. وكلا الوجهين محال، فالملزوم مثله وهو: كون الفاعل طبيعة أو علة؛ فتعين كونه فاعلا بالاختيار وهو المطلوب ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾

وقوله: أو إيجاده مع غفلة أي يستحيل إيجاده من العدم مع غفلة عنه أي عدم الشعور به والقصد إليه؛ لأن ذلك مناف للإرادة، ومثل الغفلة الذهول، والفرق بينهما أن الذهول يستلزم تقدم الشعور بالشيء، بخلاف الغفلة، وهما محالان في حقه تعالى.

***

فصل في الأمر والرضى والمحبة

ص:

وأمـــــره يغـــــاير الإراده إذ عـــم أمـــر طاعـــة عبـــاده
ولـــم يـــرد وقوعهـــا مـــن كلهـــم بـــلا ارتيـــاب بـــل ولا مـــن جلهـــم
فـــصح أن يـــأمر بالـــشيء ولا يريـــده مـــن بالهـــدى تطـــولا

ش: يعني أن أمره[1] تعالى وإرادته متغايران أي حقيقة كل واحد منهما غير حقيقة الآخر، فحقيقة الأمر: طلب الفعل من المكلف. وحقيقة الإرادة: القصد إلى إيجاد الشيء أو إعدامه. وهما متغايران غير متلازمين.

هذا مذهب أهل السنة قاطبة، خلافا لغيرهم.

واستدل الناظم على هذا بالنقل والعقل، فقال: إذ عم أمر طاعة عباده، يعني أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر جميع المكلفين بالطاعة (وعمهم بذلك فقال جل من قائل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾. (فعم جميع المكلفين بالأمر بالتقوى)[2]، ولم يرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوع التقوى منهم. وهذا مما لاشك فيه ولا ارتياب؛ إذ لو أراد وقوع التقوى منهم ما عصى أحد أبدا، وهذا خلاف العيان والوقوع.

قوله: بل ولا من جلهم، يعني أنه ما أراد وقوع التقوى من جميع المكلفين بل ولا من أكثرهم، إذ أكثرهم كفار وعصاة قال تعالى ﴿۞وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وحديث بعث النار[3] نص في ذلك.

---

(1) الأمر أمران أمر تكويني وأمر تكليفي الأمر التكويني: لا يشترط فيه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾، والأمر التكليفي يعم الطائعين والعاصين وهو مغاير في المعنى للإرادة ليس هو الإرادة فبينهما عموم وخصوص من وجه (من درس شيخنا حفظه الله).

(2) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ب)

(3) حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قالَ قال رسول الله ﷺ: "يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول: أخرج =

ولذلك قال الناظم: فصح أن يأمر عبده بالشيء ولا يريد وقوعه منه[1]، كما كلف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إبليس بالسجود، ولم يرد وقوعه منه، وكلف الكفرة بالأمر بالإيمان، ولم يرده منهم، فصح أن يأمر مولانا جل وعز عبيده بالطاعة، ويتفضل بالهداية إليها على من شاء منهم، كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾. فعم بالدعوة وخص بالهداية، كما قال أهل السنة.

وجمهور المعتزلة على أن المعاصي غير مرادة لمولانا جل وعز، بل العبيد أوقعوها باختيارهم، ولذلك يعاقبون عليها.

ولذلك لما لقي عبد الجبار[2] من أئمتهم الأستاذ أبا إسحاق الإسفراييني من أئمتنا في الطواف وعرفه المعتزلي فقال معرضا له: سبحان من تنزه عن الفحشاء كلمة حق أريد بها باطل، فتفطن له الأستاذ فقال مجيبا له: سبحان من ليس في ملكه إلا ما يشاء! فتعجب المعتزلي وعرف أن الأستاذ فهم مراده، رجع إليه للمناظرة[3]، فقال له: أرأيت إن منعني من الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم

=

بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾... الخ انظر صحيح البخاري من كتاب الرقاق باب كيف الحشر، الحديث رقم 6530، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي دار ابن جزي القاهرة.

(1) الصور أربعة.

- الإيمان من أبي لهب أمر به ولم يرده
- ويريده ولا يأمر به ككفران الكفار أراده لكن لم يأمر به
- وإيمان المؤمنين أمر به وأراده
- وكفر من أراد الله إيمانه لم يأمر به ولم يرده لأنه لو أراده لكان

(من درس شيخنا حفظه الله)

(2) هو شيخ المعتزلة في عصره القاضي الأصولي المتكلم، صاحب تنزيه القرآن عن المطاعن، والمغني في أبواب التوحيد، توفي في الري سنة 415هـ انظر: طبقات الشافعية للسبكي ج97/3

(3) وفي هامش نسخة (أ) قوله المناظرة معناه سؤال العالم العالم لينظر حسن نظره وقدر معرفته.

والمناظرة في العرف هي المدافعة ليظهر الحق أعني دفع السائل قول المعلل ودفع المعلل =

أساء؟ فقال له الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فذلك فضله يؤتيه من يشاء! فبهت عبد الجبار ولم يدر ما يقول، فانصرف الحاضرون وهم يقولون: والله ما على هذا جوابا[1].

وذكر بعضهم أن هذه القصة وقعت بين عبد الجبار من المعتزلة وأبي الحسن الأشعري، والله أعلم[2].

وقوله: من بالهدى تطولا أي تفضل بالهداية على من يشاء، كما قال:

ص:

ومثلـــه الـــرضى فلـــيس يـــرضى كفـــران أصـــحاب القلـــوب المـــرضى

أي لا يكلـــف النفـــوس مـــا نـــهى عنـــه ولا يحـــب غيـــا شـــانها

ش: أي ومثل الأمر في مغايرته للإرادة الرضى منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والمحبة منه.

قال الشيخ حلولو في شرح جمع الجوامع: ذهب أكثر أئمتنا إلى أن محبة الله لعبده ورضاه عنه معناه: إرادة حصول الثواب والإكرام له، وكذلك عكس المحبة والرضى إرادة حصول العقاب، وحملوا قوله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[3] على عباد مخصوصين وهم المؤمنون، وعلى هذا فذلك من صفات الذات. وذهب

= قول السائل وفي المناظرة فن يعرف به صحيح الدفع وفاسده، ص 4 من تأليف محمد ساجقجي زاد، مخطوط مصور على الماكروفيلم في افرايبور – ألمانيا تحت رقم 27

(1) انظر هذه المناظرة في طبقات الشافعية للسبكي، ج3 نفس المصدر

(2) الأصح ما صدر به الشارح لأن وقوعها بين عبد الجبار وأبي الحسن الأشعري لا يصح من الناحية التاريخية لأن عبد الجبار ولد سنة 359هـ أي بعد وفاة أبي الحسن الأشعري ب 17 سنة.

(3) اختلف في تفسيرها على ثلاثة أقوال:

- قيل: لا يثيبهم
- وقيل: لا يكلفهم به
- وقيل: معنى الآية أنه لا يرضى لعباده المومنين الكفر، وأما غيرهم - نعوذ بالله - فقد خلقهم لهذا فخذلهم بالكفر (من درس شيخنا حفظه الله)

آخرون إلى أن المحبة من صفات الأفعال، وكذلك الرضى، وأن معناهما فعل الإنعام والإكرام بالعبد وكذلك عكسه؛ فمعنى ﴿لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي لا يثيب عليه ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي لا يثيبهم؛ فهاذ معنى محبة الله تعالى لعبده.

وأما محبة العبد لمولاه ففي الإرشاد[1]: أنه بمعنى إذعان العبد وانقياده لطاعة مولاه وليست هي الميل؛ لأن الله تعالى تنزه عن أن يميل أو يمال إليه، واختار المقترح صحة ميل العبد لمولاه؛ فإن الإنسان يجد ميلا إلى من أحسن إليه، ولا محسن في الحقيقة إلا الله تعالى. انتهى بالمعنى.

قوله: فليس يرضى كفران أصحاب القلوب المرضى؛ لأن مرض قلوبهم إما كفر ونفاق وإما شك، قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ وفسر الناظم الرضى بعدم التكليف بالمناهي كالكفر والمعاصي بمعنى أن الله لا يأمر بها ولا يوجبها على عباده بل ينهى عنها ويحرمها ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ففسر الرضى بصفة ترجع للكلام، وذلك مخالف لما تقدم عن الشيخ حلولو أنها ترجع إلى معنى الإرادة.

قوله: ولا يحب غيا شانها، أي لا يحب غيا أي ضلالا شان النفوس بكدر كفره وعيصانه، والغي ضد الرشد، بمعنى أنه لا يريد الإنعام لهم ولا يثيبهم على المذهبين.

ص:

وكــــل مـــا أراد فهوكـــائن وإن نـــهى عنـــه وأخطـــا المـــائن

ولـــيس عمـــا شـــاءه محيـــد لأنـــه يفعـــل مـــا يريـــد

تجـــري عـــلى اختيـــاره الأقـــدار في الخلـــق والإيـــراد والإصـــدار

ش: يعني أن ما أراد سبحانه وقوعه فهو كائن واقع لا محالة، وإن نهى عنه وحرمه ومنع منه شرعا، وأخطأ الكاذب وهو المراد بالمائن وهو الذي يقول: إن ما نهى عنه لا يريده سبحانه، وقال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ وقال ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وروي أن رجلا جاء لابن عباس فقال لابن عباس: أنت الذي تزعم أن الله تعالى

(1) يعني به الإرشاد في مسائل الاعتقاد لإمام الحرمين

أراد أن يعصى؟ فقال ابن عباس: نعم! فقال الرجل: ما أراد الله أن يعصى! فقال ابن عباس: ويحك ما حال بين الله تعالى وبين ما أراد! انتهى.

وروي أن رجلا من المعتزلة مع يهودي في سفينة، فدعا المعتزلي اليهودي إلى الإسلام، فقال له اليهودي: إذا شاء ذلك رب الخضر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ! فقال له المعتزلي: كذبت، شاءه ولكن غلبك الشيطان! فقال له اليهودي: إذا كان الشيطان يغلبه على مراده، فأنا مع الغالب!

فانظر هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا يرضى به عاقل حتى اليهودي عصمنا الله تعالى من الآفات بمنه.

ولذلك قال الناظم: وليس عما شاءه محيد أي لا محيد عن مراده وهو واقع لابد منه؛ لأنه يفعل ما يريد ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ وإلا لزم نقصه، ويكون مقهورا مغلوبا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل لم يقع في الوجود إلا فعله؛ لاستحالة شريك معه في ذلك، كما قال الناظم: تجري على اختياره الأقدار في الخلق أي تجري الأقدار - جمع قدر وهو سابق علمه وقضائه في المخلوقات على وفق اختياره ومراده، وكذلك إيرادها إلى الدنيا وإصدارها إلى الآخرة، كل ذلك على وفق اختياره ومراده، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

***

فصل في حدوث العالم

ص:

و العالم اسم ما سوى الديان من	نوعي الاعراض والأعيان
فالعين ما بنفسه يقوم	وما عداه العرض المرقوم
ولم يحقق غير ذين قسم	وكل ما ألف فهو الجسم
وما انتهى لحد منع القَسْمِ	فالجوهر الفرد الشهير الوسم
وهو على مذهبنا المحمود	يوصف بالحدوث والوجود
هذا وفي القول به إزاحه	لظلمة الغاوين واستراحه

ش: أراد أن يذكر في هذا الفصل حدوث العالم واستدل له بالمطالب الأربعة المتنوعة إلى سبعة أصول وأقسام العالم وأنواعه، وبذلك يتم له الاستدلال والمعرفة بحدوث العالم الذي عليه إنشاء(1) العقائد كلها.

وقوله: العالم... إلخ، يعني أن العالم في اصطلاح المتكلمين عبارة عما سوى الله تعالى من الموجودات(2)، ثم العالم على قسمين: جواهر؛ وأعراض.

وهو المراد يقول الناظم: نوعي الأعراض والأعيان جمع عين وهي الذات التي هي الجوهر، ثم عرف الجوهر فقال: العين- أي الجوهر- ما يقوم بذاته بمعنى أنه لا يفتقر إلى محل(3)، ويعرف أيضا بالمتحيز ومعناهما واحد، وما عداه العَرَض أي ما

---

(1) في نسخة (ج) ابتناء

(2) نحن قدمنا أن دليل الوجود العالم والعالم سمي عالما لأنه علامة على موجده لأن الأثر يدل على المؤثر والأقدام تدل على المسير والبعرة تدل على البعير كما تقول العرب. من درس شيخنا حفظه الله.

(3) والمراد قيامه بنفسه في الظهور لا في الحقيقة لأن الأعيان قائمة بالله تعالى " هو القيوم" لكن يقوم ظهورها بنفسها "كالكتاب مثلا" لا يحتاج لشيء يحل فيه أي لا يحتاج لذات أخرى =

سوى الجوهر من صفاته القائمة به من لون وحركة وسكون وغيرها هو المعبر عنه بالعرض الذي سطره العلماء في كتبهم.

قوله: ولم يحقق قسم(1) أي لم يعلم قسم غير الجواهر والأعراض، أي لم يحقق وقوعه ولا جوازه بل يتوقف عنه. هذا الذي اختاره المحققون في القسم الثالث وهو التوقف في جوازه ووقوعه. وأدلة الفريقين ضعيفة؛ ولذلك كان الأصح التوقف(2).

قوله: وكل ما ألف فهو الجسم، يعني أن كل ما تركب من جوهرين فأكثر هو الجسم في اصطلاح المتكلمين.

قوله، وما انتهى لحد منع القسْم فالجوهر الفرد، يعني أن الجوهر الفرد هو الذي انتهى إلى حد يستحيل انقسامه عقلا، الشهير الوسم، أي الشهير العلامة بكثرة الاختلاف فيه وهو على مذهبنا يوصف بالحدوث و الوجود خلافا للفلاسفة(3) وبعض المعتزلة(4)، هذا هو الصحيح مع أن القول به فيه إبعاد لجهل الضالين =

يكون فيها، إذن عدم التوقف هنا ظهوري لا حقيقة وإلا العالم كله قائم بالله تعالى وتوقفه على الله تعالى حقيقة وعلى غيره ظهوري لا حقيقة.

(1) هم اختلفوا في أنواع الموجودات واتفقوا على الأعراض والأجسام وهذا واضح في المشاهدة ولم يثبت شيء زائدا. بعضهم نفى ما زاد وبعضهم أثبت والدليلان ضعيفان إثبات زائد ونفيه إذ لم يأت دليل مقنع على النفي والإثبات إنما هي بحوث لا تأتي بنتيجة قطعية. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) من ثبت عنده أن العالم حادث لا يحتاج إلى هذا، من درس شيخنا حفظه الله.

(3) الجسم: هو ما ركب من جوهرين فصاعدا وإذا وصل إلى درجة لا تقبل القسمة فهو الجوهر الفرد، لكن الفلاسفة أنكروا وجود جسم لا يقبل القسمة وقالوا إن الجوهر الفرد قابل للانقسام إلى أن ينعدم. وكونه يصل إلى درجة لا تقبل القسمة مستحيل عندهم، وقالوا إنه لا بد أن يكون له ـ لتحيزه ـ جهات: يمين شمال فوق تحت أمام وراء، وهذه الجهات كل جهة منها ليست هي الجهة الأخرى، معناه أنه قابل للقسمة، لكن أهل السنة لم يسلموا لهم ذلك قالوا إن هذا شيء متصور فقط. وأن الجوهر الفرد يوصف بالوجود ويوصف بالحدوث، لكنه غير مرئي إنما يحكم به العقل فقط. من درس شيخنا حفظه الله.

(4) يعني النظام، انظر أبكار الأفكار العلوية في شرح الأسرار العقلية للكلمات النبوية للشريف أبي =

واستراحة من تقدير المحال؛ لأن الجسم متناهي الأطراف ضرورة، فوجب أن يتركب من جواهر متناهية ضرورة؛ لأن تناهي الكل يستلزم تناهي الأجزاء، ولأن الجسم لو كانت أجزاؤه غير منتاهية لدخل في الوجود ما لا يتناهى، وهو محال، ولَسَاوَتْ الذَّرَّة الفيلَ؛ لأن ما لا يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى وذلك باطل بالضرورة والمعاينة.

ص:

وفي حـدوث مـا سـوى الله الغـرض إذ كـل عـين لـيس تخلـو عـن عـرض

مثـل الـروائح أو الألـوان فـلا تكـن عـن شرحهـا بـالواني

ولنقتـصر هنـا عـلى الأكـوان فإنهـا للقـصد كـالعنوان

وهي اجتمـاع أو سـكون أو مـا نـافى فكـل للحـدوث أومـا

لأنهـا محقـق فيهـا العـدم عنـد طـرو ضـدها فـلا قـدم

وكـل مـا بـان بعقـل قدمـه كـان محـالا دون ريـب عدمـه

وكـل مـا لازم حادثـا وجـب لـه مـن الحـدوث مـا لـه انتسب

ش: يعني أن مطلوبنا وغرضنا حدوث ما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، وهذا الدليل الذي يقرره الناظم هو: الاستدلال بحدوث أحد المتلازمين على الآخر، وهو عمدة المتكلمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وقوله: إذ كل عين... إلخ، يعني أن كل جوهر لا يخلو عن أعراض تقوم به أي صفات تقوم به مثل الروائح والألوان وغيرها.

وقوله: ولنقتصر هنا إلخ، فلنقتصر في الأعراض على الأكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فإنها كالعلامة على المقصود والمطلوب.

فقوله: وهي اجتماع... إلخ، هذا تفسير الأكوان وهي: الاجتماع وما نافاه أي ضده وهو الافتراق، والسكون وضده وهو الحركة.

=

يحي زكريا بن يحي، ص: 78، تحقيق نزار حماده

وقوله: فكل... إلخ، يعني أن كل واحد منهما أومأ للحدوث: أشار للحدوث أي ملازم للحدوث. قوله: لأنها محقق فيها العدم؛ أي لأن الأكوان تحقق عدمها عند طروّ ضدها أي مشاهدته كما قال الشيخ يعني معاينته.

وأما من قال: إن الحركة والسكون لا تعاين وإنما يعاين حكمها، فقول باطل قطعا وقلب للحقيقة وتفسير الواضح بالأخفى، وذلك محال عقلا وممنوع شرعا. وقد قال السبكي في جمع الجوامع: واللفظ الشائع لا يجوز أن يكون موضوعا لمعنى خفي إلا على الخواص، كما يقول مثبتوا الحال: الحركة معنى يوجب تحرك الذات. انتهى

فإذا كانت الحركة لا ترى، فحكمها الذي هو عدمي على قول المحققين، أو حال على قول غيرهم: أولى؛ لأن مصحح الرؤية الوجود، وحكم الحركة عدمي أو حال، وكلاهما غير موجود فلا يرى، وإذا تحقق عدمها بعد وجودها تعين نفي قِدمها ووجب حدوثها؛ لأنه لو كان قديما لاستحال عدمه، وهو معنى قول الناظم: وكل ما بان... إلخ، يعني أن كل ما ثبت قِدمه استحال عدمه، فلازمها أن كل ما جاز عدمه استحال قِدمه وهي كلية صادقة.

وإذا ثبت حدوث الأكوان [والجواهر ملازمة لها أي لا تخلو عنها، وجب أن لا تسبقها؛ لأنها لو سبقت الجواهر الأكوان][1] لعريت عنها، وعروّها عن الأكوان محال ضرورة، فوجب حدوثها كالأكوان، وهو معنى قوله: وكل ما لازم حادثا... إلخ، يعني أن كل ملازم للحادث فهو حادث كما قررنا.

ص:

وعـدّ الاجتمـاع في نـوع العـرض كـذاك الافـتراق بعـض اعـترض

وقـال بـل أمـران نـسبيان لـم يـصلا الوجـود في التبيـان

ش: يعني أن بعض المحققين اعترض عدّ الاجتماع والافتراق من الأعراض الموجودة. والتحقيق أنهما من النسب والإضافيات التي لا وجود لها في الخارج،

(1) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ج)

وإنما هي من الأمور التي يدركها الذهن من غير وجود لها، وإنما تعقل بالنسبة إلى ضدها كالأخوة والبنوة والأبوة والفوقية والتحتية والقبلية والبعدية والأصلية والفرعية ونحوها.

حقق الشريف زكرياء[1] في شرحه أنها إضافية، بل قال: إنه لا معنى للاجتماع إلا اشتغال حيزين لا ثالث بينهما، وكونه لا حيز بينهما إنما هو سلب لا حقيقة له، وكذلك الافتراق إنما هو شغل[2] حيزين بينهما حيز، وكون الحيز بينهما لا يرجع إلى معنى في أحد منهما. فلو كان الاجتماع وكذلك الافتراق عَرَضًا فلا يخلو: إما أن يقوم بمجموع الجوهرين؛ أو بكل منهما؛ أو بأحدهما فقط.

والأول باطل؛ لأنه يؤدي إلى انقسام ما لا ينقسم، وبه رُدَّ على أبي هاشم في قوله بذلك، وكذلك الثاني؛ لأن الواحد بالشخص لا يوجد في محلين، وكذلك الثالث؛ لأن نسبته إليهما تثنية واحدة، فلا يقوم بأحدهما فقط؛ ولأنه يلزم أن يكون الآخر على ذلك.

والإضافات والنسب عند المتكلمين اعتبارات ذهنية لا وجود لها، واحتجوا بأنها لو كانت موجودة لكانت في محل؛ لامتناع قيامها بنفسها. وكونها في المحل إضافة أيضا بينهما وبين المحل، والكلام في تلك الإضافة كما في الأولى، ويتسلسل. انتهى كلام المنجور في حاشيته بالمعنى.

وهذا معنى قول الناظم: لم يصلا الوجود بالتبيان، يعني أنهما لم يصلا إلى مرتبة الوجود بالدليل المانع من ذلك وهو لزوم التسلسل كما ذكرنا.

---

(1) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى الإدريسي الحسني رحل في أواخر القرن السادس إلى مصر وتحديدا إلى الأسكندرية حيث لقي الإمام تقي الدين المقترح ت 612هـ وأخذ عنه الإرشاد فصار من كبار المحققين في أصول الدين فشرح الأسرار العقلية لشيخه المقترح وسمى شرحه: ابكار الأفكار العلوية في شرح الأسرار العقلية في الكلمات النبوية " كان حيا عام 629هـ انظر مقدمة تحقيق أفكار الأفكار، تحقيق نزار حماد، ص: 22-29.

(2) في نسخة (ج) اشتغال.

ص:

فبـــان ممـــا قـــد مـــضى بالـــسرد   حـــدوث مـــا ســـوى الإلـــه الفـــرد

ش: يعني أنه ظهر مما تقدم، من إيراد الأدلة وسردها: حدوث ما سوى الإله المنفرد بعظمته وجلاله وكبريائه وقدمه وبقائه، وأنه لا شيء من أفراد العالم قديما جوهرا كان أو عرَضا مركبا كان أو بسيطا،

وأن جميعه مفتقر إلى الفاعل المختار افتقارا دائما ضروريا لا يستغني عنه طرفة عين، وأن خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوف بغاية الكمال والغنى المطلق بحيث إنه لو لم يكن كذلك لكان من جملتها فيفتقر كافتقارها- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-.

ص:

ولا يـــتم المبـــتغى للطالـــب   إلا بعلـــم الـــسبعة المطالـــب

إثبـــات أعـــراض وكـــون العـــين   تـــلازم الأعـــراض دون مـــين

والمنـــع للكمـــون والظهـــور   والانتقـــال المـــدعى بـــالزور

أو أنهـــا قائمـــة بنفـــسها   أو كونهـــا قديمـــة في جنـــسها

أي قـــولهم لـــيس لهـــا مـــن أولا   فـــالأربع اردد واعـــضد المعـــولا

وانـــف التغـــير عـــن القـــديم   تـــسر بـــنهج الـــسنة القـــويم

ش: يعني أنه لا يتم المطلوب لطالب حدوث العالم إلا بعلم المطالب السبعة التي يتوقف عليها حدوث العالم وأصولها أربعة وهي تتفرع إلى سبعة فالأصول أولها:

- إثبات وجود الأعراض؛
- الثاني: تلازمها للأجرام؛
- الثالث: حدوث الأعراض؛
- الرابع: استحالة حوادث لا أول لها؛

الثالث: يتفرع إلى أربعة:

- أولها: إبطال كمون الأعراض وظهورها؛
- الثاني: إبطال انتقالها؛
- الثالث: إبطال قيامها بنفسها؛
- الرابع: إبطال التغير على القديم.

فصارت سبعة:

- الأول: إثبات الأعراض؛
- الثاني: إثبات لزومها للأجرام؛
- الثالث: إبطال كمونها وظهورها؛
- الرابع: إبطال انتقالها؛
- الخامس: إبطال قيامها بنفسها؛
- السادس: استحالة التغير على القديم؛
- السابع: إبطال حوادث لا أول لها.

فوجه توقف حدوث الجواهر على هذه المطالب السبعة؛ لأن هذا استدلال بأحد المتلازمين على الآخر، فاحتيج إلى إثبات زائد على الأجرام وهو العرَض ليحكم عليه باللزوم؛ إذ الشيء لا يلازم نفسه ثم تثبت أن ذلك الزائد لا تنفك عنه الأجرام ليلزم من حدوثه حدوث الأجرام وأنه حادث لأنه الدليل وحدوثه على وجهين:

- حدوث أفرادها لا جملتها، وهو المراد بحوادث لا أول لها؛ فلذلك احتيج إلى استحالة هذا الوجه؛
- وحدوث أفرادها وجملتها وهو المطلوب؛ فيلزم منه حدوث الجواهر.

أما الأول وهو إثبات العرض فضروري؛ إذ لا يشك عاقل أنه يحس من نفسه معاني زائدة على جِرمه من نطقه وحركاته وسكاناته وألوانه واعتقاداته وإرادته وغير ذلك، وهي التي تعنى بالعرَض، فمنكر هذا منكر للضروريات خارج عن العقلاء، وسقطت مكالمته؛ لكونه سوفسطائيا لا تمكن مناظرته؛ لأنه لا يسلم شيئا من

المعلومات لأنها: إما ضرورية؛ أو نظرية.

فالضرورية مسلمة عند جميع العقلاء، والنظرية كذلك إذا انتهت إلى الضرورية، ومنكر الضرورية كيف يسلم النظرية.

ولذلك قال بعض أذكياء المتأخرين في جواب من منع وجود الأعراض: نزاعكم لنا لايخلو: إما أن تقولوا: إنه موجود ولا شك أنه زائد على الجوهر وهو الذي نعني بالعرض، فقد سلمتم وجوده،

أو أنه معدوم، فيسقط جوابكم لوجهين: أحدهما خروجكم عن العقلاء، والثاني إقراركم أنه لم يحصل منكم نزاع. انتهى

وكذلك الثاني ضروري أيضا إذ لا يعقل جِرْم غير متصف بالأعراض من حركة أو سكون أو غيرهما.

والثالث وهو حدوث الأعراض: فوجه توقفه على الأربعة أن الجرم مثلا إذا طرأ عليه الحركة لا يخلو: إما أن تكون معدومة قبل مشاهدتها؛ أو موجودة.

فإن كان الأول فهو عين الحدوث وحصل المطلوب، وإن كان الثاني: فإما أن تقوم بمحل؛ أولا. الثاني: قيامه بنفسه، والأول: إما أن يكون في هذا المحل المشاهد فيه؛ أو غيره.

فإن كان في هذا المحل فقد كان كامنا فيه، وإن كان غيره فلا يصل إلا بانتقال؛ فاحتيج إلى إبطال هذه الثلاثة ليتحقق عدمه قبل هذه المشاهدة.

أما إبطال كمونه في المحل عند ظهور ضده فمحال على الضرورة؛ فلأنه جمع بين المتنافيين وهو الحركة والسكون، وفيه أيضا إبطال الحقائق وهو محال، فتبين أن كمونها وظهورها محال.

وأما إبطال انتقالها فهو محال على الضرورة؛ لأن الانتقال من صفات الأجرام لا من صفات الأعراض؛ ولأن فيه قيام العرض بنفسه وهو محال؛ ولأن فيه قيام المعنى بالمعنى وهو محال.

وأما قيامها بنفسها فمحال أيضا؛ لأن فيه قلب الحقائق.

وعند انتفاء هذه الثلاثة تحقق عدمه وتعين حدوثه وهو المطلوب.

وبمثل هذه الثلاثة يستدل أيضا عند طرو العدم، وبيانه أن تقول عند السكون: لو لم تعدم الحركة لم يخل: إما أن تكون موجودة في محل؛ أو لا،

الثاني قيامها بنفسها، والأول إما: أن يكون في هذا المحل فيكون كامنا؛ أو غيره فلا يصل إليه إلا بالانتقال.

والأقوال الثلاثة باطلة؛ فتعين عدمها.

ولكن بقي هنا أنه لا يلزم من طروٍّ عدمه الحدوث الذي هو العدم قبل الوجود، ولم لا يجوز أن يكون قديما ولكن طرأ عليه العدم؛ إذ العدم المنافي للقدم هو السابق لا اللاحق. فلهذا احتجنا إلى استحالة التغير على القديم وهو المطلب السابع. وقد تقدم بسطه وسنعيده هنا إن شاء الله فنقول: لو جاز عدم القديم لاستحال قدمه؛ لأن طروَّ العدم دليل على الجواز، والجائز يستوي في حقه الوجود والعدم، فيفتقر في ترجيح أحدهما إلى محدِث فيكون حادثا، وقد تقرر قدمه: هذا تناقض.

قوله: فالأربع اردد، يعني أن الكمون والظهور وقيامها بنفسها وانتقالها وحوادث لا أول لها: هذه الأربعة إذا بطلت تعين حدوث العرض.

أما إبطال حوادث لا أول لها(1)، وهي التي يعبر عنها بالتسلسل، فقد أكثر الأئمة الأدلة في إبطالها ولا سيما الشيخ في الكبرى، وأشهرها أنه يلزم في إثباتها الجمع بين الضدين وهما الفراغ وعدم النهاية، وذلك لا يعقل؛ إذ الفراغ يدل على التناهي، وعدم النهاية على ضده؛ وذلك جمع بين الضدين.

قوله: وانف التغير عن القديم... إلخ، أي التغير في حق كل من ثبت قِدمه،

---

(1) قال الشريف زكريا، ولنا في إبطال حوادث لا أول لها طرق يكثر إيرادها ذكرناها في شرح الإرشاد وفي شرح الأربعين، أنظر أبكار الأفكار للشريف زكريا، ص: 104 مصدر سابق

تسلك طريقا قويما أي معتدلة لأهل السنة لا إفراط فيها ولا تفريط.

ص:

واحذر هنا أقوال أهل الفلسفه فإنها محض الضلال والسفه

جروا بها من غيهم ذيولا في قدم النفس أو الهيولا

وغيرها من الأقاويل التي أقدام من فيها تلاهم زلت

فلا قديم غير ذي الجلال نسأله الأمن من الضلال

ش: يعني أنه يجب عليك أن تحترز عن اعتقاد الفلاسفة[1] في إثباتهم القدماء، فإن ذلك محض الكفر وخفة عقل، وهو معنى السفه، وجرّوا بتلك الأقوال في كفرهم وضلالهم ذيولا طويلة في قولهم بقِدم العقول والنفس والهيولا[2].

والمراد بالعقول عندهم في نفس الأفلاك أو ملائكته، وبالنفوس نفوس الملائكة والأرواح البشرية، وبالهيولا- والله أعلم- مواد الأشياء وأصولها.

وانظر الملل والنحل فإنه أطال الكلام في ترهاتهم.

وحاصل مذهبهم أنهم قالوا: كان عن واجب الوجود العقل الأول. قال المنجور رحمه الله: يعنون به فلك العرش ونفسه ومادته وصورته. وكان عن عقل الفلك الأول عقل الفلك الثاني: ويعنون به فلك الكرسي ونفسه ومادته وصورته. وهذا إلى

(1) الفلسفة أصلها من فيلاسوف ومعناه في اللغة اليونانية محب الحكمة "سوف" هي الحكمة و"فيلا" محب والفلاسفة كفروا بمسائل منها:

- قولهم بقدم العالم.
- إنكارهم لحشر الأجساد.
- قولهم إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وهذه المسائل من أشنع ما نسب للفلاسفة وقد كفروا بهذه المسائل. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) أصلها: القطن المعروف ويطلقونها من ضلالهم على طينة العالم. من درس شيخنا حفظه الله.

أن وصلوا إلى عقل فلك السماء الدنيا وهو فلك القمر، فأثبتوا عشرة عقول وتسع نفوس كلها قديمة، وسموا عقل فلك السماء الدنيا بالفياض وهو الذي يؤثر في هذا العالم السفلي.

قال المنجور: وقد انتصب لرد مذهبهم المقترح في شرح الإرشاد بكلام محقق منور. انتهى قوله: وغيرها من الأقاويل... إلخ، وغير ذلك من أقاويلهم الباطلة التي زلت بها أقدام من تبعهم في ذلك ممن ينتمي إلى الإسلام وليس له فيه نصيب.

قال المنجور في حاشيته: كالفارابي وابن سينا ونحوهما ممن كان يقول بنفي الاختيار وقدم العالم ونفي المعاد البدني وغير ذلك من آراء الفلاسفة، ويُظهر الإسلام تسترا به وعصمة لماله ودمه لا غير. وفي معني هؤلاء الحفيد ابن رشد. ولهذا اتفق أهل الأندلس على تركه. انتهى[1].

قال الشيخ في شرح الكبرى: اعلم أن الملل كلها اجتمعت على حدوث ما سوى الله تعالى: اليهود والنصارى وحتى المجوس، ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة من الفلاسفة، وتبعهم على ذلك بعض من ينسب نفسه إلى الإسلام وليس له فيه نصيب. والاشتغال بتفصيل مذهبهم في ذلك يطول. والحاصل منه أن قدماءهم أثبتوا قدماء خمسة: واجب الوجود: وسموه عقلا ثم نفسا[2] وهيولا ودهرا وخلاء. وصار جماعة من متأخريهم إلى أن العالم العلوي قديم بذاته وصفاته إلا الحركات فإنها حادثة بأشخاصها قديمة بأنواعها، فلا حركة إلا وقبلها حركة لا إلى أول، وأما العالم السفلي وهو عالم الكون والفساد وهو ما تحت مغفر فلك القمر فقالوا: إن هيولاه قديمة، وكل ما فيه من الصور والأعراض حادثة بأشخاصها قديمة بأنواعها،

---

(1) انظر حاشية المنجور على كبرى السنوسي، ص: 32، مخطوطة بحوزتنا نسخة منها مكتوب على ظهرها أنها ملك للعلامة سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي تلميذ الشارح.

(2) والمراد بالنفس هنا الذات سواء كانت النفس نباتية أو نائية أو حيوانية أو فلكية. يقولون إنها قديمة بالأنواع حادثة بالأفراد وهذا لا يستقيم عقلا لأن النوع لا وجود له إلا في أفراده فإذا فقد أفراده لا يبقى منه شيء. من درس شيخنا حفظه الله

فلا ولد إلا وفيه والد ولا بيضة إلا من دجاجة ولا دجاجة إلا من بيضة ولا زرع إلا من بذر. وتوقف جالينوس في قدم ما ادّعوا قِدمه. ومذاهبهم ركيكة جدا لا يرضى بمقالتها مؤمن بل ولا مطلق عاقل إلا من سلب عقله وإيمانه فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى

وإلى هذه الترهات والأباطيل أشار الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: واحذر إلى قوله: فلا قديم غير ذي الجلال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، نسأله سبحانه العافية في الدين والدنيا والآخرة والسلامة من جميع الضلالات بمنه وكرمه آمين.

***

فصل في الجائز

ص:

وجـــائز في حقـــه تعـــالى أن يخلـــق الأنـــام والأفعـــالا

كـــذلك التكليـــف للعبـــاد وهـــديهم لـــنهج رشـــد بـــاد

ش: لما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الواجبات في حقه تعالى والمستحيلات، شرع في القسم الثالث في حقه وهو: ما ليس بواجب في حقه تعالى ولا بمستحيل، من ذلك: خلق الأنام وهو الخلق، وخلق أفعالهم، وتكليفه للعباد بالأوامر والنواهي، وهدايتهم لطرق الصواب[1]، وإضلالهم عنها، وغير ذلك

ص:

فلـــيس أمـــر واجبـــا عليـــه منهـــا بـــل اختيـــاره إليـــه

ولا صـــلاح واجـــب أو أصـــلحا هـــذا الـــذي دان بـــه مـــن أفلحـــا

فكـــل مـــا أراده الـــصواب ســـواء العقـــاب والثـــواب

فـــذاك بالعـــدل وذا بالفـــضل مـــن فاعـــل مـــا شـــاء دون عـــضل

ش: يعني أنه ليس شيء واجبا عليه من هذه الجائزات كلها، بل اختيار وقوعها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير وجوب ولا امتناع، بل إن شاء فعل على وفق اختياره وإن شاء ترك، سواء كان صلاحا، أو فسادا، متساويين في الصلاح، أو أحدهما أصلح من الآخر، فلا يجب عليه شيء من ذلك، خلافا للمعتزلة، بل كل ما أراده هو الصواب والأحسن في حقه تعالى؛ لأنه كذلك في سابق علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالأفعال كلها صواب وحسن بالنسبة إليه تعالى: لا يتجدد له كمال بها، ولا يعتريه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نقص منها، بل كلها بالنسبة إليه تعالى سواء: الإيمان والكفر والطاعة والعصيان والثواب والعقاب.

---

(1) مع أنه يجوز عقلا أن يكلفهم بالمحال خلافا للمعتزلة

واختصاص كل فعل بما اختص به واقع منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمحض اختياره. ولو عكس سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لكان ذلك حسنا في حقه تعالى.

ولذلك كان الثواب والإنعام منه جل وعز بمحض الفضل والكرم لا علة له بالفعل عقلا، وكل عقاب منه عدل لا علة للفعل فيه عقلا. وكل ذلك واقع منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمحض مشيئته واختياره.

وهو معنى قول الناظم: من فاعل ما شاء دون عضل أي ما أراده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقع دون منع مانع. والعضل في اللغة المنع

ص:

ومـــا لعقـــل وحـــده توصـــل إلى قبـــيح أو إلى مـــا يجمـــل

بـــل مـــا بفعلـــه أمرنـــا فالحـــسن وضـــده انقـــاد لقـــبح بالرســـن

ش: يعني أن العقل لا يدرك معنى القبيح والحسن الشرعيين، ولا يتوصل إلى ذلك بالعقل دون الشرع، خلافا للمعتزلة. وذلك أن الحسن والقبيح كل واحد منهما يطلق على ثلاث معان:

- أحدها: الحسن بمعنى الكمال، والقبيح بمعنى النقص، فهذان عقليان باتفاق بمعنى أن العقل يستقل بمعرفة ذلك دون الشرع كحسن العلم مثلا وقبح الجهل؛

- الثاني: الحسن بمعنى ملاءمة الطبع، والقبح بمعنى منافرته، فهما عاديان يختلفان باختلاف العوائد والطبائع؛

- الثالث: الحسن بمعنى المأمور به وفاعله يثاب عليه، والقبيح بمعنى المنهي عنه وأن فاعله يستحق العقاب، فهذا شرعي عند أهل السنة؛ لأن الأفعال كلها [مستوية في ذاتها فتخصيص بعضها بإيمان وأمر وثواب وبعضها بكفر ونهي وعقاب كل ذلك](1) بمحض اختياره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا علة للفعل فيه عقلا لا بذاته ولا بما اشتمل عليه ولا بصفة، خلافا للمعتزلة في ذلك.

---

(1) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ج).

بل الحسن الشرعي عند أهل السنة ما أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بفعله يشمل الواجب والمندوب، وضده المنهي عنه هو الذي انقاد بالزمام والرسن للقبح. والرسن ما يجعل في رأس الدابة فتقاد به، يعني أن القبيح هو المنهي عنه فيشمل المحرم والمكروه. وعلى مقتضى قول الناظم فالمباح ليس بحسن ولا قبيح، وهو كذلك. وفيه خلاف.

ص:

ولو عليه وجب الصلاح ... سبحانه عم الورى الفلاح

وكان خلقهم بدار المأوى ... أصلح من تعريضهم للأوى

وللتكاليف بهذي الدار ... وما يقاسون من الأكدار

ش: يعني أن مذهب المعتزلة وجوب مراعاة الصلاح للخلق عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وإذا كان صلاحا وجب عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مراعاة أصلحهما أي أكثرهما صلاحا، فرد عليهم أهل السنة بأنه لو وجب عليه ذلك لعمت النجاة- وهي المراد بالفلاح والفوز- جميع الخلق؛ إذ ذلك صلاح لهم، فيلزم ألا تقع محنة ولا مصيبة دنيوية ولا أخروية، وذلك باطل.

ويلزم على مذهبهم أيضا أنه يجب عليه تعالى أن يخلقهم في الجنة- وهي المراد بدار الماوى؛ إذ ذاك أصلح لهم وأفضل من تعريضهم لشدائد الدنيا ومصائبها- وهي المراد باللأواء. وذلك أصلح لهم، ويلزم أيضا على مذهبهم ألا يكلفهم بالتكاليف الشرعية ومشاقها وما يقاسون أي يكابدون في هذه الدار من الأكدار التي هي التغييرات وانقلاب الأحوال؛ إذ لا مصلحة للخلق في ذلك كله، واللوازم كلها باطلة فالملزومات كذلك، فلا صلاح ولا أصلح واجب عليه تعالى وهو المطلوب.

ص:

إن قيل زادهم بذاك أجرا ... له على قدر العناء أجرى

قلنا الإله قادر أن يوصله ... إليهم دون أمور معضله

وأيضا الذي على الكفر هلك ... تكليفه به إلى ضير سلك

بل خلقه إن عاش خدن البوس   إذ هو في الدارين ذو العبوس

فأين ما من الصلاح يدعى   له وذا أنف اعتزال جدعا

ش: هذا اعتراض من المعتزلة على اللوازم التي أوردها أهل السنة فأجابوا بأن خلقهم في هذه الدار وتعريضهم لشدائدها وتكليفهم فيها بالأوامر والنواهي ومقاساتهم أكدارها ومصائبها تعظم بها أجورهم ودرجاتهم فكان ذلك مصلحة لهم.

فرد عليهم أهل السنة بان لا مصلحة لهم في ذلك، وذلك أن الله سبحانه قادر أن يزيدهم ثوابا ويوصلهم للدرجات دون هذه الأمور الشاقة.

وأيضا تكليف الكافر الذي علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موته على الكفر- والعياذ بالله- لا مصلحة فيه بل زيادة في عذابه؛ لأن تكليفه سلك به إلى زيادة العذاب، وهو المراد بالضير في كلام الناظم.

وأيضا فخلقه الكافر الفقير في الدنيا لا مصلحة في خلقه؛ إذ عرضه بذلك لعذاب الدنيا والآخرة. وقوله: خدن البوس أي خليل الشدة أي ملازمها لأنه في الدارين أي الدنيا والآخرة ذو العبوس أي صاحب المنظر القبيح.

فأين ما تدعيه المعتزلة من الصلاح في هذه الأمور؟

بل هذه اللوازم كلها جدعت أي قطعت أنف الاعتزال، كناية عن رد مذهبهم وإبطاله وتضعيفه كما هو كذلك. ولقد صدق فيهم قوله ﷺ"القدرية خصماء الله تعالى في القدر[1]" ويوضح القصة التي أشار إليها الناظم بقوله:

ص:

وقصة الشيخ مع الجبائي   ترد قول الآفك الأبّاء

ش: يعني أن قصة الشيخ أبي الحسن الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع شيخه أبي علي الجبائي

---

(1) قال ابن بطة حدثنا أبو عبد الله حسين بن محمد بن سعيد الطبقي قال حدثنا عبدا لرحمن بن الحارث جحدر قال حدثنا بقية بن الوليد قال: سمعت الأوزاعي يقول: " القدرية خصماء الله ﷻ في القدر".. الإبانة الكبرى لأبي عبد الله محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة، ت 387هـ، ج4، ص: 255.

كبير المعتزلة تبطل قول الكاذب المتمادي في كذبه. ومعنى الأَبَّاءِ[1] كثير الإباية عن الرجوع.

وذلك فيما ذكر غير واحد أن الشيخ أبا الحسن كان أولا على مذهب الاعتزال حتى جرت القصة بينه وبين شيخه؛ فعرف حينئذ أن مذهبهم باطل ورجع عنه إلى مذهب أهل السنة، وتلك القصة المشار إليها أنه سأل الجبائي فقال: ما تقول في ثلاثة أشخاص مات أحدهم قبل البلوغ، والآخر مات بعد البلوغ كافرا، والآخر مات بعده مؤمنا؟ فقال الجبائي: أما الصغير ففي الجنة، وأما الكافر الكبير ففي النار، والكبير المؤمن ففي الدرجات العلى. فقال الشيخ: ما بال الصغير قصر به عن درجة الكبير المؤمن؟ فقال الجبائي: لأنه لم يعمل قدر عمله. فقال الشيخ: من حجته على مذهبكم أن يقول: يا رب كان الأصلح في حقي أن تكون أبقيتني حيا حتى أصل بعملي الدرجة العليا. فقال الجبائي: جوابه أن يقول الله تعالى له: علمت أنك لو بقيت إلى سن التكليف لكفرت فتخلد في النار؛ فالأصلح في حقك موتك صغيرا كما فعلت بك لسلامتك به من الخلود في النار التي هي أعظم غنيمة فكيف وقد زدتك على ذلك ما لا يكيف من نعيم الجنة؟! فقال له الشيخ: فإذاً يقوم الثالث الذي مات كبيرا كافرا بل وكل كافر من دركات لظى فيقول: يا رب كنا نرضى منك بأدنى مرتبة هذا الصبي فما لنا لم تمتنا صغارا قبل التكليف وقد علمت منا الكفر بعده كما فعلت بهذا الصبي.

فبهت الجبائي فلم يقدر أن يجيب بكلمة. فقال: أبك جنون؟ فقال له الشيخ رضي الله عنه: بل وقف حمار الشيخ في العقبة! ثم قال: تعالى أن توزن أحكام ذي الجلال بميزان الاعتزال. فترك مذهبه وقصد مذهب أهل السنة حتى صار شيخها وإمامها رضي الله عنه.

---

(1) ويضبط الأباء بضم الهمزة وتشديد الباء على أنه جمع آب قال في القاموس بعد ذكر معنى أبى ومصادره: ورجل آب من آبين و أباة وأبى وأباء وهو مضبوط بضم الهمزة وتشديد الباء في نسخة مصححة غاية الصحة مكتوب في آخرها أنها مكتوبة على نسختين جليلتين إحداهما: مصرية مقروء غالبها على المصنف والثانية: يمنية بخط المؤلف من أولها إلى آخرها مقروءة عليه كلها. من شرح سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم على الإضاءة. مخطوط مصدر سابق.

ص:

وما اعترى الأطفال من آلام   يقضي لأهل السنة الأعلام

والحق لا يخفى على ذي عين   والله نرجو عصمة من مين

ش: يعني أن مما يبطل به مذهب المعتزلة في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح ما يصيب الأطفال الصغار من أنواع الآلام والمؤذيات، وكذلك ما شابههم من الدواب التي لا تكليف عليها ولا ثواب ولا عقاب، من أنواع الآلام والأمراض وجميع المشاق التي لا صلاح لها من ذلك، فيلزم على مذهبهم أن يكون هذا ظلما في حقه تعالى، وأن يكون لهم حجة في ذلك على الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، بل كل ذلك واقع بمحض اختياره على وفق حكمته وقدره الذي وقفت العقول عن إدراك سره ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾.

والحق بعد هذا كله لا يخفى على ذي بصيرة، كما قال الناظم، والله يعصمنا من الكذب في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: عصمة يحتمل اسما مفردا مؤنثا بها ويحتمل مصدرا مضافا إلى الضمير، وهو الأوجه عندي. والعصمة الحفظ، والمين الكذب.

***

فصل في الرؤية[1]

ورؤيـــــــة الإلـــــــه بالأبـــــــصار تجـــوز عنـــد أهـــل الاستبـــصار
دون تقابـــــــل أو اتـــــــصال بـــل بالـــذي يليـــق بـــالجلال

ش: يعني أن رؤية الله تعالى بالأبصار تجوز عند أهل السنة المستبصرين[2] بالشرع والعقل[3]، ورؤيته تعالى بالأبصار من غير مقابلة ولا اتصال الشعاع به ولا تكييف ولا تشبيه، بل يرونه كما يليق به من الجلال والعظمة والتنزه عن المقابلة والاتصال والتكييف والتشبيه، كما يتعلق به علمنا كذلك، فكذلك الرؤية.

لأن معنى الرؤية: إدراك يخلقه الله تعالى، فإن خلقه في البصر سمي رؤية، وفي القلب سمي علما، وفي جرم اللسان سمي ذوقا، وفي الأنف سمي شما، وفي سائر الجسد سمي لمسا.

وأما إدراك علمنا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو حاصل قطعا، وأما إدراك البصر له تعالى

---

(1) مسألة الرؤية والكلام والكسب من غوامض مسائل علم الكلام التي اشتد فيها الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة، من درس شيخنا حفظه الله.

(2) رؤية الله تعالى بالبصر جائزة عقلا عند أهل البصائر لكن لا تقاس رؤية الله على رؤية الاجسام، إذ لا يشترط فيها التقابل ولا اتصال الرائي بالمراي بل هي رؤية تليق بجلاله تعالى وعظمته لا تقاس على رؤية المخلوقات لأنه قياس فاسد لعدم الجامع بين الرؤيتين لأن الاشتراك بين الرؤيتين لفظي. من درس شيخنا حفظه الله

(3) وأما دليل جواز رؤيته بالعقل فهو أن الرؤية تعلقت في الشاهد بالأجرام والأعراض فمتعلق الرؤية منهما إما أن يكون الوجود أو غيره كالإمكان مثلا أو الحدوث وباطل أن يكون المرئي منهما غير الوجود كالإمكان و الحدوث لما يلزم عليه أن يكون الإمكان والحدوث محسوسين لا يفتقران إلى نظر عقلي وذلك باطل ضرورة، وأيضا لو كان متعلق الرؤية منهما ما ليس بموجود لزم صحة رؤية كل معدوم وهو باطل وإذا ثبت بالسبر أن متعلق رؤيتنا الوجود لا الإمكان ولا الحدوث لزم صحة رؤيتنا لكل موجود واجبا كان أو ممكنا قديما كان أو حادثا ومولانا جل وعز لا إشكال أنه موجود فصح أن تتعلق به رؤيتنا على ما يليق بتنزيهه وجلاله، شرح السنوسي على واسطة السلوك للحوض، مصدر سابق، ص: 131

فهو يجوز عند أهل السنة، وواقعة في الآخرة قطعا، واختلفوا في وقوعها في الدنيا.

وأما بقية الإدراكات لنا، فاختلف فيها: هل يجوز تعلقها به كالبصر على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أم لا؟.

ص:

وأهل الاعتزال والضلال ... قضوا بأنها من المحال

إذ فسروا الرؤية بالشعاع ... وذاك في ذا الباب ذو امتناع

وإنما الرؤية معنى خلقا ... في الشيء بالمرئي قد تعلقا

ش: يعني أن مذهب أهل الاعتزال والضلال عن الحق استحالة رؤيته تعالى، فلا تتعلق به قدرته؛ لأنها تستلزم الجهة والاتصال عندهم؛ لأن ذلك من اللوازم العقلية عندهم.

وفسروا الرؤية بأنها انبعاث أشعة أي أجزاء مضيئة تخرج من عين الرائي فتتصل بالمرئي، وهذا ممتنع في حقه تعالى؛ فتستحيل رؤيته على زعمهم[1].

فرد عليهم أهل السنة ﷺ بأن هذه اللوازم للرؤية من غير جهة ولا اتصال عادية لا عقلية؛ فيجوز عقلا أن تقع الرؤية من غير جهة ولا اتصال، كما وقع لعلمنا؛ إذ كل ذلك إدراك.

وأما تفسيرهم الرؤية بانبعاث الشعاع فباطل أيضا. وليس ذلك تفسيرها عند أهل السنة، بل هي معنى يخلقه الله تعالى[2] في المحل يتعلق بالمرئي.

---

(1) ونفى المعتزلة رؤية الله تعالى وقالوا إنها لا تجوز عقلا لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنها تلزم منها لوازم مستحيلة على الله تعالى، وفسروا الرؤية بأنها: انفصال شعاع العين من العين إلى المرئي فيحصل منه معنى يسمى رؤية" أو الرؤية عندهم: أن شعاع العين ينطبع في المرئي وتنعكس صورته وعلى هذا تكون العين ترى صور الأشياء لا حقائقها وهذا من لوازم الأجسام والله تعلى جل أن يكون كشيء من مخلوقاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) فالرؤية عند أهل السنة معنى يخلقه الله تعالى نسبة بين الرائي والمرئي وأما اشتراط كونه =

وأما ما زعموا من اتصال الشعاع[1] فباطل في نفسه؛ إذ ليس هو معنى الرؤية في الشاهد.

وقد نص الإمام أبو العباس بن زكري، في شرحه على عقيدة ابن الحاجب، أن الشيخ أبا الحسن الأشعري كان على مذهب الاعتزال في الرؤية أولا، إلى أن رأى النبي ﷺ في النوم في العشر الأول من رمضان فقال له: يا أبا الحسن أما قرأت الحديث؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: ألم تقرأ فيه أني قلت: سترون ربكم؟ قال: بلى، يا رسول الله قال: فلم لم تقل به؟ قال: لأن الأدلة العقلية قامت على استحالة رؤيته تعالى، فأولت الخبر. فقال: أما إنك ستجد الأمر على خلاف ذلك، فقل بالرؤية! فانتبه مرعوبا، وتحير، ولم يدر ما يفعل، وجعل يقول: يا ويلتي، إن قلت على الله ما لا علم لي به، ويا ويلتي إن خالفت أمر رسوله ﷺ. فجعل يتحير، ويبكي، حتى عزم على ترك علم الكلام واشتغل بالقرآن والحديث. فلما كان العشر الأوسط، رآه ﷺ في النوم فقال: يا أبا الحسن ما عملت فيما قلت لك؟ قلت: يا نبي الله، تركت الكلام وأقبلت على القرآن والحديث. فغضب ﷺ فقال: آمرك بالشيء وتتركه! فانتبه الشيخ مرعوبا حزينا باكيا فجعل يقول: ماذا أقول للناس في مذهب نصرته أربعين سنة وأرجع عنه بمجرد النوم، فيقول الناس: هو رجل مجنون موسوس. فلم يزل في تحيره إلى ليلة سبع وعشرين، فلما كانت تلك الليلة خرج من بيته إلى الجامع الأعظم قاصدا إحياءها، فلما أتى الجامع ألقي عليه الكسل حتى صارت أعضاؤه كالجبال، وألقي عليه من النوم ما لم يعهده قبل ذلك، فرجع إلى بيته حزينا لما فاته من قيام الليل، فلما نام رآه ﷺ فقال: يا أبا الحسن ما عملت فيما قلت لك؟ فقال: يا رسول الله ماذا أقول للناس في مذهب نصرته أربعين سنة، أتركه لمجرد النوم، =

يتصل الشعاع بالمرئي أو ينفصل عنه أو تنطبع صورة المرئي في العين فهذه شروط عادية يصح تخلفها وإذا أراد الله أن يخلق الرؤية خلقها بدون هذه الشروط العادية. من درس شيخنا حفظه الله

(1) ومن الأدلة على كون الاتصال ليس شرطا كون الإنسان يرى النار من بعيد في الليلة الظلماء ولا يرى ما دون النار فلو كان الاتصال شرطا في الرؤية لرأى ما دون النار، هذا من باب العوائد وإلا هذا كله لا يحتاج إليه لأنه لا تقاس رؤية الله برؤية خلقه. من درس شيخنا حفظه الله.

فيقول الناس إنه مجنون؟ فقال ﷺ كذلك كان الناس يقولون فيّ، وما صدّني ذلك عن الحق، قم وأثبت مسألة الرؤية، والله يلهمك الحجة! فانتبهت، وقد ألهمني الله تعالى الحجة، فأثبتتها بأدلتها العقلية والنقلية. انتهى

وقد تقدمت هذه القصة منقولة عن القاضي عياض في المدارك في شرح واضع هذا العلم، ولعل الإمام ابن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عنه نقلها.

ص:

وكـــون مـــوسى ســـأل الجلـــيلا في أمرهـــا غـــدا لنـــا دلـــيلا

إذ مثلـــه لا يجهـــل المحـــالا في حـــق مـــن كلمـــه تعـــالى

ش: يعني أن سؤال موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرؤية صار دليلا لأهل السنة على جوازها؛ إذ مثله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في اصطفائه بالرسالة والكلام لا يجهل المحال في حقه تعالى؛ إذ لو كان كذلك لكان جاهلا بما علمته حثالة المعتزلة، وهذا محال في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكيف بأفضلهم . ما عدا نبينا وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم وعلى جميعهم.

ص:

وقـــد رأى خـــير الـــورى الـــديانا ليلـــة الاسراء بـــه عيانـــا

في المـــذهب المـــصحح المـــشهور وهـــو الـــذي يـــنمى إلى الجمهـــور

ش: يعني أنه رأى خير الخلق، وهو نبينا ﷺ، مولاه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الديان، وهو من أسمائه تعالى ومعناه المجازي لعباده أو المحاسب لهم، ليلة الإسراء.

قوله: عيانا أي معاينة، يعني رآه في المذهب الصحيح المشهور.

قال الناظم: وهو الذي ينسب إلى الجمهور أي معظم العلماء. ولعله أشار إلى ما قال النووي: الراجح عند أكثر العلماء أنه رآه بعيني رأسه[1]. انتهى. وهو قول ابن

(1) أصح الأقوال أن النبي ﷺ رأى الله ليلة الإسراء و أنكرت عائشة ذلك واستدلت بقوله تعالى﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، قالوا لها: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ قالت: =

عباس وأنس وغيرهما وهو قول أبي الحسن الأشعري وغيره من العلماء. وإن كان القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ توقف عن القطع بذلك في الشفاء.

ص:

والمؤمنـــون خـــصهم في الآخـــرة بهـــا منـــيلهم مزايـــا فـــاخره

كمـــا أتى عـــن صـــاحب الـــسيادة فالجنـــة الحـــسنى وذي الزيـــاده

ش: يعـني أن رؤيتـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خاصـة بـالمؤمنين في الآخـرة خـصهم بهـا وأكرمهم بها معطيهم المراتب الفاخرة، وهي المراد بمزايا- جمع مزية وهي المرتبة والفضيلة- كما أتى ذلك عن النبي ﷺ، وهو المراد بصاحب السيادة، لأنه ﷺ فيما رواه مسلم عن صهيب قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله تعالى.

وذي في قـول النـاظم إشـارة إلى الرؤيـة، يعـني أن الزيـادة المـذكورة في الآيـة هي رؤية الله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه.

ص:

وكـــم أحاديـــث بهـــا صريحـــه مرويـــة مـــن طـــرق صـــحيحه

كقولـــه كمـــا تـــرون القمـــرا وقبـــل هـــذا ســـترون الخـــبرا

ووجـــه ذا التـــشبيه دون مريـــه نـــفي تـــزاحم بحـــال الرؤيـــه

لا أنـــه مـــن كـــل وجـــه أشـــبهه جـــل الإلـــه أن يكـــون في جهـــه

ش: يعني أنه ورد في أحاديث كثيرة إثبات رؤية المؤمنين للمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مروية من طرق صحيحه، عن النبي ﷺ، وكم للتكثير.

=

إنما رأى جبريل وكنت أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية لكن غيرها من الصحابة كابن عباس وأنس وجماعة أثبتوا الرؤية وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ إن كون الآية غير واردة في رؤية النبي ﷺ لله تعالى لا ينافي كونه رآه بدليل آخر وهذا هو المشهور. ورؤية الله تعالى في الدنيا من خصائص النبي ﷺ. من درس شيخنا حفظه الله.

كقوله ﷺ "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون أو لا تضارون في رؤيته"[1] وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان، فكان حديثا مستفيضا تلقته الأمة بالقبول[2] مع قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ ومع مفهوم قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ مع إجماع الصحابة والتابعين قبل ظهور البدع على ذلك من غير خلاف.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن هذه الأدلة محمولة على ظاهرها من غير تأويل.

قوله: ووجه ذا التشبيه.. إلخ، يعني أن التشبيه في الحديث إنما هو في نفي تزاحمهم وتضررهم في رؤيته تعالى، كما هو منفي عنهم في رؤية القمر ليلة البدر؛ فالتشبيه إذا راجع إلى الرؤية لا إلى المرئي، كما قال الناظم رحمه الله: لا أنه من كل وجه أشبهه، بمعنى أنه ليس يشابه المرئي من كل وجه في الشاهد من الجهة والجسمية والمقدار، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ لأنه سبحانه وتعالى جل، أي تعاظم وتنزه، أن يكون في جهة، وقد تقدم استحالة ذلك عليه ولوازمه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

***

(1) صحيح البخاري 7436

(2) وبالجملة فالمقصود تشبيه الرؤية بالرؤية فيما ذكر لا تشبيه المرئي بالمرئي، لا يعارض هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لأن الإدراك يشعر بالإحاطة فهو أخص من الرؤية فالمعنى أنه لا يراه أحد رؤية إحاطة كما لا يعلمه علم إحاطة ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، من شرح السنوسي على واسطة السلوك، مصدر سابق، ص: 129

فصل في أحكام الرسالة والنبوة

ص:

وبعثــــه الرســـل إلينـــا جـــائزه فـــي حقـــه وكـــل خيـــر حـــائزه
كي يبلغونـــــا أمـــــره ونهيـــــه فمـــن أجـــابهم غـــدا ذا نُهيـــة
ومـــن أبى فـــساقط فـــي هـــوه ومـــا بكـــسب تـــدرك الـــنبوه
ولا بحيلـــــــة أو ارتيـــــــاض لكـــن بفـــضل ذي النـــدى الفيـــاض
يخـــص مـــن أراد بالعنايـــــة وبالرســـــالة أو الولايـــــة

ش: ولما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الجزء الأول من التوحيد وهو الإلهيات، شرع في الجزء الثاني الذي هو النبوات وأحكامها. والفرق بين النبوة والرسالة كالفرق بين النبي والرسول، وسيتعرض له الناظم في آخر الفصل.

وبدأ بحكمها فقال: وبعثة الرسل إلينا جائزة، وأخبر أن إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام جائز في حقه تعالى لا واجب عليه، كما تقول المعتزلة وغيرهم ممن أوجبوا مراعاة الصلاح على الله تعالى، ولا مستحيل عليه كما تزعمه البراهمة[1] ومن في معناهم.

قوله: وكل خير حائزه، يعني أن إرسال الرسل حائز جميع خير الدنيا والآخرة تفضلا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتكرما لا واجبا عليه؛ ولذلك قال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

ثم بين الناظم فائدة البعثة فقال: كي يبلغونا أمره... إلخ، يعني أنه يجوز في حقه تعالى بعث الرسل الكرام إلى الأنام ليبلغوهم أمر الله تعالى ونهيه وغير ذلك من أمور

(1) البراهمة: نسبة لبرهام كبيرهم، وهم قوم كفار، أما المعتزلة فهم مسلمون على المعتمد، من حاشية الدسوقي على أم البراهين للسنوسي، مصدر سابق، ص: 231

الشريعة وأخبار الآخرة التي فيها ثوابهم وعقابهم إذ لا مجال للعقل وحده في هذه الأشياء لولا الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قوله: فمن أجابهم... إلخ، أي ومن أطاع الرسل عليهم الصلاة والسلام وأجابهم فيما يدعون إليه وآمن بهم صار ذا عقل كامل ورشد راجح؛ لأن العاقل في الحقيقة من عقل عن الله تعالى وسعى في خلاص مهجته وإنقاذها من موارد الهلاك. جعلنا الله تعالى منهم.

قوله: ومن أبى فساقط في هوه، يعني أن من أبى عن الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام وتصديقهم فيما جاؤوا به و عصى أمر هم فهو ساقط في هوة، أي حفرة من حفر الهلاك، وخسر نفسه وعقله، فصار بمنزلة البهيمة التي لا تعرف مصالحها ومراشدها، كما أخبر الله تعالى عن أهل النار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

قوله: وما بكسب تدرك النبوة يعني أن النبوة فضل من الله تعالى على من يشاء بسماع وحي من الله تعالى بواسطة ملك أو دونه لا تدرك بحيلة ولا تمويه، كما هو شأن الكاذبين، ولا بكسب ولا ارتياض، كما قال الناظم.

والرياضة عبارة عن التخلي عن الأخلاق المذمومة والتحلي بالأخلاق الكريمة إلى أن يصير إلى حالة يتمكن منها من سياسة نفسه وغيرها، كما زعمه الفلاسفة، وأنها تكتسب بالرياضة وهي التخلية، وهو معنى قول الناظم: لكن بفضل ذي الندى الفياض، يعني أن النبوة إنما تكون بفضل الكريم الجواد باختصاص بعض عباده بالرسالة والنبوة، فهذا المعنى تنكره الفلاسفة، وما يسمونه نبوة وهو: صفاء القلب بالرياضة والمجاهدة، لا يسمونه الإسلاميون نبوة.

وإلى ما ذهب إليه الإسلاميون أشار الناظم رحمه الله في معنى النبوة بقوله: يخص من أراد بالعناية.. إلخ، يعني سبحانه وتعالى يخص من أراد نبوته بمزيد الاعتناء وبالرسالة لا كما تقول الفلاسفة إنها تدرك بالرياضة والمجاهدة.

وظاهر قول الناظم أن الولاية لا تنال بكسب ولا شك أنها إنما تكون باختصاص الله تعالى، ولكنها مكتسبة إن كانت بمعنى الولاية الشرعية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ وإن كانت بمعنى الولاية الخاصة فمحل نظر(1). ويمكن أن يتخرج على الخلاف في جواز ادعائها. وقد ذكر القشيري قولين في ذلك، وصحح المقترح جواز ادعائها، والله أعلم.

ص:

وهو أي الرسول إنسان ذكر أوحى له من لم تكيفه الفكر
وقال: بلغ من بعثت فيهمُ حكما دعوا إليه يقتفيهم
وإن يك الوحي بحكم قصرا عليه فالنبي فيما شهرا

ش: يعني أن الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول هو الإنسان الذكر أوحى له من لم تكيفه الأفكار ولا تدركه العقول وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأمره بتبليغ أحكامه إلى الخلق.

وقوله: يقتفيهم أي يتبعهم ويستقصيهم بالتبليغ حتى لا يبقى شك ولا لبس، ويتضح الحق غاية الوضوح، وتنتفي الشبهات حتى لا يبقى إلا الحق الواضح أو العناد الظاهر ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وأن النبي هو الذي أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ لغيره.

---

(1) النبوءة غير مكتسبة اتفاقا أما الولاية فمختلف فيها هل هي مكتسبة أم لا، قال بعضهم إنها مكتسبة بدليل الحديث القدسي "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" وهذا كسب. وبعض الصوفية فرق فقال: إن الولاية العامة كالامتثال والاجتناب على ما يقتضيه الورع من الوقوف عند الأمر والنهي، هذا مكتسب، أما العلم اللدني فهو غير مكتسب لكن الآخرون قالوا إن الامتثال والاجتناب يتوصل بهما إلى العلم اللدني ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ من درس شيخنا حفظه الله.

وهذا هو الفرق المشهور المنصور، وفي نسخة[1]: فيما نصرا.

وفي ذلك أقوال، ولكن ما اقتصر عليه الناظم هو المشهور. وفي تعريف الناظم إشارة إلى أن النوعين لا يكونان في الجن ولا في النساء، وفي ذلك خلاف.

***

(1) يفهم من هذا أنه وقف على نسخة من الإضاءة غير نسخة صديقه الحاج عبد الله

فصل فيما يجب لهم ويستحيل ويجوز

وصــدق رســل واجــب في كــل مــا ... قــالوا فكــن لــصدقهم مــسلما
والكــذب اعــدده مــن المحــال ... في جانــب الرســل بكــل حــال
لأنــه يفــضي لوصــف البــاري ... ســبحانه بــالخلق في الأخبــار
مــن أجــل تــصديق لهــم بــالمعجزة ... عاضــدة لمــا ادعــوه منجــزه
وهي كقــول الله: هــذا العبــد ... يــصدق في مــا منــه عنــا يبــدو
وكــل مــن صــدق كاذبــا نــمي ... للكــذب الــذي بــه ذاك رمي
وهــو أي الكــذب مــستحيل ... في حــق رب وصــفه جليــل
لأنــه يخــبر وفــق علمــه ... وذاك صــدق ثابــت في حكمــه

ش: ذكر في هذا الفصل ما يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم. فذكر أنه يجب لهم الصدق أي مطابقة أخبارهم للواقع[1] في كل ما قالوه من خبر عن أمر الدين والدنيا والآخرة. فجميع ما قالوا حق لا يقع خلافه، سواء أخبروا في ذلك في حال رضى وغيره، وفي صحة وغيرها، وسواء في ذلك عمدا أو سهوا؛ فالكذب الذي هو الخلف في القول محال عليهم في جميع الأحوال: لا في حال الرضى، ولا في حال الغضب، وحال الصحة والمرض.

ثم برهن على استحالة الكذب عليهم بقوله: لأنه يفضي لوصف الباري... إلخ، يعني أنه لو لم يجب لهم الصدق في أخبارهم للزم اتصافه تعالى بالكذب، وهو محال عليه تعالى؛ لأن الكذب نقص، والنقص عليه تعالى محال ولأنه لو اتصف بالكذب-

(1) يجب للرسل الصدق و يستحيل عليهم الكذب عقلا ولا يجوز في حقهم لا عمدا ولا سهوا، والصدق موافقة الواقع في الأقوال و الاعتقادات وفي المذاهب هذا هو الصدق. وأغلب استعماله في الأقوال لكنه قد يستعمل في العقائد والمذاهب وعلى ذلك الصدق والحق مترادفان كما أن الكذب والباطل مترادفان وقيل متباينان. من درس شيخنا حفظه الله

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- لاستحال اتصافه بالصدق، إذ كل ما يتصف به واجب لا جائز، فلا يكون في خبره صدق أبدا وذلك . والعياذ بالله تعالى- غاية الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ لاستحالة الجمع بين الضدين، ولأنه تعالى لو اتصف بالخلف للزم جهله، وذلك مناف للعلم، وهو محال.

فهذه اللوازم كلها محالات، وكذلك ملزومها وهو عدم وجوب صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأن ما أدى إلى محال فهو محال؛ فوجب صدقهم عليهم الصلاة والسلام في جميع إخبارهم. وهذا معنى كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم بين وجه الملازمة فكأنه قال: ما الدليل على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لو لم يصدقوا للزم اتصاف المولى جل وعلا بالكذب- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؟ فقال: من أجل تصديق لهم بالمعجزة، أي من أجل أن الله تعالى صدقهم بالمعجزة، وهي الخارق الذي أجرى الله وخلقه على أيديهم، مصدقا لدعواهم[1].

وقوله: عاضدة لما ادّعوه منجزة، يعني أن هذه المعجزة لما ادعوه أي مقوية

ومصححة لدعواهم. وقوله: منجزة أي قاطعة بصحة ما ادعوه من الرسالة بحيث لا يبقى فيه شك.

وقوله، وهي كقول الله... إلخ، يعني أن المعجزة تتنزل في الدلالة على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام منزلة تصديقه تعالى لهم بالكلام وتساويه في المعنى، وهي كالإشارة بالرأس أو غيره من الأعضاء على معنى مخصوص، تتنزل منزلة قول المشير: نعم أو لا. وليس المعنى أن المشير قال: نعم أو لا. كيف؟ وهي كذلك! سواء تكلم المشير بذلك أو لم يتكلم. وهذا في غاية الوضوح، وهو الجواب عن الإشكال

(1) المعجزة: أمر خارق للعادة مقارن لدعوى النبوءة على وجه التحدي و التحدي إما بالقول أو الحال وإذا كان أمرا خارقا للعادة غير مقارن لدعوى النبوءة فإذا ظهر على يد عبد صالح تسمى كرامة وهي كرامات الأولياء المعروفة عند أهل السنة، وإذا ظهرت على يد من ليس مشهورا بالفضل ولا بالفسق فهي معونة وإذا ظهرت على يد فاجر فهي استدراج، وإذا ظهرت على غير المراد فهي إهانة وخذلان كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بلغه أن النبي ﷺ رد عين قتادة وأمثاله مسح على عين رجل فعمي، فهذا عكس المراد، والمعجزة التاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية وقيل التاء للمبالغة كعلامة ونحو ذلك، من درس شيخنا حفظه الله.

المقرر في السؤال، وإن كان ذلك الإشكال قد استصعبه إمام الحرمين وهول أمره جدا[1] انظر شرح الحوضية[2].

وبهذا تعرف أن دلالة المعجزة لا تتوقف على سبق المعرفة بالكلام حتى يلزم في إثبات كلامه تعالى بالشرع دور، لأن المعجزة دلالتها على الرسل عليهم الصلاة والسلام بمنزلة تصديقه تعالى لهم بالكلام.

فكأنه قال تعالى: صدق هذا العبد فيما يظهر منه من إخباره عنا فصار هذا الفعل منه تعالى بمنزلة تصديقه بالكلام فلو صدقهم في الكذب لكان كاذبا .تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، إذ تصديق الكاذب كذب، كما قال الناظم، والكذب مستحيل في حقه تعالى؛ لأنه نقيصة وآفة، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن النقائص ويجب له الكمال في ذاته تعالى وجميع صفاته، فيستحيل أن يتصف بصفة نقص.

ثم بين الناظم استلزام الكذب للجهل باستلزام الصدق للعلم بقوله: لأنه... إلخ، يعني أنه تعالى لما كان علمه محيطا بكل شيء على ما هو عليه كان كلامه تابعا لعلمه تعالى إذ العالم بالشيء متكلم به، فيستحيل أن يتكلم بخلاف علمه.

فإن قلت: قد وجدنا العالم منا بالشيء متكلم بخلافه فيعلم قدوم زيد مثلا ويتكلم بخلافه فالجواب: أن المحل الذي قام به العلم يستحيل أن يخبر بخلاف علمه، والمحل الذي قام به العلم منا القلب، والكلام الذي يخبر بخلافه إنما هو اللساني لا الكلام النفسي، فهو أبدا تابع للعلم والمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستحيل عليه التركيب حتى يقوم العلم بمحل والكلام بمحل آخر؛ فوجب أن يكون كلامه على وفق علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيكون صدقا، وإلا لزم الجهل أو التركيب، وكلاهما محال في حقه تبارك وتعالى

وهو معنى قول الناظم: وذاك صدق... إلخ، يعني أن الصدق ثابت في حكم

---

(1) وعبارة إمام الحرمين بعد السؤال: هذا السؤال عظيم الوقع يتعين الاعتناء بالانفصال عنه. من الإرشاد في مسائل الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني، مصدر سابق

(2) قال السنوسي وإذا عرفت أن هذه الصفات الثلاث لا تتوقف دلالة المعجزة على سبق المعرفة بها صح أن يستدل عليها بالدليل النقلي، من شرح السنوسي على الحوضيه، مصدر سابق، ص: 99

خبره تعالى بحيث لا ينتقل عنه إلى غيره؛ لما يلزم فيه من محال الجهل والتركيب، وما أدى إلى المحال فهو محال.

ص:

وواجـــب أمانـــة أي عـــصمه للرسـل جـل قـدرهم عـن وصـمه

ش: يعني أنه يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الأمانة، وهو الواجب الثاني في حقهم. ثم فسر الأمانة بأنها عصمتهم عن وصمة المنهيات أي عيبها، بمعنى حفظ جوارحهم الظاهرة والباطنة عن ارتكاب المنهيات نهي تحريم أو كراهة، فلا يقع منهم عقد ولا فعل ولا قول بمحرم أو مكروه.

ص:

ويـستحيل مـنهم ارتكـاب ذي نـهي وقـول ذي الـضلالة انبـذي

ولـو فرضـنا مـنهم إيقاعـه لانقلـب المـنهي عـين الطاعـه

لأمـر ربنـا بالاقتـدا بهـم في غـير مقـصور عـلى جنـابهم

والله لا يـأمر بالفحـشا فـلا يـأتون غـير طاعـة كمـا انجـلى

ش: يعني أنه يستحيل في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ضد الأمانة وهو ارتكاب المنهي أي فعله سواء المحرم والمكروه.

وقوله: وقول ذي الضلالة انبذ أي اطرح أقوال أهل الضلال والكفر من اليهود والنصارى ومن في معناهم[1] الذين ينسبون إلى أنبياء الله تعالى ما هم منزهون عنه من إيقاع المعاصي والكفر في كذبهم وافترائهم على الله وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام.

ثم برهن الناظم على وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام بقوله: ولو فرضنا منهم... إلخ، يعني لو قدرنا وقوع المنهي منهم عليهم الصلاة والسلام لصار المنهي عنه طاعة، وذلك محال؛ لأنه جمع بين الضدين.

(1) من الخوارج والمعتزلة وبعض الشيعة

وقوله: لأمر ربنا بالاقتدا بهم: بيان للملازمة، وتقريره أن يقال: من أين يلزم الجمع بين الضدين من وقوع المنهي منهم؟ فقال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأمر ربنا... إلخ، يعني أن الله تعالى أمر الخلق بالاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في غير ما خصوا به من الخصائص بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتِيكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وقوله: ﴿قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وغير ذلك من الآيات. فلو كان في ما يفعلون منهيا لصار منهيا عنه من جهة النهي ومأمورا به من جهة الأمر بالاقتداء بهم، وذلك جمع بين الضدين؛ فإن المنهي عنه لا يأمر به المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ﴾ ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٧﴾.

وأما ما خصوا به من الخصائص وهو الذي أشار إليه الناظم بقوله: في غير مقصور على جنابهم أي على ناحيتهم وجهتهم فلا يجوز لنا الاقتداء بهم في ذلك؛ لأنهم خصوا به وشرفوا به دون غيرهم كما قال تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُومِنِينَ﴾. وقول الناظم: فلا يأتون غير طاعة، يعني أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يقع منهم إلا الطاعة، وهو الواجب والمستحب، وأن المباح لا يقع منهم إلا مصاحبا بما يصيره طاعة واجبة أو مستحبة، ولا يقع منهم على وجه الإباحة التي هي التخيير بين الفعل والترك، بل لا يقع منهم إلا على وجه التشريع أو التقوّي على طاعة الله تعالى ونحو ذلك.

فظهر بهذا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكرم أنبياءه عليهم الصلاة والسلام بأن جعل أفعالهم وأقوالهم كلها طاعات وقربات إلى الله تعالى، وإذا كان الصالحون تصير المباحات في حقهم طاعة، بما يقارنها من نية الطاعة، فكيف بأشرف خلقه وصفوته من عباده؟ وهذا هو التحقيق والله أعلم.

ص:

وأولن بلائق ما اشتبها كما أتى في يوسف هم بها

وكون والد الورى قد أكلا وما سوى ذلك مما أشكلا

ش: يعني أنك إذا عرفت بالبراهين القاطعة امتناع وقوع المعصية منهم عليهم

الصلاة والسلام، عرفت أن ما وقع في الكتاب والسنة مما ظاهره وقوع ذلك منهم وجب تأويله وصرفه عن ظاهره، فيؤول بمعنى يليق بهم عليهم الصلاة والسلام، ولا يحمل على ظاهره المستحيل عليهم، فيُجرى مجرى المتشابه في صفاته تعالى، كما أتى في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإذا قلنا إن الهم وحديث النفس معفو عنهما كما جاء في قوله ﷺ: "إن الله تجاوز لأمتي عن حديث النفس ما لم تعمل أو تتكلم"(1) فلا إشكال فيه إذ لا معصية في ذلك. وأما إن قلنا إن الهم إذا صمم عليه ووطن النفس عليه مؤاخذ به، فهو معصية على هذا الوجه، فليس هم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من هذا قطعا، بل هو مستحيل في حقه؛ لعصمته عليه السلام من ذلك. ثم اختلف العلماء في تأويله:

- فمنهم من تأوله على تعلق ما بعده فقوله: "وهم بها" على تقدير التأخير والتقديم بمعنى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ لهم بها، وعلى هذا فلم يقع منه هم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

- ومنهم من تأوله على أنه هم بزجرها، وغير ذلك من التأويلات اللائقة به.

وقوله: وكون والد الورى قد أكلا، أشار به إلى قصة أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ [في أكله من الشجرة بعد نهيه تعالى عنها](2) بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ وقوله: والد الورى أي أبو البشر، والاعتذار عنه بينه الإله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ أي قصدا إلى المخالفة، فإذا كان نسيانا فليس بمعصية(3).

وقوله، وغير ذاك مما أشكلا من قصصهم كقصة نوح صلوات الله وسلامه عليه، فكل ذلك ظاهره غير مراد قطعا، فهو مؤول على ما يليق بهم.

---

(1) أخرجه البخاري من باب العتق حديث رقم 2528

(2) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ج).

(3) فأكله من الشجرة مؤول وهو أنه نسي عين الشجرة المنهي عنها ولم نجد له عزما على المعصية. فإن قيل: إذا كان كذلك فكيف يواخذ؟ فالجواب: أن الرسل يآخذون بما لا يآخذ به غيرهم لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين مع أن آدم في تلك الحالة في الجنة ليس رسولا ولا أمة له لأن التكليف خاص بالأرض . من درس شيخنا حفظه الله.

وقيل إن ذلك كله كان قبل البعثة منهم؛ إذ الأنبياء على عصمتهم إنما هو بعد البعثة، وأما قبلها ففيها خلاف، وقد بسط الشيخ في شرح صغرى الصغرى الكلام على ذلك فانظره[1] وكذلك القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشفاء.

ص:

وقـــل إذا اســـتدللت للتبليـــغ   لـــو كتمـــوا لكـــان ذا تـــسويغ

فيكـــتم المـــرء العلـــوم النافعـــة   عـــن طالـــب لهـــا ويغـــدو مانعـــه

كيـــف وقـــد بـــاء ذوو الكتمـــان   للرشـــد باللعنـــة في القـــرآن

ش: هذا هو الواجب الثالث في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو التبليغ لما أمروا بإبلاغه للخلق، ويستحيل عليهم ضده وهو الكتمان.

وقول الناظم: وقل... إلخ، يعني أنك إذا أردت أن تستدل بوجوب التبليغ أي أن تقيم عليه دليلا من القياس الاستثنائي، فقل: لو كتموا شيئا مما أمروا بإبلاغه لكان الكتمان للعلم عند الاحتياج إليه جائزا، لكن التالي باطل، والمقدم مثله.

وبيان الملازمة أنهم لو كتموا شيئا من الوحي مما أمروا بإبلاغه لجاز لنا كتمان العلم كما فعلوا؛ لأن الله تعالى قد أمر بالاقتداء بهم، فيجوز للمرء منا أن يكتم العلوم النافعة عن طالب لها ويمنعه منها، كيف يجوز هذا وقد باء كاتم الرشد أي العلم باللعنة في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ إلى آخر الآية.

---

(1) شرح السنوسي، على صغرى الصغرى من ص: 89-127 تعليق الاستاذ فوره الطبعة 1، 1427هـ -2006م، دار الرازي.

ص:

والمــصطفى المعجــز كــل الفــصحا أدى الرســــالة وكـــــلا نـــــصحا

واقتـــضت الآيـــات في الكتـــاب تبليغـــــة والــــنفي للعتـــاب

فـــالله يجزيـــه أجـــل مـــا بـــه جـــازى نبيـــا ذا مقـــام نابـــه

ش: يعني أن نبينا ومولانا محمدا ﷺ المصطفى، أي المختار للفضيلة على جميع الخلق، المعجز جميع الفصحاء بالقرآن العظيم وبما أوتيه من جوامع الكلام حتى قال ﷺ: "أنا أفصح من نطق بالضاد"(1) قوله: أدى الرسالة أي بلغ الرسالة تبليغا شافيا ونصح ﷺ لجميع أمته، وهذا مما لاشك فيه.

ونظم الدليل على إثبات نبوته ﷺ أن نقول نبينا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكي ادّعى الرسالة وتحدى بخوارق جرت على وفق دعواه، وكل من ادعى الرسالة وجرت على يديه خوارق على وفق دعواه فهو رسول، فينتج أن نبينا ومولانا محمدا ﷺ رسول الله.

أما دليل الصغرى فبالمشاهدة لمعاصريه، وبالتواتر لما جاء بعده من موافق ومخالف، إذ لا خلاف أنه ﷺ ادعى الرسالة وجرى على يديه عجائب، وعجز من أراد تكذيبه من معارضته.

وأما دليل الكبرى فبالمعجزة النازلة منزلة تصديقه تعالى بالكلام كما تقدم.

قوله واقتضت الآيات... البيت، يعني ان آيات القرآن تقتضي أنه بلغ الغاية في تبليغ ما أمره الله تعالى بإبلاغه ونفى اللوم عنه في ذلك كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ وغيرها من الآيات(2).

(1) قال ابن حجر في اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة؛ (كما في كشف الخفاء 609): معناه صحيح، لكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، وأورده أصحاب الغريب، ولا يُعرف له إسناد.

(2) وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾، فالنبي ﷺ بالغ في تبليغ ما أمر =

وقوله فالله يجزيه... البيت، أي جازاه الله تعالى عن أمته أفضل ما جازى به نبيا ذا رتبة رفيعة[1] عن قومه ورسولا عن أمته.

ص:

وغـــير قـــادح مـــن الأعـــراض في حقهـــم يجـــوز كـــالأمراض
للأجـــر والتـــشريع والـــتخلي عـــن زهـــرة الـــدنيا وللتـــسلي
إذ خـــيرة العبـــاد عنهـــا أعرضـــوا وربهـــم قرضـــا جمـــيلا أقرضـــوا
والله لـــــم يـــــرد لأنبيائـــــه بهـــــا جـــــزاء ولأوليائـــــه

ش: هذا هو القسم الثالث من أحكام الرسل عليهم الصلاة والسلام، يعني أنه يجوز في حقهم ما لا يقدح في علوهم، ولا يؤدي إلى نقص في مراتبهم، من الأعراض البشرية أي من صفات البشر كالأمراض التي لا توجب النفور، والنوم، والأكل، والشرب، والنكاح، والبيع، والشراء، والإعياء، والصبر، والغفلة، والنسيان.

وهذا كله إنما يجري على أجسادهم الظاهرة، وأما بواطنهم فموصوفة بصفات الملائكة بعيدة عن صفات البشر فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جهة الظاهر مع البشر، ومن جهة الباطن مع الملائكة؛ ولذلك يقدرون على مقاواة الجنسين ومعاناة الصنفين، بخلاف غيرهم من البشر فإنه لا يقدر على ذلك.

ومع ذلك هذه الأعراض التي تقع بهم عليهم الصلاة والسلام لا تخلو من فائدة دينية منها:

- تعظيم أجورهم بما يقاسون شدائد الدنيا ومصائبها وتكدرها،
- ومنها التشريع[2] للخلق ليصح الاقتداء بهم عند وقوع مثل ذلك، لانتظام =

بتبليغه وتكلف فيه جميع المشاق . من درس شيخنا حفظه الله.

(1) وهو تفسير لقول الناظم، ذا مقام نابه من نبه مثلثة الباء من النباهة وهي علو القدر والشهرة والصيت الحسن فهو نبيه ونابه ونبه. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) التشريع لأممهم لأن كثيرا من الأمراض ربما تعرف منها الأحكام الشرعية لأن النبي ﷺ لما صلى جالسا علم الناس أن المصلي إذا عجز عن القيام يصلي جالسا . من درس شيخنا حفظه الله.

أمر الشريعة وينضبط قانون الدين كما بين ذلك بسبب مرضه ﷺ ونومه عن الصلاة حتى خرج وقتها، وكما ظهر في سفره ﷺ من القصر والفطر في الصوم وغير ذلك، وكما وقع في خوفه من بيان صلاة الخوف،

- ومنها التخلي أي الترك لزينة الدنيا ولذائذها ومتاعها اقتداء بهم عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أعرضوا عنها واقتصروا فيها على قدر الضرورة بما يعينهم على عبادة ربهم وطاعته، وتركوا ما سوى ذلك ورفضوا فضولها، واستقبلوا بهممهم ما عند الله تعالى والدار الآخرة، فكذلك يجب لكل عاقل أن يقتدي بهؤلاء الصفوة في ذلك.(1)

- ومنها التسلي أي التصبر على شدائد الدنيا ومرارتها اقتداء بخيرة الله من خلقه ﷺ وعلى جميع إخوانه من النبيئين والمرسلين: فقد وُطِئَ ظهره ﷺ، وأُدْمِيَ وجهه الكريم على الله تعالى، وكسرت رباعيته ﷺ، وهشمت البيضة على رأسه، وغرب عن وطنه، وألقي السلى على ظهره وهو يصلى، وأوذي بأنواع الأذى، وتحزب عليه الكفار، وحوصر، وامتحن ﷺ بما لقي من شدائد الدهر وبؤس الزمان. وأصاب غيره من أنبياء الله تعالى ما هو أشد من ذلك، فصبروا عليهم الصلاة والسلام على ذلك حتى قدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم.

فإذا تأمل العاقل حال هؤلاء الأنبياء الكرام على الله تعالى حصل له العلم بهوان الدنيا على الله وخستها عنده، بما شاهد منها على أهل هذا المنصب العظيم؛ فيستشعر العاقل حينئذ الحذر منها، ويرمقها بعين الاحتقار، ويعلم أنها ليست وطنا ولا دار قرار فيشمر عن ساق الجد، ويوطن نفسه على صبر شدائدها حتى يخرج منها، اقتداء بهؤلاء السادات صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله: إذ خيرة... إلخ، علة لما قبل، كأن قائلا قال: لِمَ يصبر على شدائد الدنيا؟ فقال: لأن أفاضل الخلق، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من جميع

---

(1) لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء وكون الرسل يصابون فيها بالبلاء هذا دليل على أنها لا قيمة لها، فالأنبياء ومن على طريقهم تخلوا عن الدنيا وجعلوها معبرا للآخرة لأن الحياة معبر للموت و الموت معبر للحشر و الحشر إما إلى الجنة أو إلى النار، فهذه طريق واضحة. من درس شيخنا حفظه الله.

الخلق حتى الملائكة، أعرضوا عن الدنيا وزهدوا فيها، وهم أعقل الناس وأعرفهم بحقائق الأشياء.

فلولا ماعرفوا من خستها وهوانها على الله تعالى ما أعرضوا عنها لكنهم لما أعرضوا عنها وصرفوا ما حصل لهم منها في طاعة الله تعالى وعبادته وأقرضوا[1] ربهم في ذلك قرضا جميلا؛ وجب على كل عاقل الاقتداء بهم في ذلك.

فيعلم حينئذ أن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار جزاء لأنبيائه ولا دار جزاء لأهل طاعته[2] كما قال الناظم: لأن الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنهم أجل قدرا عنده من أن يجازيهم في دار لا بقاء لها، والله أعلم.

ص:

فيحصل الزهد من الأنام في عيشها الذاهب كالمنام

ش: يعني أنه إذا تأمل العاقل أمر الدنيا وتقلبها بأهلها، وامتزاج سرورها بنكدها، وصفوها بكدرها، وعدم استقامتها على وجه، وأن أحوالها لا تدوم على حالة واحدة؛ استشعر منها الحذر وانقطعت نفسه عن الركون إليها، وأيس من أمانها؛ يحصل له الزهد عنها وعدم الوثوق إلى شيء منها: فلا يفرحه شيء لعلمه بعدم بقائه، ولا يحزنه شيء كذلك، كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ الآية. فأمر الدنيا كلها كالمنام[3] إلا ما كان من طاعة الله تعالى.

---

(1) القرض السلف والمراد بالقرض: تقديم الأعمال الصالحة لطلب الثواب الجزيل

(2) جعلها دار ابتلاء واختبار ليعلم السعيد من الشقي

(3) ومن نظر إلى عاقبتها حصل له الزهد فيها وهو عدم الرغبة لأن الدنيا كالمنام، لذلك قال بعض السلف الصالح: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . من درس شيخنا حفظه الله.

ص:

فكـــل مـــن أُيِّـــدَ بـــالتوفيق ممـــن رأى بـــأعين التحقيـــق
يعلـــم قطعـــا أنهـــا خسيـــسه ويحـــذر التمويـــه والدسيـــسه

ش: يعني أن كل من أمد أي من أعانه الله تعالى بالتوفيق[1] والتسديد، وهي خلق الطاعة والقدرة عليها، ممن رأى الأشياء بعين الحقيقة، يعلم بالقطع واليقين أنها خسيسة دنيئة لا قيمة لها عند الله تعالى، كما قال ﷺ "لو كانت الدنيا عند الله تعالى تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء"[2].

فتأمل أيها العاقل خسة قيمة البعوضة كلها عندك، فكيف بما لا يساوي جناحها؟ كيف تهلك نفسك التي هي أعز الأشياء عليك في شيء أخس من جناح بعوضة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

ومع خستها وهوانها قد مكرت بأكثر الخلق حتى خدعتهم فأوقعتهم في مسالك الدنيا والآخرة بتمويهها ودسائسها حتى آثروها على الآخرة، إذا انكشف الغطاء عن حقائق الأشياء، مقتوا أنفسهم على ذلك، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، حيث آثروا الدنيا وشهواتها الخسيسة، وانقادوا لخداعها ودسائسها، لما برزت لهم في زي صديق، وهي أعدى العدو كما قال القائل:

إذا امـتحن الـدنيا اللبيـب تكـشفت لـه عـن عـدو في ثيـاب صـديق[3]

نعوذ بالله من السلب بعد العطاء ومن علم لا ينفع والله المستعان.

---

(1) هو أن يخلق الله في العبد قدرة على طاعته

(2) ولفظه في الترمذي: "لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ"، سنن الترمذي 2320.

(3) البيت لابن الرومي وبعده:

عليـك بـدار لا يـزول ظلالهـا ولا يتـأذى أهلهـا بمـضيق

ص:

ولـم يفـز منهـا سـوى مـن ادخـر أعمـال طاعـات لـه بهـا افتخـر
وهي خـراب مـا بهـا إقامـة والله نرجـو حـسن الاسـتقامة

ش: يعني أنه لم يفز من الدنيا، والفوز النجاة والفلاح، يعني أنه لم ينج من الدنيا ولم يفلح منها إلا من جعلها للآخرة، وادخر، أي اكتنز وأعد وهيأ، منها أعمال طاعات لله تعالى له، أي لنفسه، يفتخر بها في نعيم الجنة الدائم.

وذلك إنما يكون بالتجافي، أي التباعد، عن شهواتها ولذائذها المحرمة؛ لأن الدنيا ليست دار مقام، وإنما هي طريق إلى الآخرة وهي دار المقام إما: إلى نعيم، وإما إلى جحيم أعاذنا الله تعالى منه بفضله.

وجعل الله الدنيا وحطامها وغرورها سببا موصلا إلى إحدى الدارين، فمن حذر منها وتفطن لدسائسها وشمر فيها عن ساق الجد وصبر أياما قلائل عن شهواتها وعن معاصي الله تعالى فيها وعلى طاعة الله فيها، أوصلته إلى النعيم الأبدي، وكانت دنياه مغفرة من الله ورضوانا، ومن ركن إليها وانقاد لشهواتها العاجلة الخسيسة وآثرها على طاعة الله تعالى، أوصلته إلى العذاب الأبدي، وكانت دنياه في الآخرة عذابا شديدا وفي الدنيا لعب ولهو ذاهب غير باق، كما قال تعالى.

[فالدنيا لكل أحد مؤمن وكافر منزل خراب، ما بها إقامة أحد، وإنما الإقامة في دار القرار][1]. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نرجو منه حسن الاستقامة على ما يحبه ويرضاه؛ لأن للاستقامة مراتب: بعضها فوق بعض، فيسأل الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعلاها وأرفعها في الحسن من الله تعالى علينا بذلك بفضله آمين.

***

(1) ما بين معكوفتين سقط من نسخة (ب).

فصل في عدة الرسل

ص:

وعــــدة الرســــل الكــــرام الكمــــل في اســــم محمد بــــدت بالجمــــل
مــــيم وحــــاء ثــــم مــــيم كــــررت وبعــــدها دال كمــــا قــــد قــــررت

ش: يعني أن عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام ظهر[1] في اسم نبينا محمد ﷺ بحساب الجمل[2] بتشديد الميم.

وذلك أن اسمه ﷺ خمسة أحرف بالميم المدغمة، فإذا ضممت حساب حروفه بالجمل صارت خمسة عشر وثلاثمائة، أو أربعة عشر وثلاثمائة، على اختلاف روايات الحديث في ذلك.

وبيان ذلك أن جمل الميمات الثلاثة: سبعون ومائتان، وجمل دال: خمسة وثلاثون، فذلك خمسة وثلاثمائة، وجمل حاء بالمدة عشرة، وبالقصر تسعة؛ فيكون خمسة عشر أو أربعة عشر على التقديرين فقط وثلاثمائة وهي عدد الرسل[3] عليهم الصلاة والسلام.

وأما الأنبياء فعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والرسل منهم ما ذكر الناظم.

---

(1) بعض العلماء استخرج عدد الرسل من اسم النبي ﷺ، بل بعضهم استخرج عدد الأنبياء من اسمه ﷺ.

(والأنبياء جميعا في اسمه اندرجوا عــدًا كمــا آيهــم في آيــه انــدرجا)

كما قال مولود الجوادي، من درس شيخنا حفظه الله

(2)

كـــــشُكْرِ وعُنـــــقٍ وجبـــــل وَضُرَدٍ قفـــل حـــساب الجمـــل

البيت نظمه أستاذنا محمد بن بتار بن الطلبة من درس شيخنا حفظه الله.

(3) وهذا لم يرد فيه نص، لكنه من الرقائق وغريب الاتفاق، من درس شيخنا حفظه الله

وفي ضمن اسمه ﷺ ما ذكر وغير ذلك من صفاته ومن الأسرار التي لا يتناهى، ما يدل على عظم قدره ﷺ وشرف اسمه؛ إذ شرف الإسم يدل على شرف المسمى، وأفهم من قوله: الكمل جمع كامل، أن الكمال البشري إنما يكمل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن غيرهم من البشر. وإن بلغ الغاية في الفضائل، فهو ناقص بالنسبة إلى درجتهم؛ ولهذا استنبط بعض العلماء نبوة مريم وآسية من قوله ﷺ: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية"(1) الحديث.

ص:

وكلهـــم مـــن ربـــه مؤيـــد بمعجـــزات لا تنالهـــا اليـــد

قـــد قارنـــت دعـــواهم الرســـاله مـــع التحـــدي لفظـــا أو بالحالـــه

ش: يعني أن جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مؤيدون من الله تعالى بمعجزات تدل على صدقهم وهي الخوارق التي لا تنالها قدرة من يريد معارضتهم، أي لا يقدرون عليها ولا يأتون بمثلها. وشرط المعجزات أن تقارن دعوى الرسالة، وإن تقدمت على دعوى الرسالة سميت إرهاصات(2)، أو تأخرت عن دعوى الرسالة سميت آية، فهي أعم من المعجزات.

وكذلك الخارق إذا لم يتحدّ به. والتحدي طلب المعارضة لفظا أو بقرينة الحال، فطلب المعارضة لفظا كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ وطلب المعارضة بالحال كقول نبي: آية صدقي في كذا ونحوه والله أعلم.

---

(1) رواه البخاري (3411)، ومسلم (2431).

(2) وهي عبارة عن العلامة الدالة على بعث نبي قبل بعثته كالنور الذي كان يظهر من جبين عبد المطلب، مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو أساس الحائط فأطلق على هذه العلامات الإرهاص لأنها تأسيس لقاعدة النبوءة، من شرح السنوسي على واسطة السلوك للحوضي، مصدر سابق، ص: 147

ص:

ومعجـــزات المـــصطفى الكثـــيره دلـــت عـــلى رتبتـــه الأثـــيره

لأن معجـــزات غـــيره انقـــضت بعـــصرهم كمـــا مـــشيئة قـــضت

وبعـــض معجـــزات طـــه بـــاق لأنـــــه الحـــــائز للـــــسباق

فكـــم وكـــم آي بهـــا تحـــدى إحـــصاؤها بالعـــد فـــات الحـــدا

ش: يعني أن معجزات نبينا ومولانا محمد ﷺ الكثيرة الخارجة عن حد الحصر والإحصاء تدل على رتبته ومكانته الشريفة، وهي معنى الأثيرة، أي التي استأثر بها واختص بها دون غيره. وهي أحد الوجوه التي تتفاضل بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي كثرة المعجزات، وكثرة الأتباع، واختصاصه بفضائل لم يؤتها غيره كاختصاص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالخلة، وموسى بالكلام، وداود وسليمان بالملك، وغير ذلك.

فإذا تأملت هذه الثلاثة وجدت نبينا ﷺ أعطي منها ما لم يعط غيره.

أما المعجزات فلا خفاء أنه أعطي منها ما لم يعط غيره: فبعضهم أنهاها إلى ألف، وبعضهم إلى أكثر من ذلك،

والصحيح الذي عليه المحققون أنها لا تنحصر في ألف ولا ألفين ولا أكثر من ذلك، بل هي خارجة عن حد الحصر والإحصاء، كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن الواحد من معجزاته ﷺ وهو القرآن العظيم لا يحصى ما اشتمل عليه من المعجزات وحده دون ما سواه من معجزاته ﷺ. ولا شك أن معجزاته ﷺ أكثر وأظهر وأشهر من معجزات غيره ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ثم بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان دلالة معجزاته على رتبته الشريفة، فقال: لأن معجزات غيره انقضت، يعني أن معجزات غيره من الأنبياء انعدمت بعد زمانهم وعصرهم، ولم يشاهدها إلا من حضرهم وعاصرهم، كما أراد مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقضت به مشيئته، وصارت بعد عصرهم خبرا دون معاينة؛ كعصا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإحياء الموتى لعيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكون النار بردا وسلاما على الخليل

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. فإن هذه المعجزات ما شاهدها إلا معاصروهم، ووصلت لمن بعدهم بالإخبار دون المعاينة.[1]

قوله. وبعض معجزات طه... إلخ، يعني أن بعض معجزات النبي ﷺ وهو المراد بطه وقد ورد في الحديث أنه اسم من أسمائه ﷺ وعليه درج الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أعظمها وأفضلها وهو القرآن العظيم، معجزته باقية مستمرة على ممر الدهور والأزمان إلى يوم القيامة، تشاهد لكل عصر وقوم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الآية.

فهذه معجزة ظاهرة باقية أبدا إذ عجز العرب عن الإتيان بمثله معلوم ضرورة، وعجز الخلق على الإتيان بمثله من يوم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك إلى الآن، وهو نحو من مائة سنة وألف عام[2]، معلوم ضرورة بالمشاهدة، فلا يشك عاقل أنه من عند غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ .

وهذه المعجزة لم تكن لغيره ﷺ؛ لأنه الحائز لجميع الفضائل التي لا تكون لغيره، ولذلك شبهه الناظم بحائز السباق الذي تراهن عليه المتسابقان فسبق أحدهما فحاز عن صاحبه.

وقوله: فكم وكم... إلخ، كم هنا معناها التكثير، يعني أن معجزاته ﷺ بلغت

---

(1) كل نبي انقضت معجزته بموته فحدث له بسبب ذلك بعض الخفاء لعدم معاينة الدليل المُذَكِّر به وبشرعه ومن تواترت معجزاته منهم كموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والخبر لا يصل إلى درجة العيان ونبينا محمد ﷺ أبقى الله تعالى أعلام صدقه وآيات نبوءته ورسالته وحفظ سبحانه شريعته على مرور الدهور والأزمان واختلاف الدهور والأعصار في كل قطر ومكان ولا غيبة لشموس ذكره و العمل بشرعه الشريف و إن تراكمت ظلم الفتن وتلاطمت أنواع الشرور ولا انتكاس لأعلام صدقه بل لا تزيدها الفتن المدلهمة إلا قوة ويقينا بمعاينتها على وفق خبره عليه الصلاة والسلام إلى أن يحل قيام الساعة، من شرح السنوس على واسطة السلوك للحوض، مصدر سابق، ص212

(2) يفهم من قوله هذا أنه ألف هذا الشرح عام 1100هـ

من الكثرة والانتشار إلى أن خرجت عن حد الإحصاء والعد، حتى أن للعلماء في ذلك تصانيف كثيرة في معجزاته وخصائصه، لم يبلغوا فيها النهاية، ولم ينتهوا إلى الغاية.

إلا أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إنه تحدى بها ﷺ، والذي تحدى به ﷺ هو القرآن العظيم فإن أراد بهذا تكثير معجزات القرآن وحده، فصحيح، وإن أراد المميزات التي جرت على يديه فهي كثيرة أيضا لا يأخذها حد ولا يحصرها عد، ولكنه ﷺ ما تحدى بها، اللهم إلا أن يريد أنه ﷺ تحدى بها بقرينة الحال لا قولا فَمُسَلَّمٌ، والله الموفق.

ونحو قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الشيخ في الكبرى: وتحدى بمعجزات لا يحاط بها والله تعالى أعلم.

وقول الناظم: إحصاؤها بالعد فات الحدا، يعني أن إحصاءها لمن أراده بالعدد خارج عن العد فلا ينتهى إليه، ولهذا أنهاها بعضهم إلى ألف، وبعضهم إلى ثلاثة آلاف وبعضهم قال: لا نهاية لها، كما قال الشيخ في شرح الوسطى: تربي على ألف بل عشرة آلاف مما لا يعلمها إلا الله تعالى، انتهى.

ص:

وحسبك القرآن ذو الآيات   وحفظه لآخر الغايات

فهو لوعد الحق ذو إجار   وفيه أنواع من الإعجاز

ش: يعني أنه يكفيك أيها الناظر في معجزات نبينا محمد ﷺ السائل عنها الباذل جهده فيها معجزة القرآن العظيم ذو الآيات الكثيرة التي لا تتناهى ولا شك أن القرآن الذي امتلأت منه الأرض وحي الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، فهو معجزاته العظمى التي تحدى بها، على كل كافة، جميع الخلق، فعجزوا عن معارضته والإتيان بمثله، من ذلك الوقت إلى يومنا هذا، أزيد من مائة وألف سنة، يقرع أسماع جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم إنسهم وجنهم في جميع أقطار الأرض سهلها وجبلها بدوها وحضرها مؤمنها وكافرها، وتطاول الزمان على ذلك مع كثرة الأعداء والحساد، وأهل التمويه والعناد، وكثرة أهل الطعن في الدين والإلحاد، وأصحاب المخارج والخواص، وأهل التشعوذ والعزائم والاستخدامات ومع ذلك عجزوا عن معارضته والتشكيك فيه بحيلهم وتمويهاتهم؛ فلا يشك عاقل مع هذه

الأمور أنه من عند غير الله تعالى صدق بها نبيه ﷺ، وأنه لا ينال بوجه من وجوه الحيل من السحر والاستخدام والعزائم والطلسمات، ولا بخاصية من الخواص، هذا مما لا يشك فيه مسلم ولا معاند، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ومن جملة إعجازه حفظ الله تعالى له عن التبديل والتغيير والتشكيك فيه مع كثرة من سعى في ذلك من المعاندين والملحدين وأهل البدع والزيغ، ولا سيما القرامطة[1]، فأنجز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعده في ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ والحكايات في ذلك كثيرة مع أنه فيه أنواع من الإعجاز كما قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ مشيرا إلى تلك الأنواع بكاف التمثيل بقوله

ص:

كنظمه البديع في أسلوبه	وعجز من باراه عن مطلوبه
والجمع للعلوم والأسرار	وكونه يحلو مع التكرار
وفي الجزالة بوجه أعلى	والروع في القلوب حين يتلى

ش: يعني أن من وجوه إعجاز القرآن العظيم نظمه البديع في أسلوبه، أي في تراكيبه العجيبة، في طريقته المخالفة لطريق كلام العرب في نظمها ونثرها وسجعها؛ إذ لم يعهدوا مثل ذلك في كلامهم، ولا اهتدوا إلى منهجه في أسلوبهم؛ ولهذا اعترف بذلك خذاقهم وفصحاؤهم على ما جاءت به الأخبار.

ومن إعجازه عجز من عارضه، وهو معنى قوله: من باراه في مطلوبه، وهذا معلوم بالضرورة إذ عجز العرب عن الإتيان بمثله، بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ الآية، إذ المفترى أسهل على اللسان وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية، على الضرورة مع كثرتهم وتهالكهم على ذلك.

(1) وهي فرقة من فرق الشيعة

ثم امتد الزمان بعده ﷺ حتى انتشر في جميع أقطار الأرض، وتكرر في مسامع الخلق ممن عاصره ومن بعده حتى الآن، وهو مائة وألف عام من مبعثه ﷺ، والدنيا محشوة بالحساد وأهل العناد، وممن يدس في الدين طرق الإلحاد، فما أتى أحد منهم بعد هذا بشيء يماثل القرآن العظيم أو يشبهه، فلا شك في عجز الخلق عن ذلك.

ومن وجوه إعجازه جمعه للعلوم والأسرار الدينية والدنيوية إذ هو عنصر المعارف الدينية والأخلاق الحميدة والآداب الشرعية والسياسات الدنيوية والأحوال الأخروية. جميع ذلك مستنبط منه كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

ومن وجوه إعجازه أنه لا يمل مع كثرة التكرار، بخلاف غيره من الكلام، بل كثرة تكراره تزيده حلاوة، ولذلك وصفه ﷺ بأنه لا يخلق مع كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

ومن وجوه إعجازه كونه في أعلى وجوه الجزالة والفصاحة بحيث خرج عن مقدور البشر قال ابن التلمساني: الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة حروفه وتناسق مخارجها. انتهى

ومن وجوه إعجازه الروع الذي يدرك سامعه حين تلاوته، والهيبة التي تعتريه عند قراءته، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: والدليل على أن هذا خاص بالقرآن العظيم أنها تعتري من لم يعرف معناه ولا تفسيره. انتهي

ص:

وما احتوى عليه من أنباء غيب بتصريح وبالإيماء
ففيه من هذا أمور تكثر والبعض بالفيض عليها يعثر
ومنه ما ابن برجان أظهر في أخذ بيت المقدس المطهر
من قوله بضع سنين قبل أن يكون ثم كان طبقا في الزمن

ش: يعني أن من وجوه إعجاز القرآن العظيم ما احتوى عليه من الإخبار بالغيوب، فتقع كما أخبر به في حياته ﷺ وبعده إلى الآن، فلا يمر عصر من الأعصار

إلا وقع فيه ما أخبر به على وفق إخباره؛ فيتزايد الإيمان، ويتظاهر البرهان في هذه الأخبار، منها ما هو صريح كإخباره بظهور الدين واستخلاف المؤمنين في الأرض ودخول النبي ﷺ وأصحابه مكة آمنين؛ وغلبة الروم لفارس؛ ودخول الناس في دين الله أفواجا؛ ورده ﷺ إلى مكة؛ وغير ذلك، فوقع ذلك كله كما أخبر به تعالى.

ومنها بالإيماء دون التصريح: كاستخلاف أبي بكر؛

وردة العرب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾

وكطلب الجهاد من المتخلفين لقوم أولي بأس شديد هم أهل الردة في قول أو الروم وفارس في قول، فوقع كذلك في أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛

وغير ذلك من الآيات التي تشير إلى القضايا والنوازل التي تقع، فتقع كما أخبر به وهي لا تنحصر كما قال الناظم رحمه الله ففيه من هذا أمور تكثر، وتنكير أمور للتعليم أو التكثير وبعض هذه الأمور يطلع عليها بالاكتساب من طريق التعليم والاكتساب، وبعضها يطلع عليها بطريق الفيض من الله تعالى وهو خلق العلم بغير واسطة من بشر أو ملك، كما قال الناظم رحمه الله: والبعض بالفيض عليها يعثر وهي: طريقة أرباب الأحوال والقلوب، نفعنا الله تعالى ببركتهم وهذه لا تتناهى، بل هي على حسب المقامات والأحوال، وبعضها فوق بعض حتى تنتهي إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

ومن طريق الفيض ما أظهر ابن برجان[1] رضي الله عليه من تفسير سورة الروم، أن بيت المقدس تبقى بيد الروم، لما تغلبوا عليها، إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ثم يغلبون ويخرجون منها وتفتح وتصير دار الإسلام إلى آخر الأبد، أخذا من حساب الآية؛ فكان كذلك قال الإمام أبو شامة[2]: وهذا الذي ذكره ابن

---

(1) هو أبو الحكم عبد الرحمن بن أبي الرجال أصله إفريقي، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث محققا في علم الكلام والتصوف مع زهد وعبادة، له تفسير القرآن لم يكمل وشرح أسماء الله الحسنى، حدث عنه عبد الحق الإشبيلي وغيره. توفي بمراكش مغتربا عن وطنه بعد الثلاثين وخمسمائة. كفاية المحتاج مصدر سابق، ج1 ص257

(2) هو العلامة المقرأ المفسر الأصولي المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة لشامة كانت فوق حاجبه الأيسر ت 665هـ

برجان من عجائب ما اتفق وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر إذ مات ﷺ في أيام المقتفي، وكانت وفاة المقتفي(1) سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ومات ابن برجان قبله فوقعت هذه القضية كما قال، إذ أخذ الروم لبيت المقدس وقع، في سنة اثنين وتسعين واربعمائة، بعد حصارها شهرا ونصفا، وقتلوا بها أكثر من سبعين ألفا، منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد، وهدموا المشاهد، وجمعوا من فيها من اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم، وبقيت في أيديهم إلى أن أخذها السلطان صلاح الدين(2)، في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وأزال ما أحدثه الروم من الآثار، وهدم ما أحدثوا من الكنائس، وبنى في موضع كنيسة منها مدرسة الشافعية، جزاه الله عن الإسلام خيرا.

ذكر ذلك كله جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء.

وكانت مدة بقاء بيت المقدس بيد الروم إحدى وتسعين سنة، وكان ابن برجان أخذها من حساب ﴿بِضْعِ سِنِينَ ۝﴾ بحساب الجمل، فأضاف إلى ذلك معنى البضع في كلام العرب وذلك أن الباء اثنان، والضاد تسعون، والعين سبعون، والسين ثلاثمائة. والنون خمسون، والهاء عشرة والنون خمسون، ومجموع تلك اثنان وسبعون وخمسمائة، فزاد على ذلك معنى البضع وهو: ما بين ثلاث إلى تسع، فجعله هو ﷺ عشرة، احتياطا أو زاد الياء المجرورة، يعني على ما لفظه به الناظم

(1) هو المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله عبد الله الهاشمي العباسي البغدادي الحبشي الأم ولد سنة 489هـ سمع من ابن الحسن بن العلاف ومن مؤدبه أبي البركات السيبي و بويع بالإمامة سنة 530هـ وتوفي سنة 555هـ، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج20، ص: 400-412.

(2) هو السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني ثم التكريتي المولد سمع من أبي طاهر السلفي الفقيه والقطب النيسابوري قال ابن الأثير: أنا رأيته ووزنته. وفي سنة 583 فتح طبرية ونازل "عسقلان" ثم كانت وقعة طحين" بينه وبين لفرنج فأخذ عكا وبيروت وكوكب وسار فحاصر القدس وجد في ذلك فأخذها بالأمان. ت سنة 589هـ، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج21، ص: 279-291

أي حسابه، فصار اثنين وثمانين وخمسمائة وهي غاية غلبة الروم على بيت المقدس، وفي سنة ثلاث وثمانين تنزع منهم، فكان كذلك، كما قال رضي الله عنه ونفعنا به.

ص:

وبعـــضهم في وجـــه إعجـــاز نحـــا لـــــرد بعـــض وســـواه رجحـــا

ش: يعني أن العلماء اختلفوا في وجه إعجاز القرآن، بعد إجماع المسلمين قاطبة أنه معجز ثم اختلفوا في تعيين الوجه الذي وقع به الإعجاز وكان به التحدي:

فقال بعض المعتزلة: إعجازه أسلوبه ونظمه الخاص به فقط.

وقال قوم: إعجازه فصاحته وجزالته فقط.

وقال إمام الحرمين والقاضي: إعجازه بالمجموع.

وقال قوم: إعجازه بالصرف، وإن كان في مقدورهم، وهو قول الشيخ أبي الحسن والنظام(1).

وقال قوم: إعجازه عدم مناقضته في آياته وتصديق بعضها بعضا.

وقال قوم: إعجازه إخباره عن المغيبات فيما مضى وفيما هو آت.

وقال بعض المحققين: إعجازه أنه قديم.

وقال قوم: إعجازه أنه عبارة عن الكلام القديم.

وهذه الأقوال نقلها الشيخ في شرح الكبرى، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعني أن بعض العلماء قصد وجها معينا في إعجاز القرآن ورجحه على سواه، ثم اختلفوا في تعيين الوجه على ما سبق، بعد إجماعهم على أن القرآن معجز ولا يضر اختلافهم في الوجه، وبالله تعالى التوفيق.

---

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبيعي البصري المتكلم قال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوءة والبعث ويخفي ذلك ت سنة بضع وعشرين ومائتين. سير أعلام النبلاء ج10 مصدر سابق، ص: 542

ص:

واختلفوا هل كان طوق البشر من قبل لكن صرفوا كما انتشر
أو لم يكن في طوقهم وصححا والبحث في ذاك بِطُولٍ شُرِحَا

ش: يعني أن أهل السنة اختلفوا: هل القرآن مثله مقدور للبشر ولكن صرفهم الله تعالى عنه معجزة لرسوله ﷺ؟ أو لم يكن في مقدورهم بل هو خارج عن طوق البشر كانشقاق القمر وفلق البحر وإحياء الموتى؟ وهذا هو الصحيح.

والقولان للشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه، وبقية الأقوال المتقدمة ضعيفة أما القول بالصرف فضعفه أنه لو كان ذلك، لنقل عن العرب مثل القرآن فيما مضى قبل بعثته ﷺ، ولو نقل لوجد؛ لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله.

وأيضا لو كان إعجاز القرآن بالصرف لكان كونه في أدنى مراتب الفصاحة أنسب لظهور إعجازه، كيف؟ ولا خلاف في أنه أعلى مراتب الفصاحة.

وأما من قال: إعجازه عدم تناقضه، فلا ينكر أن ما ذكر من أعظم دليل على أنه من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفاً كَثِيراً ﴿٨١﴾﴾ إلا أن التحدي لم يقع بذلك.

وأما من قال: إعجازه أنه قديم، فلا يصح؛ لأنه إن أراد بالقديم ما دل عليه فقد سبق أن شرط المعجزة أن تكون فعلا لله تعالى، والقديم ليس بفعل، وإنما هو وصفه. وإن أراد العبارة الدالة فلا يخفى أنها حادثة.

وأما من قال عن إعجازه إنه عبارة عن الكلام القديم، فلا يصح أيضا، فإنه لا يمتنع أن يعبر عن القديم بلفظ غير معجز. وغير ذلك من الأقوال يطول فيها الكلام، كما قال الناظم رحمه الله: والبحث في ذاك... إلخ، وبالله تعالى التوفيق.

ص:

وأخبر الله بعجز الإنس والجن عن إتيانهم بالجنس
من مثله وطولبوا بسوره فما استطاعوا مثلها ضروره

ش: يعني أن الله تعالى أخبر بعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن في

جنسه: بلاغة وجزالة وفصاحة، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي معينا، وطالبهم الله تعالى بالإتيان بسورة من مثله فعجزوا.

قال الجمهور: يكفي أقصر سورة كالعصر والكوثر ثم أخبر أنهم ما فعلوا فيما مضى ولا يفعلون في المستقبل أبدا قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

ص:

ومن لجلباب الحيا أزاحا ... معارضا له حوى افتضاحا

كمثل ما جاء به مسيلمه ... من ترهات باختلال معلمه

ركيكة في لفظها والمعنى ... كقوله والطاحنات طحنا

وغير ذا مما انتحاه الأبله ... وهو بنوع الهذيان أشبه

وهل يقاس ذا "بإن الله ... يأمر بالعدل" وما تلاها

وأين ما هذا به في الضفدع ... من قول ربنا تعالى "فاصدع"؟

أجارنا الله من الخذلان ... والغي في الإسرار والإعلان

ش: يعني أن من بعد عن نفسه جلباب الحياء من العرب، وتجرد لمعارضة القرآن، حاز افتضاحا عظيما، وأتى من الكلام بما يتضاحك به طول الدهر، مع سلب كلامه من فصاحتهم المألوفة، وذلك مثل ما جاء به مسيلمة الكذاب(1) من الترهات، بتشديد الراء جمع ترهة بتشديدها أيضا وهي الأباطيل والفجور التي موّه بها على العوام، مع أنها معلمة بعلامات الاختلال والفساد لا يخفى على من له أدنى

(1) اسمه هارون بن حبيب الثقفي، وقد وفد على النبي ﷺ مع وفد ثقيف ثم رجع إلى قومه وبدا له أن يتنبأ فكان يتلقى بعض القرآن ويدعيه لنفسه لكن ما استقام له ذلك لأن الناس يحفظون القرآن، فصار يحاكيه بأباطيل معلمة باختلال عقله ركيكة في اللفظ والمعنى لا تصدر من عاقل. وقد قتل في حروب الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

تمييز.

قوله: ركيكة، يعني أنها جمعت ركاكة اللفظ وفساد المعنى، كقوله - لعنه الله تعالى - مما تلا لقوله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١﴾ ولقوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفٗا ١﴾ ولقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقٗا ١﴾ فقال- لعنه الله تعالى- على زعمه، والطاحنات طحنا والثاردات ثردا، إلى آخر أباطيله.

قوله: وغير ذا، يعني وغير هذا من مقاله، مما انتحاه الأبله أي مما قصده الأحمق والأبله هو الأحمق، كقوله- لعنه الله- لما سمع سورة الفيل: الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل وإن ذلك في خلق ربنا لقليل. إلى غير ذلك من أباطيله وكذبه.

قوله، وهو بنوع الهذيان أشبه، يعني أن هذا تشبيه بهذيان المريض الذي لا يعقل، وهو كذلك، إذ لو كان عاقلا لاستحى من مثل هذا.

قوله: وهل يقاس... إلخ، يعني أنه هل يماثل كلامه هذا قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ وما بعدها من الآي؟ كلا، بل كلام الله تعالى أرفع وأعلا.

وقوله: وأين ما هذا به... إلخ، يعني أن هذيانه في قوله - لعنه الله-: يا ضفدع بنت ضفدعين إلى كم تنقنقين أعلاك في ماء وأسفلك في طين، أين هو من قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾.

قوله: أجارنا الله... إلخ، أي عصمنا الله تعالى من الخذلان، وهو الحرمان، وخلق الضلال والكفر في القلب، وعصمنا من الغي، وهو الضلال، في الباطن والظاهر بمنه وكرمه.

***

فصل في السمعيات[1] الأخروية والبرزخية والبعثية

ص:

وكل ما جاء من الأخبار عن أحمد المخصوص بالإكبار
فذاك حق كائن لا يمترى فيه "وما كان حديثا يفترى"

ش: يعني أنه إذا ثبت بالمعجزة رسالة نبينا محمد ﷺ وجب تصديقه ﷺ في كل ما أتى به عن الله تعالى، وهذا معنى قوله: وكل ما جاء من الأخبار، يعني أن جميع ما جاء من الأخبار عن الله تعالى عن نبينا ﷺ أحمد المخصوص بالإكبار أي التعظيم.

قوله: فذاك حق أي صدق كائن أي واقع لا يمترى فيه، أي لا يشك فيه، وما كان كلاما يفترى، بل هو وحي من الله يوحي إليه ﷺ.

ثم فصل تلك الأخبار الآتية من قِبَلِهِ ﷺ فقال:

ص:

مثل السؤال وعذاب القبر والبعث للأبدان يوم الحشر
بعينها لا مثلها إجماعا والاختلاف بعد هذا شاعا
هل ذاك عن تفريق تلك الاجزا أو عدم محض عليها يعزى

ش: يعني أن مما أخبر به ﷺ: سؤال القبر وعذابه، فيجب الإيمان به كما أخبر به ﷺ؛ لأن كل جائز في العقل أخبر الشرع بوقوعه وجب الإيمان به، فيثبت الله

(1) العقائد منقسمة إلى قسمين: عقائد يحكم بها العقل ولا يستدل لها عند المتكلمين إلا بالدليل العقلي. والدليل العقلي يشهد له الدليل النقلي وهناك عقائد سمعية لا يتوقف عليها شرع يستدل لها بالدليل النقلي والعقل جائزة عنده لكنها غير واجبة عنده لأن القاعدة عند المتكلمين أن كلما لا يتوقف عليه إثبات شرع يكتفى فيه بالدليل السمعي وسيتكلم هنا على العقائد السمعية. من درس شيخنا حفظه الله.

تعالى من سبقت له السعادة بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، ويضل الله الظالمين.

ولا مانع عقلا من رد الحياة إلى بعض أجزائه[1]، ويجعل له من العقل والفهم

(1) من السمعيات التي يجب الإيمان بها أن العبد إذا مات ودفن وولى عنه أصحابه أتاه ملكان وهو يسمع خفق نعال أهله فيقعدانه في قبره ويقولان له: من ربك وما دينك وما تقول في هذا الرجل، إذا وفق يقول: ربي الله وديني الإسلام والرجل محمد ﷺ. فيريانه مقعده من الجنة ثم يريانه مقعده من النار لو كان كافرا فيحمد الله على النعمة وعلى النجاة، وإذا كان منافقا يقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيقولان له: لا دريت ولا تليت فيضربانه بمطارق من حديد يصرخ منها صرخة يسمعها من يليه إلا الثقلين، الإنس والجن. فهذا هو سؤال القبر الذي يجب الإيمان به لأن أحاديثه صحيحة واختلف هل جميع الأنبياء يسأل عنهم في القبر. أم ذلك خاص بالنبي ﷺ، فلا يسئل ميت في قبره عن نبي إلا عن النبي ﷺ. من درس شيخنا حفظه الله.

قال الفاسي في شرحه على منظومة التثبيت للجلال السيوطي: وفي شرح الصدور في شرح حال الموتى والقبور قال: السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لكل الموتى فضلا عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحياته بها في الدنيا أو حي بدونها وهي حيث شاء الله فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي وذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره لأن الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من احتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر.

وقال سيدي أبو عبد الله محمد العربي بن يوسف بن محمد الفاسي الفهري في شرح دلائل الخيرات كل مسؤول في القبر لا بد له من نوع حياة يتمكن معها من فهم السؤال و ما يترتب عليه ولا يتوقف ذلك على عود الروح ولا مرية في أن رجوع الروح إلى الجسد عند المساءلة ليس كرجوع البعث بل مغاير له قطعا وإلا لم يكن بينهما فرق لأن بعض الأجساد يذهب تركيبها ويضمحل، إما بالفناء المحض أو تفريق الأجزاء وتبديل الأعراض والروح بحاله لم يضمحل فإما أن رجوع الروح المذكور نوع رجوع خاص ليس رجوعا عاما ولا تاما وإما أنه استعير لفظ الروح للحياة وغير ذلك من التاويلات والله أعلم، من شرح الفاسي على منظومة التثبيت، مصدر سابق، ص: 121-122

ما يفهم به ويجيب به الملكين، وإن لم نسمع نحن كلامه، وكذلك يجوز أن يسمع كلام من سلم عليه، وقد ورد الشرع بذلك؛ فيجب اعتقاد ظاهره، ولا حاجة إلى تكلف تأويله، والله تعالى على كل شيء قدير.

و قد أجمع الإسلاميون، كما قال سعد الدين التفتازاني، على سؤال القبر وعذابه للكفار ولبعض العصاة وتنعيمها للمؤمنين. ونسب إنكار ذلك للمعتزلة وبعض المتأخرين[1]، قال السعد: وإنما نسب إنكار ذلك لضرار[2] بن عمرو ونسب للمعتزلة وهم براء منه وتبعه قوم من السفهاء المعاندين للحق.

قوله: والبعث للأبدان يوم الحشر، يعنى أنه يجب الإيمان بالبعث[3] لعين هذه

---

(1) وقد أجمع المسلمون على نعيم القبر وعذابه ودليل النعيم من القرآن قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاًۢ بَلَ اَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ودليل العذاب قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاًۖ﴾ ولا يصح أن المراد عذاب الآخرة لعدم تقييده بالغدو والعشي ولقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً ﴾ والفاء للترتيب باتصال. والاخبار متواترة باستعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر. انتهى من شرح بن الحاج حمى الله على الإضاءة.

(2) وهو من رؤوس المعتزلة قال المروذي: قال أحمد بن حنبل شهدت على ضرار بن عمرو عند سعيد بن عبد الرحمن فأمر بضرب عنقه فهرب. مات في زمن الرشيد. سير أعلام النبلاء ج10، ص: 545

(3) وهو من السمعيات القرآنية والحديثية، فهو وارد في الكتاب والسنة ويجب الإيمان به أيضا وهو الإحياء بعد الموت وهذه الاجسام التي ستحشر بعد الموت هي الاجسام التي كانت في الدنيا بأعيانها لا بأمثالها لا خلاف في ذلك إنما الخلاف في حشر الاجساد بعد بِلاَهَا وتلاشيها هل ينشأ عن تلك الأجزاء المتفرقة التي لا يبقى فيها جوهران متصلان فيجمعها الله تعالى كما أنشأها أول مرة و القادر على البدء لا يعجزه العود. أو الإنسان يصير عدما محضا فيخلقه الله تعالى لكن المخلوق من جديد هو نفس الجسم الذي كان في الدنيا، إذن فالخلاف الوارد في المسألة إنما هو راجع لفهم النصوص الواردة فيه، فبعض العلماء فهم منها المعنى الأول وهو الجمع بعد التفريق و بعضهم فهم منها المعنى الثاني: وهو إنشاء جديد، على كل حال فالاجسام المنعمة أو المعذبة هي عين الاجسام التي كانت في دار الدنيا . من درس شيخنا حفظه الله.

الأبدان، أي لذواتها إجماعا لا مثلها، وإلا لزم أن تكون المنعمة والمعذبة غير التي أطاعت أو عصت، وذلك باطل بالإجماع.

قوله: والاختلاف بعد هذا شاعا... إلخ، يعني أن الاختلاف كثير. هل الإعادة عن تفريق تلك الأجزاء أو عن عدم محض؟ على قولين كما قال الإمام الفخر أنه لم يثبت بدليل قطعي أن الإعادة عن عدم محض أو عن تفريق الأجزاء، لكن هذا الاختلاف بحسب ما ورد من الشرع، وأما بحسب الجواز العقلي فكلا الأمرين جائز، وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

ص:

لكن هذا باعتبار ما ورد   والكل في الجواز بالعقل اطرد

يعني أن هذا الاختلاف بحسب ما ورد من الشرع كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فمنهم من فسر الهلاك بالفناء الذي هو العدم؛ ومنهم من فسره بتغييره عن الهيئة التي كان عليها، ولا شك أن التفريق للأجزاء على هذا المعنى هلاك.

وأما بحسب العقل فكلا الأمرين جائز، كما قال الناظم: والكل[1] اطرد في الجواز بالعقل.

ص:

واستثن من ذا الخلف عجب الذنب   وما أتت فيه النصوص كالنبي

ش: يعني أنه يستثنى من الجسم عجب الذنب[2] وهو عظم كالخردل في أصل الصلب عند العجز وهو رأس العصعص، فإنه لا يبلى كما في الصحيحين، بمعنى لا

---

(1) قال العلامة عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي أي وكل من القولين فهو كلية لا كل ودخول أل على كل لحن عمت به البلوى لقوله في الكافية:

كل مضاف معنى إن يضف لذا   لم يصحب أل نقلا وحالا شذذا

انتهى من شرحه على الإضاءة. مصدر سابق.

(2) وهو عظيم في نهاية العمود الفقري وعجب مثلة العين وفيه عجم بالميم في حديث مسلم أنه لا يبلى

تأكله التراب.

قوله: وما أتت فيه النصوص، يعني أن جميع ما أتت به النصوص الشرعية أنه لا يفنى كأجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء والعلماء[1] والمؤذنين المحتسبين[2]، يجب استثناؤه كعجب الذنب، وكذلك الأرواح والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وأهلهما مما ورد الشرع ببقائه.

ص:

واختلفوا في عود وقت وعرض	وبعضهم إعادة الوقت اعترض
بقوله "جل جلودا غيرها"	فاركب مطايا البحث واعرف سيرها
فليس إلا الغير بالأزمان	للمنع من غيرية الأبدان
فبان أن الوقت لا يعاد	من ذلك الحصر الذي يفاد.

ش: يعني أنهم اختلفوا في إعادة الوقت والعرض. فأما العرض ففيه طريقان: أحدهما أنها تعاد بأعيانها باتفاق؛ والأخرى فيه قولان والصحيح إعادته.

وأما الوقت ففيه قولان: هل يعاد بعينه؟ والآخر أحدهما: أنه يعاد بعينه، والآخر لا.

وإليه أشار الناظم بقوله وبعضهم إعادة الوقت اعترض بقوله جل: جلودا غيرها: يعني أن بعض[3] أهل السنة أبطل إعادة الوقت[4] بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا

(1) أي العلماء العاملين الذين عملوا بعلمهم بإخلاص وصدق ليس مجرد حفظ النصوص لأن العالم لا تقال إلا للذي عمل بعلمه فعلى العالم أن يعمل هو في نفسه أولا لكي ينجي نفسه وإلا يكون علمه حجة عليه كالسراج يضيء لغيره ويحترق، من درس شيخنا حفظه الله.

(2) أي اللذين لا يطلبون الأجرة على الأذان

(3) يعني ابن العربي المعافري في كتابه سراج المريدين

(4) الأجسام تعود اتفاقا لكن أعراض الأجسام كألوانها وجميع هيئاتها، وأزمنتها هل تعاد أم لا؟ والصحيح أن الأعراض تعاد مع الأجسام؛ فالهيئة التي كان عليها في الدنيا، هي التي يحشر =

نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿٥٦﴾ ومراده ببعضهم الإمام ابن العربي المعافري لأن ذلك منقول في كتابه المسمى **"سراج المريدين"**، إذ قال فيه: لم يرد في إعادة الوقت نص وقد قال تعالى في القرآن ما يدل على أن الوقت لا يعاد، فذكر الآية فقال: في "غيرها" هي غيرية الزمان لا غيرية الجلود، لأن الجلود التي عصت هي التي تعاد بأعيانها إذا عدمت أو تفرقت(1).

وهذا كلام الناظم فاركب مطايا البحث واعرف سيرها أي ابحث عن الأدلة المنقولية والمعقولية واجمع بينهما لئلا تتناقض، إذ الجمع بين الأدلة واجب إذ لا يتناقض القاطعان.

فإذا عرفت هذا، فمعنى قوله تعالى، والله أعلم "جلودا غيرها" يعني بها غيرها في الوقت، وإلا فالجلود الأوائل بأعينها التي عصت هي التي تعاد أبدانها وتأليفها إذا تفرقت وأعيانها إذا عدمت ولهذا استعار الناظم لهذا البحث المطايا وأمرك بمعرفة سيرها لأن من لا يعرف كيف سير دابته ربما عطبته وهو لا يشعر وكذلك من لا يعرف الجمع بين الأدلة ربما ضل وخرج عن الصواب وهو لا يشعر.

قوله فبان... الخ يعني أنه ظهر من حصر الغيرية في الزمان أن الزمان لا يعاد وإلا كان عين الزمان لا غيره والله ﷻ يقول "غيرها".

=

عليها يوم القيامة. وأما الأزمان هل تعاد لتشهد على صاحبها بما صدر منه من خير أو شر طاعة أو معصية بما يترتب عليها من ثواب وعقاب؟ الذين منعوا إعادة الأوقات قالوا: إن الأوقات لها ماض وحاضر ومستقبل ولا يمكن أن تجتمع في آن واحد فأجابهم الآخرون أنها تجتمع بالتدريج كما كانت في الدنيا متفاوتة كذلك تعاد بالتدريج. من درس شيخنا حفظه الله.

(1) الجلود هي هي لكن الأيام غير أيامها لكن هذا غير مسلم "لأن غيرها" معناه غيرية الصورة نقول: هذا الخاتم صنعته قرطا معناه غيرت صورته، فالجلد الذي كان محروقا رد إلى حاله ليذوق العذاب كما كان، إذن الغيرية في الآية غيرية صورة . من درس شيخنا حفظه الله.

ص:

وهكـــذا الحـــساب والمـــيزان ممـــا بـــه قـــد وجـــب الإيمـــان

وتـــوزن الـــصحف بـــلا اشـــكال وقيـــل بـــل أمثلـــة الأعمـــال

ش: يعني أنه مما وجب الإيمان به الحساب والميزان كما جاءت به الشريعة فبالحساب يعلم المقبول من الأعمال من المردود، ويعلم المؤاخذ به من المعاصي من المغفور وعند الميزان يعلم قدر ثواب الأعمال وعقابها.

وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: المراد به العدل، واحتجوا بأن الأعمال أعراض والأعراض لا ثقل لها ولا خفة.

أجاب أهل السنة بأن الموزون صحف الأعمال، وقيل: بل أمثلة يخلقها الله تعالى للأعمال فيخلق للحسنات أمثلة نورانية والسيئات أمثلة ظلمانية، فيبقى الميزان على حقيقته من أن له كفتان ولسان وساقان.

فإن قيل ما حمل عليه أهل السنة الموزون وما حمل عليه المعتزلة الميزان مجاز

فلم رجحتم مجازا على مجاز؟

قلنا: ما حمل عليه أهل السنة أقرب إلى الحقيقة؛ لأنه يبقى معه حقيقة الميزان والثقل والخفة بخلاف مجاز المعتزلة فإنه تبطل معه هذه الحقائق، ولا خفاء أن الحقيقة إذا تعذرت حملت على أقرب المجاز إليها.

واختلف في الميزان هل يختص بالمؤمنين أو يعمهم وغيرهم وعليه فيكون معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ أي نافعا، وقيل: لكل أحد ميزان يخصه، وقيل: لكل أمة ميزان، ولذلك جمع في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ الآية والله أعلم.

ولا ينبغي أن يفهم وزن أعمال العباد على الإحباط والإسقاط، كما يقول الجبائي وابنه أبو هاشم، بل ثقل الموزون يدل على عدم الخلود، إن قلنا إن الوزن عام. وإن قلنا إنه خاص بالمؤمنين فهو دليل على عدم المؤاخذة، وقيل: إن المؤمنين يثقل وزنهم لأن الإيمان لا يعدله شيء والله أعلم.

ص:

والأخـــد للكتـــب بـــه الـــنص أتى والخلـــف للعـــاصي لـــديهم ثبتـــا
هـــل بيمـــين أو شـــمال يعـــطى كتابـــه ومـــن يقـــف مـــا أخطـــا
إذ لـــم يـــرد فيـــه صريـــح يعمـــل عليـــه والـــوارد فيـــه مجمـــل

ش: يعني أن مما يجب الإيمان به الأخذ لكتب الأعمال، كما أتى به النص قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ۝﴾.

واختلف أهل السنة في من ينفذ فيه الوعيد من العصاة: فقيل: يأخذ بيمينه، وقيل: بشماله، وقيل: بل أَمْرٌ موقوف حتى ينفذ فيه الوعيد، وهذا القول قال الشيخ: هو أقرب إلى الصواب وهو معنى قول الناظم: ومن يقف فيه فما أخطأ؛ إذ لم يرد فيه صريح من الشرع يعمل عليه، والوارد في من أخذ كتابه بيمينه غير مبين أنه مختص بالمؤمن الصافي أو المؤمن المخلط، ولذلك اختلفوا هل الأخذ باليمين علامة على عدم المؤاخذة أو على عدم الخلود والله أعلم.

ص:

وكالـــصراط ذي الكلاليـــب ومـــن أنقـــذ منـــه فهـــو بـــالفوز قَمَـــنْ
جـــسر عـــلى مـــتن جهـــنم الـــتي يهـــوي بهـــا مـــن رجلـــه قـــد زلـــت
ومـــــا يقـــــال إنـــــه أرق مـــن شـــعر صـــدقه فهـــو حـــق
وفي صـــحيح مـــسلم مـــا أرشـــدا إليـــه والـــضرير فيـــه أنـــشدا:
(والـــرب لا يعجـــزه إمـــشاؤهم عليـــه إذ لـــم يعـــه إنـــشاؤهم)[1]

(1) البيت من منظومة التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد للضرير وبعده:

تبـــا لقـــوم ألحـــدوا في أمـــره مـــا قـــدروا الإلـــه حـــق قـــدره

=

وللقـــــــرافي هنـــــــا كـــــــلام مـــــن أجلـــه نـــيط بـــه مـــلام

ش: يعني أن مما يجب الإيمان به الصراط[1] ذو الكلاليب جمع كلوب التي تخطف الناس. قوله: ومن أنقذ منه أي من نجا من أهوال الصراط وكلاليبه فهو بالفوز قمن أي حقيق بالفوز أي النجاة.

ثم فسر الصراط بقوله: جسر على متن جهنم، الجسر بالفتح والكسر لغتان ذكرهما النووي وفسر الجسر في الحديث بأنه دحض مزلة بكسر الزاي وفتحها أي مكان تزلق به الأقدام ولا تستقر به، وهذا الجسر هو الصراط الممدود على متن جهنم أعاذنا الله منها طرفه بأرض المحشر وطرفه بالجنة، وليس للخلق طريق إلى الجنة سواه ترده جميع الخلائق الأولون والآخرون، فيمرون عليه، ولا يمر عليه من زلت رجله عن الشريعة في الدنيا، بل بمجرد وقوفه ووضع رجله تزلق به ويهوي في النار، أي يسقط فيها عافانا الله تعالى بمنه وكرمه ولطف بنا في ذلك الهول وغيره بجوده ورحمته.

قوله: وما يقال إنه أرق من شعر إلخ، يعني أنه قد جاء في وصف الصراط أنه أرق من الشعر وأحد من السيف وأن فيه سبع عقبات طول كل عقبة ثلاث آلاف سنة ترد الخلائق كلها الصراط ثم يحبسون عليه للسؤال والحساب، قال الله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ قال الناظم صدق بهذا ولا تكذبه فهو حق؛ إذ في صحيح مسلم ما أرشد إليه[2]، أي يدل عليه وقبله العلماء، وأنشد الضرير منهم في قصيدته:

=

وهذا البيت مضمن في بعض نسخ الإضاءة.

(1) وهو قنطرة تبدأ من المحشر وتنتهي بالجنة وتحتها النار أسفل منها عليها حسك وكلاليب

(2) وهو بلاغ في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الصراط أرق من الشعر وأحد من السيف. ومعلوم أن هذا وإن كان موقوفا على أبي سعيد لا يعرف إلا من جهة الوحي وكل ما لا يعرف إلا من جهة الوحي مما وري عن الصحابة محمول على الرفع إلى النبي ﷺ إلا من خالط أهل الكتاب منهم وأبو سعيد لم يعرف عنه أنه كان يروي عن أهل الكتاب مع أن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا. من درس شيخنا حفظه الله.

"والـــــرب لا يعجـــــزه إمـــــشاؤهم   عليـــــه إذ لـــــم يعيـــــه إنـــــشاؤهم"

وهذا البيت من قصيدة الضرير[1] ليس من نظم الناظم، بل أدخله نظمه على وجه المعونة فمعنى البيت: أن الله تعالى لا يعجزه إمشاء الخلق على الصراط مع دقته وحدته، إذ لم يعجزه إنشاؤهم من العدم، بل هذا أسهل من الإنشاء من العدم. وقصد بهذا البيت الرد على كثير من المعتزلة في إنكارهم الجواز على الصراط بأنه لا يمكن العبور عليه، وما قالوه باطل قطعا بل يمكن عقلا العبور في الهواء بلا شيء كما شاهدنا[2]، فكيف بالصراط الذي أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة؟ غاية أمره أنه خلاف العادة، ولا شك أن أمور القيامة على خلاف العادة، وأن هناك أمورا وأهوالا لم تخطر على بال، فكيف بالعادة؟ والله تعالى المستعان على هذه الأهوال العظام وغيرها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قوله وللقرافي هنا كلام.. إلخ، يعني أن لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي كلاما في الصراط قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غير مقبول وتعلق به نوع من الملامة لأجل كلامه؛ لكونه مخالفا لكلام أهل السنة، وذلك أنه قال: إن كون الصراط أدق من الشعر لم يثبت بدليل قطعي، بل ظاهر الشرع خلافه، وأنه عريض ذو طرق: يمنى

(1) هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الملقب الضرير الكلبي الأديب المتكلم الزاهد الأندلسي أصله من سرقسطة وسكن مراكش وهو من شيوخ القاضي عياض، أخذ عن شيخه الإمام أبي بكر الحضرمي المرادي نزيل آزوكي. له مؤلفات منها: التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد ت 520هـ تنظر ترجمته في مقدمة تحقيق التنبيه والإرشاد تقديم وتحقيق الأساتذة: سمين فوبيع، محمد العمراني، نور الدين شعيبي، 1435هـ -2014م منشورات وزارة الأوقاف للشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ص: 21-28

(2) يفهم من قوله هذا أنه شاهد طيران بعض الأولياء أو بلغ هو المقام. فالطيران مقام من مقامات الأولياء وقد تكلم عليه الفقهاء في باب مواقيت الصلاة.

قال القرافي: " إذا زالت الشمس في بلد من بلاد المشرق وفيها ولي فطار إلى بلد من بلاد المغرب فوجد الشمس كما طلعت فقال بعض العلماء: إنه مخاطب بزوال البلد الذي يوقع فيه الصلاة لأنه صار من أهله. انتهى.

تفضي إلى الجنة[1]، ويسرى إلى النار، وأن عليه كلاليب وحسكا، وذلك كله ينفي كونه أرق من الشعر انتهى بالمعنى.

وهذا الذي قال شهاب الدين القرافي ظاهر[2]، ونحو هذا لمن قبله من الأئمة، فقد قال الشيخ حلولو في شرح جمع الجوامع: إن ولي الدين القرافي ذكر عن البيهقي أنه لم يجد هذه الزيادة- أعني كونه أرق من الشعر وأحد من السيف - في الروايات الصحيحة، وأنها تروى عن بعض الصحابة، فالحاصل أن المقطوع به: الصراط لا شك فيه، وأما كونه أرق من الشعر فإن العقل لا يأباه، ولا دليل من الشرع قطعيا عليه، وخبر الأحاد لا يفيد إلا الظن، والصراط قطعي. هذا معنى كلام القرافي وأنكره الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ص:

والنـــــاس إذ ذاك ذو أحـــــوال ... نـــاج سريعـــا أو مـــع الأهـــوال

ومـــنهم الموبـــق والمخـــردل ... ممـــن بـــه عـــن الجنـــان يعـــدل

للنـــار وهي مـــسكن الكفـــار ... ومـــن أبى عـــن طاعـــة الغفـــار

ش: يعني أن الناس على الصراط على أحوال متباينة منهم: من ينجو سريعا وهم متفاوتون أيضا: ومنهم من يمر كالبرق، ثم كالريح، ثم كأجود الخيل، ثم كأجود

(1) قال القدامسي قلت: ويؤيد هذا ما رواه ابن المبارك عن ابن أبي هلال حيث قال: بلغنا أن الصراط يكون على بعض الناس أرق من الشعر وعلى بعضهم مثل الوادي الواسع، ذات اليمين التي ذكر القرافي والضيق الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ذات الشمال. من شرح القدامسي مصدر سابق.

(2) بعض علماء هذه البلاد شنع على الشارح استظهاره هذا لكلام القرافي وناط به اللوم، لكن لا لوم عليه لأن المسألة لم يرد فيها نص قطعي فالحاصل أن الصراط لا شك فيه وأما كونه أرق من الشعر وأحد من السيف فالعقل لا يا باه ولا نقل قطعيا عليه، وقد ذكر أبو زرعة عن البيهقي أنه لم يجد هذه الزيادة أي أكونه أرق من الشعر وأحد من السيف في الروايات الصحيحة، وقال الزركشي: إن ثبت فغير محمول على ظاهره، وقد تعقب ابن ناجي كلام القرافي، مع أن القرافي تابع في هذا لشيخه عز الدين بن عبد السلام.

الإبل،

ثم غير ذلك، على تفاوتهم في اتباع الشريعة واستقامتهم، ومنهم من ينجو مع ما ناله من بعض هذه الأهوال من خدش الكلاليب والحسك وسفع النار ثم ينجو بفضل الله تعالى. قال بعض العلماء: هذه الكلاليب والحسك هي بحسب شهواتهم في الدنيا. ومنهم الموبق بالباء: المهلك بعمله ممن حرف به عن طريق الجنان إلى النار وهي مسكن الكفار والعصاة الذين أبوا عن طاعة الله تعالى، وهؤلاء أيضا على مراتب كما ورد في الحديث:

منهم من يهوي في النار عندما وضع قدمه

ومنهم من يتخرق به الجسر فينخسف به في النار

ومنهم من تخطفه الزبانية والكلاليب والحسك

ومنهم مخردل، روي في الحديث بالخاء والجيم ومعنى الجيم الشرف على الهلاك ومعنى الخاء المقطع، ثم ينجو، يقال: خردلت اللحم إذا قطعته قطعا ولو لم يكن في الآخرة من الشدائد والأهوال إلا هول الصراط وشدته لكان كافيا، فكيف وفيها ماهو أعظم وأهول؟

قال الشيخ في شرح القصيدة: فتأمل أيها المسكين كيف يكون حالك إذا كلفت في الآخرة المرور على ما هذا صفته، وكيف يكون قلبك وجوارحك إذا رفعت رجلك لتضعه عليه، وشاهدت ارتعاده ورقته وحدته تحت قدمك، ثم شاهدت جهنم وصواعقها وأهوالها وبعد قعرها وعظم زبانيتها ومقامعها تحته، وسمعت بأذنك شهيقها الذي يخلع القلوب ويقطع الأوصال تحتك وفوقك وعن يمينك وعن شمالك، ورأيت بعينيك كيف تفور جهنم بجوانب الصراط، ويصعد لهبها وألسنتها وأعناقها المستطيلة فوقك وفوق الصراط، ورأيت الزالين والزالات والمختطفين بالكلاليب إلى قعر جهنم وكثرة عويلهم أمامك وخلفك، وهم عدد لا حصر لهم، ثم علمت أنهم لم تصبهم تلك المحن العظيمة إلا بسبب ذنوب فعلت أنت مثلها أو أكثر منها، وإنما أنت واحد منهم لا عذر لك به تعتذر، ولا ناصر لك به تنتصر، فتخيل هذا الأمر العظيم الذي لا بد لك منه بفكرة خالصة وذهن حاضر، لعلك تستفيق من سكرتك واستغراق نومك الثقيل الذي غيبك عن ذكر هذه الدواهي

العظام، بالتوبة الصادقة والأعمال الصالحة قبل نزولها، اللهم أيقظنا من سنة الغفلة. فقد طالت، ومل بنفوسنا إلى طاعتك فقد عدلت عن سبيلها ومالت، انتهى.

ص:

وواجب أن ينفذ الوعيد في   بعض العصاة دون ما توقف

وما بنوع واحد يختص   منهم وفي الأنواع جاء النص

لكن ذا العصيان لا يخلد   فيها وذو الكفر بها مؤبد

ش: يعني أنه يجب نفوذ وعيد الله تعالى في بعض العصاة لا جميعهم دون توقف في ذلك ولا تردد. ولا يختص نفوذ الوعيد بنوع خاص من العصاة، بل ينقذ في بعض جميع الأنواع: في طائفة من السراق وغير ذلك من أهل المعاصي، لكن من عوقب من أهل المعاصي بالنار لا يخلد فيها قطعا، بل يخرج منها، ويدخل الجنة، ويخلد فيها[1].

وقد خالفت المعتزلة في الوجهين فقالوا: إن الوعيد يشمل العصاة وأنهم يخلدون في النار وذلك باطل بثبوت عفوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن بعض العصاة وخروج العصاة من النار كما ورد به الشرع

قوله: وذو الكفر... الخ، يعني أنه يجب أن تعتقد أن الكفار مخلدون في النار، وهذا إجماع المسلمين لا شك فيه والله أعلم.

ص:

وكالشفاعة لأزكى مرسل   فاضرع إلى المنان فيها وسل

وقد أتت أنواعها منصوصه   والبعض كالكبرى به مخصوصه

لأنها أظهرت ارتفاعه   إذ وجه الكل له الشفاعه

---

(1) وهذا خلاف بين الأشاعرة و الماتريدية، فالماتريدية يرون أنه لابد أن ينفذ الوعيد في بعض العصاة والأشاعرة لا يرون ذلك بل يرون أن الواجب نفوذ الوعد وأما الوعيد لا يجب نفوذه لأن الكريم إذا أوعد أخلف وإذا وعد وفى، من درس شيخنا حفظه الله

والأنبيـــا تقـــول نفـــسي نفـــسي ســـواه فالفـــصل لـــه كالـــشمس

فينقـــذ الجميـــع مـــن غمـــوم قـــد اعـــترتهم ومـــن همـــوم

وهي وعـــــود ربـــــه يفيهـــــا لـــه فنـــسأل الله الـــدخول فيـــها

ش: ومما يجب الإيمان به واجتمعت عليه أهل السنة شفاعة أفضل مرسل وهو سيدنا ونبينا محمد ﷺ. قال الناظم: فاضرع... إلخ، تضرع إلى المنان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو المتفضل على الخلق بجوده وكرمه ابتداء، قوله: فيها أي أن يدخلك فيها وأن يجعلك من أهلها.

وقد أتت أنواعها... إلخ، يعني أن له ﷺ شفاعات كثيرة كما جاء في الحيث وبعضها مختص به ﷺ لا يشاركه فيها غيره كالشفاعة الكبرى لإراحة الخلق من أهوال المحشر وغمه وكربه؛ لأنها أظهرت أي أبانت ارتفاعه ﷺ على جميع الخلق وكرامته على الله تعالى حين جمع الأولين والآخرين، فطلب من الكل الشفاعة، فكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم أشرف الخلق وسادتهم يقول: نفسي نفسي! ويدفعها إلى غيره حتى وجهوها له ﷺ، لعلمهم أنه المتأهل لها وأنه لا أحد أكرم منه عند الله تعالى، فظهر بذلك شرفه ﷺ على جميع الخلق حتى وجهه جميع الخلق إلى الله تعالى، يحتمون به ويطلبون جاهه ﷺ عند المولى العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليخلصهم من تلك الغموم التي اعترتهم أي أصابتهم من طول الموقف ومن الهموم التي غشيتهم، فينقذهم ﷺ، وهي الوعد الذي وعده الله في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ حيث يحمده فيه جميع الخلق الأولون والآخرون.

وسر بداية الخلق بغيره من الأنبياء إظهارا لشرفه ﷺ؛ إذ لو بدؤوا به ﷺ فشفع لهم، لتوهموا أن جميع الأنبياء كذلك، لكنهم لما بدؤوا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فتأخروا عن ذلك حتى انتهت إليه، وطلب منه الأنبياء ذلك ﷺ، علم الخلق كلهم أنه ﷺ أفضل الخلق عند الله تعالى.

وشفاعاته ﷺ كثيرة منها:

هذه الكبرى وهي مختصة به؛

ومنها شفاعته في عدم دخول النار لمن يستحقها؛

ومنها في إخراج من في النار؛

ومنها في الحساب في تعجيل قوم إلى الجنة؛

ومنها في رفع الدرجات في الجنة؛

ومنها في من مات بأحد الحرمين الشريفين أو مات في طريق الحج؛

ومنها في المصلين عليه ﷺ؛

ومنها غير ذلك، نسأل الله تعالى الدخول فيها كما قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ وأن لا يحرمنا منها. وأنكرتها المعتزلة فجدير لهم الحرمان منها على قاعدتهم الفاسدة من خلود العصاة في النار.

ص:

وحوضه مما به النص ورد　　وفيه خلف هل به الهادي انفرد

وهو الأصح أو لكل مرسل　　حوض من العذب الرحيق السلسل

وكونه بعد الصراط مختلف　　فيه وبعض بالتعدد اعترف

وذود ذي التغيير عنه قد بدا　　ومن يذقه ليس يظمأ أبدا

والله لا يحرمنا من شرب　　منه بجاه المصطفى ذي القرب

ش: ومما وجب الإيمان به حوضه ﷺ كما ورد به النص المستفيض المتواتر. وفي وصفه أنه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأشد رائحة من المسك، وفي عظمه أنه مسيرة شهر أو شهرين أو أعظم من ذلك، على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة. وليس اختلافها في المسافة اختلافا في الحقيقة، وإنما تقريب للأفهام، وكيزانه على عدد نجوم السماء.

وقوله: وفيه خلف... إلخ، يعني أن أهل السنة اختلفوا في الحوض: هل اختص

به النبي ﷺ دون سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ أم لكل نبي حوض ترده أمته، وأرتنهم يتباهون بالواردين لها، وأن النبي ﷺ أكثرهم واردا.[1]

وقيل: لكل نبي حوض إلا صالحا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فضرع ناقته تقوم له مقام الحوض.

قوله وكونه قبل الصراط لحديث الذائدين عنها أو بعد الصراط لقوله ﷺ "لا يظمأ من شرب منه"[2] وأجاب الأولون عن الحديث بأن العصاة إذا شربوا منه قبل الصراط ثم نفذ فيهم الوعيد بدخول النار فإنهم لا يظمأون فيها ولا يعذبون بالعطش، بل قد ورد في الحديث أن الله يميتهم فيها إماتة فلا يحسون فيها بالألم، لطفا من الله تعالى بالمؤمنين: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ وقيل: إن له ﷺ حوضين. أحدهما قبل الصراط، والآخر بعده؛ جمعا بين الأدلة. قال الشيخ في شرح الكبرى وهو التحقيق، والله تعالى أعلم.

قوله: وذود ذي التغيير عنه... الخ، يعني أنه قد ورد أنه يطرد عنها من غير دين الإسلام بالكفر أو عبر السنة بالبدعة أعاذنا الله تعالى من ذلك. قال الإمام أبو عمر بن عبد البر[3]: وكذلك المجاهرون بالفسق المستخفون بالشريعة المعلنون بطمس الحق، فإن هؤلاء كلهم يخاف عليهم أن يكونوا ممن يطرد عن الحوض.

ثم دعا الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أجاب الله تعالى لنا وله ولجميع المسلمين -، بأن لا يحرمنا من الشرب من حوض المصطفى ﷺ بحرمة المصطفى ذي القرب صاحب

---

(1) إن صح حديث الترمذي المشار إليه – "أن رسول الله ﷺ قال: "إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردا وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردا" - فهو دال على تعدد الحياض، من درس شيخنا حفظه الله.

(2) ولفظه في صحيح البخاري: حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا" رقم الحديث: 6579

(3) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال والفقه لهم مؤلفات كثيرة نافعة منها: "الاستذكار على الموطأ" "والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" والاستيعاب" ت 463هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج18،، مصدر سابق، ص: 153.

المنزل القريب من الله تعالى قرب تشريف وإكرام لا قرب مسافة وحدود. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ص:

والجنـــــــة الـــــــتي أعـــــــد الله	حـــــق لمـــــــن إنعـــــامه أولاه
والمؤمنـــــون بالأمـــــاني أســـــعدوا	فيهـــا وفي أوج التهـــاني أصعـــــدوا
وكيـــف لا وقـــد تنـــاء كـــل ســـو	عـــنهم ونـــالوا مـــا اشـــتهته الأنفـــس
وأتحفـــوا مـــــن العطايـــا والبُـــشر	مـــا لـــم يكـــن يخطـــر في قلـــب بـــشر
ومـــن رضى الـــرحمن مـــا قـــرت بـــه	أعيـــنهم مـــع أمـــنهم مـــن ســـلبه
وزادهـــم مـــــن بعـــــد هـــذا كلـــه	رؤيـــــتهم مـــــن عمهـــــم بفـــــضله
فنـــــسأل الكـــــريم أن يجعلنـــــا	مـــــنهم وأن ييـــــسر النفـــــع لنـــــا

ش: ومما وجب الإيمان به كما جاءت به الشريعة: الجنة دار الكرامة والنار دار الإهانة، وأنهما موجودتان. واكتفى الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الجنة عن ذكر النار؛ إذ هي ضدها وذلك كثير الاستغناء بذكر أحد الضدين عن الآخر.

وإنما ذكر الناظم ذلك ردا لمذهب المعتزلة في قولهم: إنهما ما خلقا؛ إذ لا فائدة في خلقهما قبل الآخرة؛ إذ الثواب والعقاب فيهما، وحملوا الجنة في قصة آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على بستان من بساتين الأرض.

قال ابن التلمساني: ونحوه لإمام الحرمين، وهذا تلاعب بالدين وخروج عن إجماع المسلمين، وما قالوه لا فائدة له، فإن أفعال الله تعالى لا تحمل على الأغراض عند أهل الحق، بل هو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. ثم إنا لو تنزلنا معهم على أصلهم لم يخل خلقهما من فائدة، ولو لم يكن في خلقهما إلا فائدة دواعي العمل والكف لكفى فكيف وفيهما غير ذلك؟ ومما يجب اعتقاده والإيمان به دوامهما.

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأدلة على وجودها بقوله، أعد الله، يعني قوله في

الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ وفي النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ وقال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ وأخبر ﷺ بدخوله الجنة ورأى فيها ما أخبر به ﷺ وقال في النار "اشتكت النار إلى ربها فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف"(1) وقد تواتر الأحاديث وآيات القرآن بذلك فوجب الإيمان به.

وأما كيفية التنعيم في دار الإكرام فما لا يحيط به ويقصر الوصف، كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المؤمنين أكرموا فيها بجميع ما يتمنونه، وأصعدوا فيها إلى غاية الاستلذاذ، وأوج الشيء في اللغة أعلاه، أي أصعدوا فيها إلى غاية مناهم: مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر(2)، كما جاء الحديث موافقا لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ وقد تباعد عنهم كل سوء في الجنة ونالوا فيها كل ما اشتهته نفوسهم، وأكرموا فوق ذلك من العطايا، جمع عطية، والبشر، بضم الباء وفتح الشين جمع بشرى(3)، بما لم يكن يخطر، أي يقع، في قلب بشر، أي إنسان. ثم إنهم أكرموا بأمنهم من سلب ذلك الإكرام عنهم، بل يتزايد أبدا.

ثم زادهم الله تعالى بهذا الإكرام كله كرامة هي أفضل من ذلك، وهي رؤيته تعالى من غير تكييف ولا تشبيه، وهي الزيادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فنسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا ممن تفضل عليه بذلك الفضل العظيم وأن ييسر لنا أي يهون علينا أسباب النفع لذلك ولأسباب النجاة من جميع المهالك والأهوال بمنه وكرمه. آمين.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3260

(2) أخرجه البخاري (4779)، ومسلم (2824).

(3) جمع بشرى والبشرى والبشارة الإخبار بما يسر، قال ابن مرزوق في شرح البردة: بشرى فعلى مصدر بشرته بالخير بفتح الشين مخففة ومثله المشددة ولا يستعمل في غير الخير إلا مقيدا انتهى من الذخائر الكنزية على همزية البصيري للعلامة محد بن آب بن حميد بن عثمان المزمري التواتي صاحب منظومة عبيد ربه. ت 1160هـ، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

خاتمة[1] وأسأل الله حسنها في مسائل نافعة

ص:

وواجـــب إيماننـــا بالقـــدر خـــير وضـــده كمـــا في الخـــبر

ش: يعني أنه يجب الإيمان بالقدر، يعني قدر الله تعالى، يعني علمه بالأشياء قبل وقوعها فوقعت على وفق علمه تعالى.

قال أبو عبد الله الأبي: القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره، وفي عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها. وقيل: هي عبارة عن إرادته تعالى من غير مزيد عليه. وهذا بمعنى الأول وليس بخلاف

وإثبات القدر هو عقيدة أهل الإسلام أجمع إلى أن ظهر في آخر زمن الصحابة رضي الله عنهم طائفة قالوا: إن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها- تعالى الله عن قولهم- وذكر القاضي عياض أن القدرية بهذا المعنى لا خلاف في كفرهم وإنما الخلاف في القدرية بمعنى الاعتزال.

قال الشيخ حلولو. و ظاهر كلام المازري"[2] الخلاف في الجميع.

قوله: خير وضده يعني أنه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، كما صرح به في الحديث، ثم هو على معنيين يحتملهما: أحدهما الطاعة والمعصية، والثاني المضار والمنافع، ففيه تجوز والمراد خير متعلق لقدر والله أعلم.

---

(1) الخاتمة: خاتمة الكتاب تشتمل على فوائد مما يجب اعتقاده أو يتأكد، وأسأل الله حسنها هي خاتمة الحياة والضمير ضمير استخدام. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) هو الإمام العلامة البحر المتفنن أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي مصنف كتاب المعلم بفوائد شرح مسلم وله شرح على التلقين لعبد الوهاب المالكي في عشرة أسفار وهو من أنفس الكتب توفي سنة 536 سير أعلام النبلاء لذهبي ج، 20 مصدر سابق، ص: 104

ص:

فــذو الـسـعادة الـسـعيد في الأزل وضــده الـشقي حيثمـا نـزل

وكلهــم ميــسر لمــا خلــق لــه فــداج أمــره ومؤتلــق

والكـل لا يخـرج عـن حكـم القـضا ولـيس مـا أظلـم مثـل مـا أضـا

ش: يعني أن الإسعاد والإشقاء أزليان لا يتبدلان ولا يتغيران بالنسبة إلى علمه تعالى، وأما بالنسبة إلى ما تكتبه الملائكة في الصحف فإنه يتبدل ويتغير ويدخله المحو والإثبات، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾ قال الإمام في الإرشاد: وعلى هذا حمل المفسرون الآية، فعلى هذا فأم الكتاب علمه تعالى، وقيل: المراد به اللوح المحفوظ فما كتب فيه لا يتبدل ولا يتغير، وما كتب في غيره من صحف يدخله المحو والتغيير.

والحاصل أن مراد الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن السعيد من سعد في الأزل[1] والشقي كذلك[2] يعني سبق علمه بذلك. هذا هو مذهب أهل السنة، وهذا مفرع على اعتقاد الحنفية والماتريدية أن الإسعاد والإشقاء قديمان في الأزل دون السعادة والشقاوة، وأنهما حادثان قطعا؛ لأن الأول وصف الله تعالى، والثاني وصف العبد، كما يقولون في التخليق والترزيق، فالأول عندهم قديم لا يدخله التبدل والتغير دون الثاني.

ومذهب الأشاعرة أن صفات الأفعال عبارة عن صدور الأفعال وهي حادثة.

قوله: وكلهم.. إلخ، يعني أن السعيد ميسر لعمل أهل السعادة والشقي ميسر لعمل أهل الشقاوة[3] ولذلك قال الناظم: فداج أمره أي فمظلم عمله بالكفر والمعاصي، ومؤتلق أي مضيء عمله بالإيمان والطاعات.

---

(1) ولو عمل بأعمال الشقاء لابد أن يختم له بالسعادة

(2) ولو عمل بأعمال السعداء لا بد أن يختم له بأعمال الشقاء إلا أن الإنقلاب من الشر إلى الخير كثير والحمد لله والانقلاب من الخير إلى الشر قليل. من درس شيخنا حفظه الله.

(3) وهذا إشارة للحديث "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"

قوله: والكل لا يخرج عن حكم القضاء يعني أن جميع الكفر والمعاصي والإيمان والطاعات كل ذلك بقضائه وقدره تعالى.

هذا عقيدة أهل السنة وأجمعوا عليها خلافا للمعتزلة في أن الكفر والمعاصي وقعت بغير قضائه ثم اختلفوا في معنى القضاء فمنهم من فسره بإرادته ومنهم من صرفه إلى فعل المقدور.

وخلقه قوله: وليس ما أظلم مثل ما أضاء يعني أنه لا يتساوى ظلمات الكفر والمعاصي ولا نور الإيمان والطاعات، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠﴾ وغيره من الآيات.

ص:

وما إلى الأعمال ظاهرا رجع فذاك إسلام به العبد انتفع

ومرجع الإيمان للإذعان بالقلب والتصديق بالجنان

ونطق ذي القدرة شرط فيه على اختلاف كتبهم تحويه

ش: يعني أن الإسلام تفسيره راجع إلى أعمال الطاعات الظاهرة مثل: الصلاة والصوم والجهاد؛ فهذا الإسلام الذي انتفع به العبد، وأن تفسير الإيمان راجع إلى الإذعان والتصديق بالقلب أي القبول والتصديق بما جاء به النبي ﷺ.

ثم اختلف أهل السنة: هل نطق ذي القدرة بالشهادتين شرط في الإيمان فينتفي الإيمان بانتفائه؟ أو ليس بشرط فيكون مؤمنا ويكون عاصيا بترك النطق؟ فيه اختلاف كثير تحويه، أي تجمعه، كتب الأئمة، وفيه كلام طويل.

وهذا الذي ذكره الناظم هو الذي عليه أهل السنة، وعليه يدل حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن لا يعتبر الإسلام إلا أن يكون مع التصديق، وإلا كان نفاقا كما قال تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الآية.

ص:

والخلف في النقصان والزياده مقرر عند ذوي الإفاده

وقيل للأعمال يرجعان فينتفي الخلاف في المعاني

ش: يعني أن الخلاف مقرر أي ثابت في زيادة الإيمان ونقصانه عند ذوي الإفادة من أهل السنة. فمذهب الجمهور، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة، أنه يزيد وينقص.

وذهبت جماعة من أهل السنة والمعتزلة إلى أنه لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه مهما قبل ذلك صار شكا.

وذهب بعضهم إلى الزيادة دون النقص؛ لورود الزيادة في الشرع دون النقص. وقيل: إيمان الأنبياء والملائكة يزيد ولا ينقص، وإيمان غيرهم يزيد وينقص.

وقيل: إن زيادة الإيمان ونقصانه يرجع إلى زيادة الطاعة ونقصانها.

قال الناظم: وعلى هذا، فلا خلاف في المعنى، وإنما الخلاف في اللفظ أعني أن فعل الطاعة هل يسمى إيمانا أم لا؟ فمن سماه إيمانا قال: يزيد وينقص، ومن لم يسمه إيمانا قال: لا يزيد ولا ينقص.

والصحيح أن نفس الإيمان يزيد باعتبار كثرة الأدلة والوضوح وكثرة المتعلقات والدوام والرسوخ، قاله غير واحد من الأئمة[1].

ص:

واللـــوح والقلـــم والكـــرسي والعـــرش ذو الجـــسامة القـــدسي

ش: يعني أنه مما يجب الإيمان به من دين الأئمة ضرورة: اللوح المحفوظ[2] والقلم[3] والكرسي[4] والعرش العظيم[5]، وهو معنى الجسامة في كلام الناظم، القدسي أي المطهر من الإدناس والمعاصي.

---

(1) ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فاطمئنان القلب درجة زائدة على الإيمان فهذا دليل على أنه يزيد بزيادة المؤمَن به. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) كتب الله فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة نجهل حقيقته

(3) أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: ماهو كائن إلى يوم القيامة ونجهل حقيقته.

(4) كون من الأكوان وخلق من خلق الله نجهل حقيقته

(5) وهو أعظم مخلوق. جميع ما خلق الله في جوفه كحلقة في فلاة. من درس شيخنا حفظه الله.

وهما جسمان عظيمان فوق سبع سماوات. ومن عظمهما ما ورد في الحديث أن السماوات السبع والأرضين وما فيهما في الكرسي كدراهم سبعة في فلاة، وأنها مع الكرسي بالنسبة للعرش كذلك، سبحان مالك هذا الملك.

وما جاء في وصف اللوح والقلم كذلك، كل ذلك واجب الإيمان به، كما ورد والله أعلم.

ص:

والكاتبون واجب إيماننا بكلهم فرض بهم إيقاننا

وأن للعبد كراما حفظه لكل ما أخفاه أو ما لفظه

ويجعل الله لهم علامه على الضمير فاسأل السلامه

وقيل لا يكتب ما في القلب والكل لا يفوت علم الرب

وليس يحتاج إلى استظهار بهم تعالى عالم الأسرار

ش: هذا مما يجب الإيمان به[1] وهو التصديق بالملائكة الحفظة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝﴾ ولقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾، ولقوله ﷺ "يتعاقبون فيكم ملائكة"[2] الحديث، وإجماع المسلمين على ذلك، وهو من دين الأئمة ضرورة، فيكتبون جميع الأعمال الخفية[3] والظاهرة وجميع ما يلفظ به من خير وشر ومباح، ويجعل الله تعالى علامة على ما في الضمائر، وقيل: يخلق الله تعالى لهم علما ضروريا، وقيل: لا يكتبون ما في القلب؛ لأنه تعالى هو المطلع على ذلك كما

(1) أن على كل مكلف كاتبين يكتبان كل ما صدر منه من قول وفعل كاتب في اليمين يكتب الحسنات وكاتب في الشمال يكتب السيئات وهذا لابد منه حتى يموت الإنسان فإذا مات الإنسان طويت الصحف وجلس الكاتبان عند قبره. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) أخرجه البخاري (7486) واللفظ له، ومسلم (632)

(3) وهذا حجة على العبد والله تعالى محيط علمه بما كتب وبما لم يكتب.

جاء "أنتم حفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه"[1] الحديث، وجميع ما تكتبه الحفظة وما يعمله العباد لا يفوت علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل علمه أحاط بجميع المعلومات على الجملة والتفصيل، لا يسقط شيء عن علمه تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وليس يحتاج سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى معونة الحفظة الكاتبين بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالم الأسرار يعلم السر وما يخفى.

ص:

وما له سبحانه من أسما قديمة لها المقام الأسمى

وهي لنا تدرى بالاستقراء من طرق التوقيف لا الآراء

ش: يعني أن جميع أسمائه تعالى قديمة لها الكمال المرتفع عن الحدوث والتغيير، وهو معنى قوله: لها المقام الأسمى. وظاهر كلامه يوافق مذهب الحنفية[2] في قدم جميع الأسماء سواء دل على صفة أو فعل كالقادر والخالق، وهو خلاف مذهب الأشعرية في نفي القدم عن اسم دل على فعل.

قوله: وهي لنا... إلخ، أي أن أسماءه تعالى تعرف لنا بالاستقراء من الشرع الكتاب والسنة والإجماع، فتعلمها من طرف التوقيف أي تعليم الشرع، لا الآراء أي لا من طرق القياس، وهذا هو الصحيح عند الأشعرية.

وذهبت طائفة إلى جواز إطلاق كل اسم دال على الكمال من غير إيهام مثل: الحنان

والمنان. وأما إطلاق ما يوهم فلا خلاف في منعه مثل: فقيه وعاقل ولبيب. والصحيح امتناع إطلاق اسم لم يرد به الشرع، وإن كان فيه كمال؛ لعدم ورود الشرع به، وإن ورد إطلاقه في الشرع فهل يشترط وروده قطعا كالتواتر أو يكفي فيه الظن كالآحاد؟

فيه خلاف و الصحيح الثاني.

---

(1) رواه ابن الجوزي في الموضوعات.

(2) المراد بالحنفية هنا الماتريدية.

ص:

ويطلـــق الـــشيء عـــلى الموجـــود لا غـــيره في المـــذهب المحمـــود

ش: يعني أنه يطلق الشيء على الموجود دون المعدوم، فالمعدوم ليس بشيء ولا ذات وهو مذهب الأشعرية وبعض المعتزلة. وعلى هذا القول فوجود الشيء ذاته وعينه لا زائد عليه وعلى القول الآخر فالوجود زائد على الذات. ومنهم من جعله زائدا في المركبات دون البسائط، وعلى هذا القول فالمعدوم شيء[1].

وهذا الخلاف إنما هو في المعدوم الممكن، وأما المعدوم الممتنع فحكى الشهرستاني[2] الاتفاق على أنه ليس بشيء. وهذه المسألة مما ينفع علمه ولا يضر جهله كما قال السبكي.

ص:

ومالـــك وأهـــل الاجتهـــاد كـــل إلى نهـــج الـــصواب هـــاد

كالـــشافعي وأبي حنيفـــه وأحمـــد ذي الرتبـــة المنيفـــه

وكلهـــم عـــلى هـــدى مـــن ربهـــم وفرقـــة الجنيـــد دن بحـــبهم

فـــإنهم طريقـــه مرضـــيه قويمـــة لأهلهـــا مزيـــه

ش: يعني أن المسلمين أجمعوا على الاقتداء بهذه الأئمة أرباب المذاهب وأئمة الأمصار وهم:

---

(1) ومعنى الشيء ومدلوله هو معنى الوجود ومدلوله فهما متساويان صدقا فكل شيء موجود وكل موجود شيء، والمعدوم مطلقا ممكنا كان أو ممتنعا ليس بشيء ولا ثابت في الخارج لأن الوجود نفس الحقيقة فرفعه رفعها ولا واسطة بين الوجود والعدم وهذا الحكم ثابت عندنا بالضرورة فإنها قاضية بذلك إذ لا يعقل من الثبوت إلا الوجود خارجا أو ذهنا ولا من العدم إلا النفي. انتهى من شرح عبد السلام بن إبراهيم اللقاني على جوهرة التوحيد لوالده، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط أبكر بن عبد ض الملقب بلخديم.نسخها عام 1208هـ

(2) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤلف كتاب الملل والنحل ت 548.

- إمام دار هجرة رسول الله ﷺ، أبو عبد الله مالك بن أنس[1].
- ومحمد بن إدريس الشافعي،
- والنعمان بن ثابت أبو حنيفة
- وسفيان الثوري: الكوفيان
- وأحمد بن حنبل البغدادي،
- وإسحاق بن راهويه
- والأوزاعي بالشام،
- والليث بن سعد بمصر

ثم نشأ بعد هؤلاء:

- أبو ثور
- وداود بن علي الظاهري،
- ومحمد بن جرير الطبري فهؤلاء أرباب المذهب لأهل الإسلام.

ثم انقطعت هذه المذاهب إلا مذاهب الأئمة الأربعة، اليوم. فكل هؤلاء الأئمة على حق وصواب وهدى لا على ضلالة وبدعة؛ لأن اختلافهم في الفروع الظنية، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر.

و هذا معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل إلى نهج الصواب هاد، أي كلهم يهدي إلى

(1) وقد وقفت على ورقة بخط العلامة سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي فيها ما نصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما،

نظم كاتب الحروف عبد ربه سبحانه عبد الله بن إبراهيم بن الإمام العلوي وفاة الإمام مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحشره في زمرته فقال:

وفاة الإمام مالك "فاز مالك" فعمره إذا=86 وميلاده في النقل "هاديكمو بدا"

عليه سلام الله والملإ الرضى	كما ذب عن قول النبي وسما غدا
إلهي بيمن ذا الإمام وقدره	لديك وتابعيه في منهج الهدى
أريد خلاصا والفرار إليكم	إلهي إلهي يا إلهي من الردى
إلهي لعبد حائر متردد	يسوق أماما للحوائج سيدا.

طريق الحق والصواب. وهذا مما لا نزاع فيه، إلا داود بن علي الظاهري فإنهم اختلفوا: هل يعد من أهل الاجتهاد أم من العامة[1] والصحيح عدّه من أهل الاجتهاد، خلافا لإمام الحرمين وابن العربي، قوله: وفرقة الجنيد دن بحبهم، أي وطريقة أبي القاسم رضي الله عنه ونفعنا به وأصحابه، وهم المراد بالفرقة، اعتقد حبهم وأنهم جامعون بين الشريعة والحقيقة، فاصطلاحهم أن ما يتعلق بأفعال الجوارح من العادات والمعاملات يسمى الشريعة، وما يتعلق بإصلاح القلوب وتطهيرها من الأوصاف الذميمة كالكبر والحسد والحقد والعجب واتصافها بالأخلاق الحميدة من التواضع والصبر والحلم وغير ذلك يسمى حقيقة؛ وهذا اصطلاحهم، نفعنا الله بهم ولكل قوم اصطلاح، فإن هؤلاء القوم طريقتهم مرضية مقبولة.

وقوله: قويمة أي مستقيمة لا اعوجاج فيها ولا عدول عن الحق فيها بل أهلها هم السادة ولهم المزية أي الفضيلة على من سواهم، نفعنا الله تعالى ببركاتهم.

وخص الجنيد بالذكر لأنه كان يقال إنه سيد الطريقة وأشدهم اجتهادا، وروي أنه كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة، ويسبح أربعين ألف تسبيحة.

ما ذكر في هذه الأبيات ليست من مسائل الاعتقاد. وإن كان ظاهر كلام السبكي في جمع الجوامع أنها منها، وإنما ذكروها صيانة لاعتقاد العوام؛ لئلا يعتقدوا تضليل من خالف متبوعهم، كما هو دأب العامة والجهلة المتعصبين لمتبوعهم، فأخبر الناظم أن جميعهم على الحق والهدى وأن اختلافهم في الفروع لا يوجب قدحا فيهم؛ لأن كل واحد منهم مأجور قاصدا ما به الصواب وما هو الحق عنده والراجح لديه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

(1) وهو اصطلاح أصولي يطلق على من لم يبلغ مرتبة الاجتهاد المطلق

ص:

وجاحـــد المعلـــوم بالـــضروره جـــاء بكفـــر وانـــتحى غـــروره

وقتلـــه للكفـــر لا للحـــد وذلـــك الجـــزاء في المرتـــد

كـــذا مـــن اســـتحل نحـــو الخمـــر ممـــا امتناعـــه شـــهير الأمـــر

ش: يعني أن جاحد المجمع عليه ينقسم إلى معلوم بالضرورة وغيره والثاني ينقسم إلى مشهور خفي. وكل واحد من هذين ينقسم إلى منصوص وغيره. هذا تحصيل ما للأصوليين من أقسامه.

فأخبر الناظم رحمه الله أن قسمين من هذه الأقسام جاحدهما كافر

- الأول منهما وهو جاحد المجمع عليه المعلوم بالضرورة، قال السبكي في جمع الجوامع: كافر قطعا أي بلا خلاف وفي مختصر ابن الحاجب ما يوهم الخلاف. وذكر الشيخ حلولو عن المازري في شرح التلقين ما يوافق هذا ولفظه: أما العلوم الفقهية: فأما القطعي منها كالأركان التي بني الإسلام عليها وهي الصلوات وأخواتها فالمخالف كافر إن كذب من جاء بها عن الله تعالى؛ لأنه إنكار لنبوته ﷺ، والمنكر لها كافر، وإن صدق من جاء بها لكن نازع في وجوبها فقد أنكر المعلوم وباهت في ذلك وهو آثم كالحال في منع الزكاة في خلافة الصديق رضي الله عنه، وما سوى القطعي من الفقه: الكفر والإثم ساقطان فيه. هذا مذهب أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين. انتهى باختصار. قال الناظم رحمه الله: جاء بكفر ظاهره أي قطعا من غير خلاف، ويدل عليه قوله: وانتحى أي قصد غروره وهلاك نفسه في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بخلود العذاب، ولذا قال: وقتله للكفر لا للحد؛ لأنه مكذب للشريعة ولأنه مرتد، والقتل جزاء الارتداد لا حدها؛ ولذلك كانت الحدود كفارة إلا حد الردة فإنها لا تكفر عنه الردة بالإجماع.

- والثاني منهما جاحد المجمع عليه المشهور المنصوص، هو الذي أشار إليه الناظم بقوله: كذا من استحل نحو الخمر والميتة والخنزير مما هو مشهور تحريمه بين الأئمة ونص عليه الشرع من الكتاب والسنة، فجاحد هذا كافر على الأصح كما قال السبكي.

ومفهوم كلام الناظم أن غير هذين القسمين جاحده غير كافر، وهو من أنكر الإجماع المشهور غير المنصوص ومن أنكر الإجماع الخفي منصوصا وغير منصوص وهو كذلك، على ما جزم به في جمع الجوامع، لكنه تردد في المشهور غير المنصوص. ويحتمل أن يكون هذا القسم جاحده كافرا عند الناظم، فيكون منكر الأقسام الثلاثة كافرا بالمعلوم بالضرورة والمشهور بقسميه منصوصا وغيره. ولا يكفر منكر الإجماع الخفي بقسميه الذي يختص بنقله العلماء، وهذا هو الظاهر لتمثيله بمن استحل الخمر وفي تكفيره خلاف، والله أعلم.

ص:

والنص إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا واقطع عن الممتنع الأطماعا

ش: يعني أن ما صح من الكتاب والسنة مما ظاهره يوهم ما لا يليق بمولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتشبيهه بالمخلوقات من جارحة أو جسمية أو انتقال كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾، وكقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٤﴾ و﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وكحديث الصحيحين في النزول والمجيء، يجب علينا أن نؤمن به ونحوله، وهو معنى قول الناظم: فاصرفه أي حوله عن ظاهره المستحيل بالعقل، بالإجماع؛ إذ الشرع لا يأتي بما يكذبه العقل، ولا يخبر بما يحيله العقل؛ إذ العقل أصل للنقل، فلو كذب العقل لكذب النقل، وهو محال.

لكن في إطلاق الناظم النص على الموهم تجوّز؛ إذا النص عند الأصوليين هو الذي يفيد معنى لا يحتمل غيره، وعلى هذا لا يرد في الشرع نقل نص في المستحيل، فإن ورد بذلك خبر واحد قطعنا بكذب ناقله ولا يرد متواترا، وإلا تعارض قاطعان، وهو محال قطعا، فمراد الناظم بالنص: الظاهر، أو النص العام الشامل للنص والظاهر، وهو اصطلاح الفقهاء.

قوله: واقطع عن الممتنع... إلخ، أي اقطع أطماع السامعين له من ظاهره المستحيل وأنه غير مراد قطعا، بل مراد الله تعالى ورسوله ﷺ غير ظاهره المستحيل.

ثم اختلف أئمتنا رضي الله عنهم: هل يبحث عن المراد أم يفوض الأمر إلى الله تعالى؟ وإلى ذلك أشار بقوله:

ص:

وما له من ذاك تأويل فقط ... تعين الحمل عليه وانضبط
كمثل وهو معكم فأوّل ... بالعلم والرعي ولا تطول
إذ لا تصح ها هنا المصاحبة ... بالذات قطعا فاعرف المناسبة
وما له محامل الرأي اختلف ... فيه وبالتفويض قد قال السلف
من بعد تنزيه وهذا أسلم ... والله بالمراد منه أعلم
لذاك قال مالك إذ سئلا ... في الاستواء: الكيف منه جهلا
وصار للتأويل قوم عينوا ... مما يليق راجحا وبينوا
إذ فسروا الوجه بذات واليدا ... بقدرة وذا الإمام أيدا
وقوله سبحانه من في السما ... معناه بالأمر وسلطان سما
وقس على هذا جميع ما اشتبه ... في الذكر والحديث فادر المرتبه

ش: يعني أنك إذا صرفت ظاهر ما أوهم من كتاب وسنة عن ظاهره المستحيل قطعا، وأنه غير مراد الله تعالى ورسوله، ثم بعد الصرف إن لم يكن له إلا تأويل واحد فقط تعين حمله عليه واتضح مراد الله تعالى ورسوله، وهو معنى قول الناظم: وانضبط أي انحصر المراد في ذلك. ثم مثله الناظم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي بالعلم[1] والحفظ لا بالذات، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

(1) لأن المعية هنا توهم المصاحبة والمصاحبة تقتضي التجسيم والله تعالى ليس كمثله شيء وهذه الآية حكي الإجماع على تأويلها بالعلم أي معية علم لا معية ذات. وهذه المسألة وقع فيها خوض في هذا البلد سنة 1317هـ. وفي المغرب في القرن الثاني عشر بين أحمد بن مبارك اللمطي وخصومه، وفي الجامع الأزهري في القرن العاشر. من درس شيخنا حفظه الله.

رَابِعُهُمْ﴾.

وان كان الظاهر له تاويلات أكثر من واحد كلها صحيحة، فذكر الناظم أن رأي العلماء اختلف فيه: هل يعين تأويلا أم يفوض الأمر إلى الله تعالى في تعين مراده من المحامل فنسب الناظم التفويض لمذهب السلف وهم الصحابة والتابعون[1] ومن بعدهم بعد التنزيه عن ظاهره المستحيل وقالوا: الله أعلم بمراده من هذه المحامل. وهذا المذهب أسلم كما قال الناظم، إذ تعيين مراد الله تعالى من هذه الوجوه الجائزة بغير دليل بدعة؛ لأجل ذلك لما سئل الإمام مالك ﷺ عن الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة.

وذهب قوم من السلف وهو مذهب إمام الحرمين إلى تعيين محمل صحيح فيحمل عليه رفعا للبس[2] ودفعا للتشغيب، ففسروا الوجه بالذات واليد بالقدرة وقوله سبحانه: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من في السماء أمره وسلطانه.

وقوله: وقس على هذا جميع... إلخ.

وقوله: في الذكر أي القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ و﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وغير ذلك مما هو كثير.

وقوله: والحديث نحو قوله: " ينزل ربنا" وقوله في حديث الشفاعة "فيأتيهم

---

(1) السلف هم أهل القرون الثلاثة وقيل: السلف أهل القرون الخمسة، هؤلاء قال أكثرهم بالتفويض و التفويض: أن يفوض علم ذلك إلى الله تعالى من غير تفسير ولا تأويل لكن هذا بعد تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهذا في الحقيقة تاويل لكنه تاويل جملي وهو مرادف للتفويض وهو: أن يصرف المعنى الظاهر الذي لا يليق ويوكل أمره إلى الله ولا يفسر بمعنى معين، وهذا أسلم لأنك إذا أولت بمعنى مثلا وإن كان لائقا بالله تعالى في هذا المتشابه لكنه قد يكون غير مراد الله تعالى وهذا فيه حرج فالتفويض أسلم. من درس شيخنا حفظه الله.

(2) جل الخلف لهم ما بعد القرون الثلاثة أو الخمسة صاروا للتأويل أي تعيين المراد على معنى لائق لله تعالى جعلوه مجازا راجحا كما في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ ونحوه؛ ففسروا الوجه بالذات واليد بالقدرة والاستواء بالاستلاء. قال:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

من درس شيخنا حفظه الله.

في صورته"[1] وقوله: "إن الله تعالى يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع"[2] الحديث وقوله في حديث جهنم "فيضع فيها رجله"[3] وغير ذلك مما هو كثير.

وترك الناظم مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري أنها صفات سمعية يتصف بها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تعلم حقيقتها زائدة على صفاته ورد بها الشرع، ولذلك تسمى صفات سمعية أي ثبتت بالسمع من الشرع لا بالعقل. ومثل هذا الذي اقتصر عليه الناظم للشيخ في الكبرى، وذهب في الوسطى إلى أن الأقوال في المسألة ثلاثة للسلف والإمام والشيخ. والله أعلم.

ص:

والذنب مقسوم إلى الكبيره كالقذف والقتل وللصغيره

وهي بالاجتناب للكبائر مغفورة من عالم السرائر

ففي الكتاب قيل إن تجتنبوا والعفو منه يرتجيه المذنب

والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر الدون إذا شا فانتبه

ش: يعني أن الذنب ينقسم إلى الكبائر والصغائر، فالكبائر[4] كالقذف والقتل

---

(1) أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758)

(2) أخرجه البخاري (7451)، ومسلم (2786).

(3) أخرجه البخاري (4850)، ومسلم (2846)

(4) اختلف في حد الكبيرة فقيل:

- ما توعد الله به فاعله.
- أو ما يلزم فيه حد.
- أو ما اشتد قبحه.
- أو ما يدل على أن فاعله غير مكترث بدينه.
- أو الكبائر أخفاها الله تعالى في الصغائر ليجتنب الكل، كما أخفى ليلة القدر في الليالي وكما أخفى الاسم الأعظم في الأسماء وكما أخفى العبد الصالح في عبيده، هذا قول وقيل: . لا صغيرة لأن كله معصية لله تعالى و إذا عصيت الله تعالى لا تكون هناك صغيرة. من درس شيخنا =

والزنا والربا، وفي تعريفها وعددها اختلاف بين العلماء، والصغائر كالقبلة واللمس والنظرة. فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر بنص التنزيل كما قال الناظم: ففي الكتاب قيل، خلاف المخالف في تقسيم الذنوب إلى الكبائر والصغائر ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الآية، وما ذكره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مذهب جمهور العلماء.

قوله: والعفو منه يرتجيه المذنب، يعني أن المذنب يرجو ويطمع في عفو الله تعالى عن ذنوبه، ولولا رجاء رحمة الله تعالى لهلك الخلق كيف وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ وحكايات الراجين في عفو الله تعالى وعلوه تعالى عنهم بذلك مشهورة كثيرة.

قوله: والله لا يغفر أن يشرك به، وهذا كما قال تعالى، إجماع المسلمين أنه لا يغفر لمن مات على الشرك والعياذ بالله تعالى(1).

قوله: ويغفر الدون إذا شاء: هو مذهب أهل السنة دون المعتزلة. قوله: فانتبه فتيقظ لذلك.

= حفظه الله.

وفي أجوبة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم لعبد الله بن الحاج حمى الله ما نصه: أما سؤالك عن قول السبكي في حد الكبيرة: كل جريمة توذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين ورقة في الديانة ما الفرق بين اللفظتين؟ فجوابه والله تعالى أعلم: ما قاله العبادي في الآيات البينات على المحلى: الظاهر أنهما متلازمان عادة ثم قال شيخه الشهاب العلامة: الاكتراث: الاهتمام والاعتناء والديانة: العبادة ... من الأوصاف القلبية. انتهى بخطه

(1) وإن كان جائزا عقلا أن يغفره لكنه حكم بأنه لا يغفره: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٥﴾﴾

ص:

وجاءنـــا عـــن مـــانح العطايـــا تكفـــير حـــج البيـــت للخطايـــا

كـــذلك العمـــرة والقيـــام والطهـــر والـــصلاة والـــصيام

وغيرهـــا وهـــو عـــلى الخـــصوص يحمـــل للتوفيـــق للنـــصوص

ش: يعـني أنـه جـاء في كتـاب الله ﷻ وحـديث رسـول الله ﷺ عـن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو مانح العطايا، بأن الحج والعمرة وقيام رمضان والطهر من الوضوء والغسل والصلاة فرضا ونفلا والصيام كذلك وغيرها من أنواع الطاعات، أنها تكفر الخطايا.

قال النووي: وحملها العلماء على الصغائر لقوله ﷺ: "ما اجتنبت الكبائر"[1] وعلى تكفير هذه الصغائر[2] حملها العلماء جمعا بين النصوص وهو مراد الناظم: وهو على الخصوص يحمل للتوفيق أي يحمل على تخصيصها بالصغائر وأما الكبائر فلا يمحقها إلا التوبة، قال العلماء: وهذا في من له كبائر وصغائر، فأما إذا كانت كبائر ولا صغيرة فيها فإنه يرجى بفضل الله تعالى أن يخفف من الكبائر والصغائر بذلك، وأما من لا كبيرة له ولا صغيرة له فطاعته درجات والله أعلم.

(1) صحيح مسلم، أخرجه مسلم رقم الحديث: 233

(2) وقد أفردت بالتآليف فقد ألف فيها ابن حجر الهيثمي وأفردها الحطاب بتأليف ونظم فيها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم نظما و شرحه وألف فيها الكتاني. فهذه المؤلفات كأنها صيدلية فيها وصفات لأمراض الذنوب. من درس شيخنا حفظه الله.

ص:

وذو كبـــيرة عليـــه التوبـــه فـــرض بفـــور واجتنـــاب الحوبـــه
وفي قبولهـــا لغـــير الكـــافر قطعـــا وظنـــا وجـــه خلـــف ســـافر
والكـــافرون القـــول فـــيهم مـــا اختلـــف لقولـــه: "يعفـــر لهـــم مـــا قـــد ســـلف"

ش: أي صاحب كبيرة تجب عليه التوبة منها بالكتاب والسنة[1] وهو ما جاء به ﷺ عن الله تعالى وهو إجماع المسلمين.

وللتوبة شروط منها:

- الندم على فعل معصية من أجل أنها معصية لا من أجل أنها أضرته ببدنه أو جاهه أو غير ذلك، واختلف إذا كان الندم من أجلها وغيرها، قال الشيخ في شرح القصيدة: والحق أن الندم إن كان يحصل بسبب المعصية لو انفردت فالتوبة صحيحة وإلا فلا وكذلك وقع التردد في الندم إذا كان خوفا من النار أو طعما في الجنة هل تصح به التوبة أم لا؟

ومنها العزم أن لا يعود إلى الذنب في المستقبل، واختلفوا في هذا هل هو شرط للتوبة أو لازم للندم؛ ومنها رد المظالم القائمة بعينها.

وأما المترتبة في الذمة فتصح التوبة مع عدم رد عوضها عند الجمهور؛ لأنه واجب آخر مستقبل، فكما تصح بعض الطاعات دون بعض، كذلك تصح التوبة من بعض المعاصي دون بعض عند الجمهور، خلافا لأبي هاشم مطلقا. وقيل: في المساوي في القبح والأدنى دون الأعلى، وهو ظاهر قول ابن التلمساني، ذكره الشيخ في شرح القصيدة.

واختلفوا في تجديد الندم كلما ذكر المعصية، فأوجبه القاضي وبعض المعتزلة، ولم يوجبه إمام الحرمين إلا أن يتذكرها على وجه المحبة من الشهوة فرحا بها.

وتصح التوبة من المعاصي كلها على وجه الإجمال، وإن علم تفصيلها، خلافا لبعض المعتزلة. وقوله: بفور أي عقيب الذنب سُرعة بحيث لو أخرها لحظة

(1) فورا لأن تأخيرها ذنب آخر

لتضاعف ثم تتضاعف الذنوب بتأخير التوبة لحظات تضاعف العدد في بيوت الشطرنج في علم الحساب ذكره الشيخ في شرح القصيدة.

قوله: واجتناب الحوبة أي يجب عليه مع الندم القلع والاجتناب للذنب المتوب منه؛ إذ لا تصح التوبة من الذب مع الإصرار عليه، وأما غيره فتصح التوبة عند الجمهور من الذنب مع الإصرار على غيره كما قدمنا. وأما الذنب الواحد فلا تصح التوبة منه مع الإصرار عليه إجماعا.

قوله: وفي قبولها لغير الكافر... إلخ، يعني أن أهل السنة اختلفوا في توبة العاصي إذا توفرت فيها الشروط هل تقبل قطعا؟ وهو ظاهر القرآن العزيز، أو ظنا؟ وهو ظاهر فعل السلف الصالح في تضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى في قبول ذلك على قولين.

قوله: والكافرون إلى آخره، يعني أن الكافر إذا تاب من كفره وأسلم فإن توبته مقبولة قطعا بإجماع أهل السنة ولقوله ﷺ "الإسلام يجب ما قبله"[1] ولقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وإنما اختلفوا هل توبته نفس إسلامه دون الندم على ما قد سلف له من الكفر؟ وهو قول كثير من أهل السنة، أم لابد له مع الإسلام من الندم على ما سلف له من الكفر؟ وهو قول إمام الحرمين رضي الله عنه على قولين.

ص:

والنفس والعقل كذا المال وجب صون لها والعرض أيضا والنسب

ش: يعني أن هذه الخمسة مما اتفق الملل والشرائع من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا ومولانا ونبينا محمد ﷺ على وجوب حفظها وصيانتها وهي النفس والعقل والمال والعرض والنسب، وألحق بهذه الخمسة السادسة وهي أشرفها وأعلاها وهي: الديانة له تعالى بتوحيده وعبادته وتصديق ما جاءت به رسله والانقياد لذلك قولا وفعلا واعتقادا. فلم تكن ملة ولا شريعة إلا ويجب فيها حفظ هذه الستة من غير نسخ لها في شريعة من الشرائع فأعظمها في الترتيب:

---

(1) مسلم: الإيمان (121)، وأحمد (204/4).

- حفظ الدين إذ به الدين صلاح الدنيا والآخرة؛

- ثم النفس فحرم القتل للنفس بغير حق، ولعظم ذلك رتب عليه تعالى زاجرا دنيويا كالقصاص وأخرويا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُومِناً مُتَعَمِّداً﴾ الآية،

- ثم العقل الذي هو ملاك الدين والدنيا فحرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإسكار المزيل له ورتب عليه الحد.

- ثم النسب فلذلك حرم الزنى لأنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب ورتب عليه الزواجر في الدنيا من الحد فوق حد الإسكار من الرجم وما توعد على ذلك في الآخرة من العقاب لما في ذلك من اختلاط الأنساب لئلا يضيع الأطفال بانقطاعهم عن نسبهم فيوكل أمرهم إلى الأمهات وهن عاجزات عن أنفسهن فكيف بغيرهن وفي ذلك تضييع للأطفال وانقطاع للنوع الإنساني.

- ثم المال الذي به قوام الحياة وحفظ المعاش فلهذا حرم الغصب والسرقة والخيانة وما في معناها في كل ملة ورتب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ذلك ما أوجب في الشريعة من الغرم والحد والتعزير.

- ثم العرض الذي به صيانة الدين والدنيا فلهذا حرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القذف والغيبة في كل ملة وقيل: إن حفظ المال والعرض في رتبة واحدة[1] وقيل: إن العرض مقدم. وصحح الشيخ في شرح القصيدة تقديم المال على العرض كما رتبنا.

والمصلحة في حفظ الدين أخروية فقط، وفيما سوى العقل دنيوية فقط، وجمعتا في العقل، والله تعالى أعلم.

ص:

والرزق ما به انتفاع مطلقا هذا الذي قد قاله من حققا

وليس مقصورا على الحلال ووجهه باد بالاستدلال

ش: يعني أن الرزق عند أهل السنة ما به الانتفاع مطلقا، ومعنى الإطلاق سواء كان الانتفاع حلالا أو حراما ملكا كان أو غيره أكلا كان أو غيره. هذا الذي قاله

(1) والتحقيق في المسألة أن العرض ما كان منه متعلقا بالطعن في النسب هذا مقدم على المال اتفاقا وما كان منه غير ذلك فهو والمال في درجة واحدة. من درس شيخنا حفظه الله.

المحققون وفسروا به مسمى الرزق، كما قاله إمام الحرمين في الإرشاد، خلافا للمعتزلة في تفسير هم الرزق بالملك، فألزموا أن يكون ملكه تعالى رزقا له تعالى الله عن ذلك. وألزموا أيضا أن لا يكون للبهائم رزق إذ لا ملك لها وذلك باطل إذ قال تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾.

قوله: وليس مقصورا على الحلال: هذا أيضا رد لمذهب المعتزلة، ويلزم على مذهبهم أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى، وذلك باطل قطعا، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: ووجهه باد أي ظاهر بالاستدلال نقلا وعقلا والله تعالى أعلم. لأن الله هو الرزاق؛ لأن الرزق ما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان فينتفع به والله تعالى أعلم.

ص:

والنصب للإمام بالشروط فرض بشرع بالهدى منوط
والسمع مفروض على الأعيان لأمره فيما سوى العصيان
إذ جاء لا طاعة للمخلوق في ذاك وفيما عنه لا يخلو قف
ولا يجوز عزله إذا طرا عليه فسق أو بغى أواجترا
ولا الخروج عنه إلا إن كفر وحافر البغي هوى فيما حفر

ش: يعني أنه يجب على المسلمين اتخاذ الإمام ونصبه بالشرع لا بالعقل، خلافا لقول المعتزلة، ولا يجب على الله سبحانه شيء من ذلك خلافا للملاحدة والإسماعيلية(1). وقوله: بالشروط، يعني الشروط المعروفة للإمام شرعا، وهي إحدى عشر شرطا:

- الأول الإسلام فلا تنعقد لكافر بالإجماع
- الثاني العدالة لأن الفاسق ربما تصرف بالهوى ويتعدى فتضيع الحقوق؛
- الثالث الذكورية

(1) هي طائفة من طوائف الشيعة

- **الرابع** الحرية لأن الرق مظنة الاستخفاف فإذا نافى العدالة فالإمامة أولى وقوله في الحديث "اسمع وأطع وإن كان عبدا"(1) فمحمول عند العلماء على النائب.

- **الخامس** البلوغ؛
- **السادس** العقل.
- **السابع** أن يكون مجتهدا في أصول الدين وفروعه؛
- **الثامن** أن يكون شجاعا فلا يضعف عن لقاء العدو وإقامة الحدود؛
- **التاسع** أن يكون ذا رأي وسياسة بتدبير الأمور ويشتد في مواضع الشدة ويلين في مواضع اللين؛
- **العاشر** أن يكون مقتدرا على إنفاذ أمره وحكمه؛
- **الحادي عشر** أن يكون قرشيا.

وهذا معنى قول الناظم: والنصب للأمام بالشروط.

وقوله: بالهدى منوط يعني أن الإمامة تتعلق بها مصالح الدين والدنيا وهذا مما لا شك فيه وقوله: والسمع مفروض على الأعيان... إلخ، يعني أنه يجب السمع والطاعة للإمام في جميع أموره في غير المعصية، وهو فرض بالإجماع.

وقوله: إذ جاء لا طاعة... إلخ، يعني أنه جاء في الحديث" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"(2) كما قال تعالى في حق الوالدين ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وهو معنى قول الناظم: فيما عنه.. الخ، يعني أن الفعل الذي لا يخلو عن العصيان فإن كان معصية قف عن اتباع أمره ولا تتبعه؛ إذ لا تجب طاعته في ذلك، وأما غير المعصية فوجبت طاعته واتباعه باجتهاده بلا خلاف.

قوله: ولا يجوز عزله إذا طرا عليه فسق أو بغى واجترأ يعني أن العدالة وإن كانت شرطا في الإمام باتفاق. وإنما ذلك عند إقامته وتوليته، فإن اتصف بالفسق قبل توليته لم تجز توليته بلا خلاف وإن طرأ عليه فسق بعد توليته لم يجز عزله

---

(1) ولفظه: " عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قالَ: إنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمع وَأُطِيعَ، وإنْ كانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ " صحيح مسلم: 648.

(2) أخرجه البغوي في (شرح السنة) (2455)

عند معظم أهل السنة، وهو الصحيح؛ لما في ذلك من ثوران الفتن وانتشار المفاسد بأضعاف مضاعفة[1]، ولو بغى على الرعية واجترأ على ارتكاب المعاصي، فإن ذلك لا يجيز عزله ولا الخروج عنه، بل يؤدى إليه ما يجب له من الطاعة في غير المعصية، ويسأل حقه من الله تعالى كما أمر به ﷺ.

وللشيخ أبي الحسن الأشعري قول بجواز عزله بفسق إذا أمكن من غير إراقة الدم وكشف الحرم، وهو اختيار إمام الحرمين.

قوله: ولا الخروج عنه إلا إن كفر يعني أنه كما لا يجوز عزله بطرو الفسق وكذلك لا يجوز الخروج عليه ولا إهانته عند العامة ولا الأمر بمخالفتهم ولا السعي فيما يفسد عليهم الرعية، بل تجب نصيحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما استطاع، ويؤدي إليهم ما يجب لهم من الطاعة في غير معصية، ويسأل الله تعالى حقه، إلا أن يخرج من دين الإسلام إلى الكفر؛ فيجب خلعه وعزله، وهو قوله: وحافر البغي هوى فيما حفر؛ يعني أن حافر المكر والبغي والخديعة للأمة يسقط فيما حفر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

ص:

والأنبيا أفضل فالملائكة يتلون في فضل علوا أرائكه

وقيل بالعكس وبعض فصلا في ذاك تفصيلا له قد أصلا

ش: يعني أن أفضل الخلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يليهم في الفضيلة الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

وقوله يتلون في الفضل يعني أن الملائكة يتبعون الأنبياء في كل فضيلة علوا سريرها، الأرائك جمع أريكة وهي القبة عليها ستر، وهذا قول أبي الحسن الأشعري شيخ السنة وأكثر أصحابه.

---

(1) لأن ضرره هو ضرر جور وأما الخروج عليه فضرر على الأمة كلها لذلك لا يجوز الخروج عليه لما ينشأ عنه من الفوضى لأن جوره خير من الفوضى وتهيج العامة على السلطان لا يجوز. من درس شيخنا حفظه الله.

وقوله: وقيل بالعكس يعني أن جماعة من أهل السنة وجميع المعتزلة وإياه اختار الإمام في المعالم أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام أفضل من الأنبياء.

قوله: وبعض فصلا في ذاك... إلخ، هذا هو المذهب الثالث وهو التفصيل الذي عليه متكلمو الأعاجم كالنسفي[1] وغيره، أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من عوام المؤمنين، وعوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة وقد جعل هذا التفصيل أصلا من اعتقادات الماتريدية من أهل السنة، وهم الأعاجم وما وراء النهر.

وبعض أهل السنة اختار التوقف في التفضيل بين الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام؛ إذ لا دليل قطعي على تعيين ذلك، والحجج المذكورة في الطرفين ظنية، والله أعلم

ص:

وانعقـــد الإجمـــاع أن المقـــتفى أفـــضل خلـــق الله والخلـــف انـــتفى

ومـــا نـــحى الكـــشاف في التكـــوير خـــلاف إجمـــاع ذوي التنـــوير

فاحـــذر لغـــير منعـــه ســـماعه واتبـــع الـــسنة والجماعـــة

وفـــضل المخـــصوص بـــالإسراء عـــلى البرايـــا دون مـــا اســـتثناء

ش: يعني أن الخلاف المذكور إنما هو في غير نبينا محمد ﷺ، وأما هو ﷺ فقد انعقد الإجماع على أنه ﷺ أفضل ما خلق الله تعالى من الملائكة والإنس والجن من غير خلاف، حتى كاد أن يكون معلوما من دين الأمة ضرورة. وما قال الزمخشري في تفسيره الكشاف في تفسير ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ من اقتصار خيريته على الإنس وتفضيل جبريل عليه السلام هو خلاف إجماع المسلمين، لا يجوز ذكره إلا على وجه إبطاله ورده، كما قال الناظم رحمه الله، إذ قال: سمح الله له في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ

(1) هو العلامة المحدث أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان النسفي الحنفي من أهل سمرقند هو مصنف تاريخها الملقب بالقند ونظم الجامع الصغير. له نحو 100 مصنف توفي سنة 537هـ، سير أعلام النبلاء، ج20، مصدر سابق، ص: 126-127

لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ فجعل هذه كلها أوصاف جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعنى به نبينا محمدا ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ فقال- سمح الله له-: وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينته في منزلته لمنزلة أفضل الأنس محمد ﷺ إذا وزنت بين الذكرين من حين فرق بينهما وقايست بين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ إلى آخرها وما بين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ انتهى.

هذا نصه. سمح الله له فانت تراه يشير إلى تفضيل جبريل، وذلك خلاف إجماع المسلمين؛ إذ الإجماع على أنه أفضل الخلق على الإطلاق، حكاه غير واحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين وقد قال صاحب التخميس(1):

قطعنا بإجماع على أن مثله ... مدى الدهر لم يخلق ولا هو يخلق

وقال صاحب البردة:

ومبلغ العلم فيه أن بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

وقال الشيخ في شرح صغرى الصغرى: كادت فضليته أن تكون معلومة بالضرورة.

ص:

وأفضل الأمة ذات القدر ... أصحاب من أعطي شرح الصدر

إذ جاء في القرآن ما يقضي لهم ... بالسبق في آي حوت تفضيلهم

وكم أحاديث عليهم تثني ... كقوله: "خير القرون قرني"

وقول طه المصطفى "لو أنفقا" ... فجل من زكاهم ووفقا

(1) وهو محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي يكنى أبا بكر من أهل شلبه من العليا ولد عام 581هـ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ منقبضا عن الناس أديبا شاعرا خمس عشرينيات الفزازي، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبتة عام 645هـ. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب بيروت، 1424هـ، ج2، ص: 288-295

ش: ومما يجب اعتقاده أن أفضل هذه الأمة الشريفة التي هي أفضل الأمم كلها أصحاب رسول الله ﷺ وهو الذي أعطي شرح الصدر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ وهذا مما لا شك فيه. وقد قال أبو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه في رسالته: وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به.

قوله: إذ جاء في القرآن، يعني أنه جاء في كتاب الله تعالى ما يقضي للصحابة رضي الله عنهم بسبق الفضيلة على غيرهم كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ﴾ إلخ وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ إلخ. فمن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبدا، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ وغير ذلك من الآيات التي تقتضي تفضيلهم على من سواهم وأن غيرهم لا ينال درجتهم وإن بلغ في الاحسان والفضل ما بلغ كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ الآية.

وقوله وكم أحاديث: وكم للتكثير أي وكثير من أحاديث النبي ﷺ تثني عليهم وتنشر فضائلهم وتبين مناقبهم كقوله ﷺ "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(1) الحديث، وكقوله ﷺ "أصحابي كالنجوم"(2) وكقوله ﷺ: "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"(3).

فانظر هذا الفضل العظيم الذي لا ينال بعمل ولا حيلة ولا بكسب ولا بوجه من الوجوه إلا التفضيل من المولى الكريم يوتي فضله من يشاء والله ذو فضل عظيم وهذا معنى قول الناظم رحمه الله: فجل من زكاهم ووفقا أي تعاظم من فضلهم على غيرهم، وطهرهم عن نقيصة سواهم، ووفقهم لما نالوا من صحبة خير الخلق وسيد العالمين ﷺ، عن أن يعترض عليه في فعله سبحانه وتعالى، وطه اسم من أسمائه ﷺ على أحد الأقوال.

---

(1) صحيح البخاري 6695

(2) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال 1115

(3) أخرجه البخاري في صحيحه 3673

ص:

ثــم يلـــيهم تـــابع بـــادي الـــسنا فتـــابع لتـــابع قـــد أحـــسنا

ش: يعني أن خير هذه الأمة بعد الصحابة ﷺ التابعون لهم بإحسان، وهم الذين لقوا الصحابة وصحبوهم وتعلموا منهم، ثم يليهم في الفضل أتباع التابعين، كما ثبت في الحديث الصحيح "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ثم اختلف العلماء فمنهم من قصر الفضيلة على هذه الأعصار الثلاثة دون غيرهم وهو مذهب المحققين، ومنهم من رتبها إلى قيام الساعة والله أعلم.

ص:

والخلفـــاء الراشـــدون الأربعـــة خـــير الـــصحابة الألى كـــانوا معـــه

ورتـــبن الفـــضل فيمـــا بيـــنهم عـــلى خلافـــة وقـــدم عيـــنهم

أعـــني أبـــا بكـــر وفـــاروق يـــلي وبعـــده عثمـــان واخـــتم بعـــلي

زوج البتـــول بـــضعة الرســـول مـــن نـــال بالـــسبطين أقـــصى الـــسول

ش: يعني أنه مما يجب اعتقاده أن أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم الخلفاء الأربعة، وأن ترتيبهم في الفضلية كترتيبهم في الخلافة[1]، فيقدم عينهم في الفضيلة أي سيدهم ورئيسهم أعني أبا بكر الصديق ﷺ، ثم يليه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، ثم يليه في الفضل عثمان بن عفان ﷺ، ثم يليه في الفضل أبو الحسن علي بن أبي طالب ﷺ ابن عمه وزوج ابنته البتول سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة بضعة من رسول الله ﷺ، أي قطعة منه، وأبو سبطيه الحسن والحسين ﷺ سيدا شباب أهل الجنة، فقد نال علي ﷺ بهذه الأمور التي لم تحصل لغيره أقصى السول، أي أقصى المطلوب، من شرف الدنيا والآخرة، زادهم الله تعالى شرفا.

(1) وهذا هو الأصح لأن الصحابة لا يقدمون للخلافة إلا الأفضل فالأفضل

ص:

وبعـــد هـــؤلاء بـــاقي العـــشره طلحـــة والزبيـــر ذاكي النـــشره

وعـــامر وســـعد الـــسامي الحـــلى مـــع ابـــن عـــوف وســـعيد ذي العـــلى

ش: يعني أن الذي يلي الخلفاء الأربعة في الفضيلة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة[1] الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وهم: طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام، ذاكي النشره أي فائح الرائحة الطيبة كناية عن جميل أوصافه وحميد سيره لأنه حواري النبي ﷺ وابن عمته وزوج أسماء أخت أم المؤمنين رضي الله عنهما، قوله: وعامر أي أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، وسعد بن أبي وقاص، قوله: السامي الحلى أي رفيع الصفات، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، ذي الشرف و هو معنى العلا بالمد، وهؤلاء بقية العشرة رضي الله عنهم،، أماتنا على حبهم آمين آمين.

ص:

فأهـــل بـــدر ثـــم أهـــل أحـــد فبيعـــة الرضـــوان مـــن بعـــد اعـــدد

ش: يعني أن الذين يلون العشرة في الفضيلة من شهد غزوة بدر من المهاجرين والأنصار، ثم الذين يلونهم في الفضيلة من شهد غزوة أحد، ثم الذين يلونهم في الفضيلة من شهد بيعة الرضوان وهم أهل الحديبية.

وقوله: أعدد أي احسب من بعد أهل أحد أهل بيعة الرضوان في الفضيلة.

ص:

والـــسابقون الأولـــون صرحـــا بفـــضلهم والخلـــف فـــيهم شرحـــا

وبعـــض مـــن بـــالعلم قـــد تحـــلى يقـــول مـــن للقبلتـــين صـــلى

ش: يعني أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم بين الله تعالى

---

(1) لأن النبي ﷺ شهد لهم بالجنة في مجلس واحد وكان سعيد بن زيد يعدهم ويسكت عن العاشر يعني نفسه. من درس شيخنا حفظه الله.

فضيلتهم وصرح بها في محكم كتابه فقال تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالأنصارِ وَالذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ فانظر هذا الثناء الجميل من الرب الجليل حيث أخبر برضاه عنهم، ومن رضي عنه سبحانه لا يسخط عليه أبدا، وأخبر بما أعد لهم في الآخرة من النعيم الدائم والفوز العظيم، وانظر كيف شرط في الاتباع الاتباع بإحسان دونهم، وهل ذلك إلا أن فوزهم[1] مقطوع به كما أخبر به ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[2].

قوله: والخلف فيهم... إلخ: أراد أنه اختلف في المراد بالسابقين اختلافا بينا مشروحا. قوله: وبعض، يعني أن بعض من تحلى أي اتصف بالعلم يقول: هم من صلى للقبلتين، وهذا أحد الأقوال الثلاثة فيهم، والثاني: أنهم من شهد بدرا، والثالث: أنهم أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم وأماتنا على حبهم وحشرنا في زمرتهم.

ص:

والصحب كلهم عدول خيره   فمن يرد وجه اهتدا بهم يره

لأن من أحاط بالخبي   علما حباهم صحبة النبي

فهم نجوم في السرى من اقتدى   بهم إلى معالم الحق اهتدى

ش: يعني أن جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول خيرة أي فضلاء، وهذا مذهب معظم أهل السنة والجم الغفير من علماء الإسلام، ولا عبرة بمن خالف هذا.

قال الشيخ حلولو في شرح جمع الجوامع: قد دلت القواطع السمعية على عدالتهم وفضلهم، ولا تعديل فوق تعديل الله تعالى ورسوله ﷺ. انتهى

قوله، فمن يرد وجه... إلخ، يعني أنه من أراد وجه اهتدائهم إلى الحق واتباعهم لمرضاة الله تعالى ومرضاة الرسول ﷺ دون هوى النفس، فليتأمل ما ذكر الله تعالى

---

(1) في نسخة (ب) وفضلهم ...

(2) أخرجه البخاري (4890)، ومسلم (2494).

عنهم في كتابه العزيز وما أخبر به الرسول ﷺ عنهم، يرى ذلك، بحيث لا يشك أنهم حازوا الفضيلة والعدالة من كل وجه قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ﴾، إلى آخر الآية وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ أي عدولا خيارا وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ وغير ذلك من الآيات وقوله ﷺ: "أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم" وقوله ﷺ: "خير القرون قرني" وقوله ﷺ "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" وغير ذلك من الأحاديث.

وهذا هو الذي عليه الجمهور والمحققون، وفي المسألة أقوال غير مرضية.

ثم احتج الناظم رَحِمَهُ اللهُ على عدالتهم وفضيلتهم باختصاصهم بما سبق لهم في سابق علم الله تعالى، الذي أحاط علمه بجميع الخفيات، بصحبة نبيه ﷺ، فإنه ﷺ رضيهم أئمة تقتدي بهم أمته من بعده ﷺ؛ وكفى ذلك تعديلا؛ إذ لا تعديل فوق تعديل الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقوله: الخبي أصله الخبء بإسكان الباء، فوقف عليه بنقل حركة الهمزة إلى الباء

وإبدال الهمزة ياء للروي.

وقوله: معالم الحق أي طرق الحق، جمع معلم وهو الْعَلَمُ المشهور، فالدنيا ظلمة، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والعلماء بعدهم نجومها، والآخرة نهارها، فكما أن النجوم يهتدى بها في ظلمة الليل وتعرف بها الجهات، فكذلك الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والعلماء بهم تعرف طرق الخير وسبيل نجاة في الآخرة.

ص:

فلا تخض فيما من الأمر اختلط بينهم واحذر إذا خضت الغلط

والتمس أحسن المخارج لهم فالاجتهاد ذو معارج

ش: قوله فلا تخض... إلخ، يعني أنه يجب أن تمسك عما جرى بينهم[1] من

---

(1) لأنه ليس تحته عمل وليس من العقائد ولا من الأمور التي يفيد الإنسان الخوض فيها لأن =

الحروب، واحذر إذا تكلمت في ذلك من الغلط بأن تنسب إلى أحد منهم غير الحق، ويجب عليك أن تطلب لهم أحسن التأويل والمخارج؛ إذ هم أولى الناس بذلك. وإذا كان العالم منا إذا زل، وجب له التأويل حتى لا يساء به الظن؛ فالصحابة الذين هم أفضل الخلق أولى بذلك. وما وقع بينهم من الحروب محمول عند علماء الشريعة على أن كلا منهم مجتهد في تعين الحق، ولا إثم على مجتهد قطعا وإن أخطاء بل هو ماجور.

وهذا معنى قول الناظم: فالاجتهاد ذو معارج، أي ذو مراتب متباينة، وكلها حق وصواب على القول بالتصويب.

ص:

ولا تصخ لمن أبى الكرامه للأولياء واجتنب مرامه

ش: قوله: ولا تصخ أي لا تسمع لقول من أنكر الكرامة للأولياء من المعتزلة وغيرهم. قوله: واجتنب أي تباعد عن مطلوبه ذلك، وهو إنكار الكرامة للأولياء، وهو نص كتاب الله العزيز في قصة أهل الكهف ومريم.

وإنما اختلف أئمتنا: هل تعم الكرامة جميع الخوارق أم لا؟

والصحيح عند الإمام أنها تعم إلا نحو ولد دون والد أو ما قام الدليل على امتناعه كالإتيان بمثل القرآن.

واختلف أئمتنا فقال بعضهم: شرطها أن تقع بغير اختيار الولي، وذهب آخرون إلى وقوعها على وفق الاختيار، ومنعوا وقوعها على فرضية دعوى الولاية؛ إذ دلالة الكرامة على الولاية ظنية لا قطعية، كما قال المقترح، لجواز أن يكون ذلك استدراجا، والعياذ بالله كما يقع للدجال وأصحاب الصوامع والديارات.

وفي صحة الكرامة بالإخبار بالغيب قولان، ذكرهما الشيخ ابن عرفة ﷺ، مبناهما النسبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ الآية، هل هو عام أو خاص؟

= الكثير منه مكذوب وما ورد منه مؤول، من درس شيخنا حفظه الله.

والفرق بين الكرامة والمعجزة: اقتران المعجزة بدعوى النبوة.

والفرق بين الكرامة والسحر أن السحر له سبب خاص دونها. وذهب القرافي إلى أن السحر غير خارق للعادة أصلا، وغرابته إنما هي لجهل أسبابه لأكثر الناس. قال ابن عرفة وهو بعيد. قال الشيخ حلولو: وفي تبعيده عندي نظر. انتهى

ص:

ونـــــزه القـــــرآن أن تقـــــولا	بخلقـــــه واستوضـــح المعقـــــولا
لأنــــه وصــــف الإلـــــه جـــــلا	ومعجـــــز الـــــنظم عليـــــه دلا
فــــذلك المتلــــو والمـــــدلول	عليـــه مـــا عـــن قـــدم يحـــول
والحـــرف والـــصوت كـــذا الـــتلاوه	محدثـــــة وغـــــير ذا غبـــــاوه

ش: يعني أنه يجب أن تنزه القرآن عن القول بخلقه.

قوله: واستوضح المعقولا، أي اطلب بيان المعقول أي المدرك عقلا ومعنى هذا: نزه القرآن عن الحدوث على وجه يطابق المعقول، ولا تكن كالحشوية والحنبلية الذين يعتقدون قدم الحروف والأصوات، وهي غباوة، أي جهالة وحماقة، تصادم المحسوس وتناقض ضروريات العقول.

وقوله: لأنه وصف الإله جل وعز، ينتجه برهان طوى فيه المقدمتين، وتقريره أن تقول: القرآن وصف الإله، وكل وصف للإله فهو قديم أو غير مخلوق، فينتج: القرآن قديم أو غير مخلوق، وهو المطلوب. أما بيان المقدمتين فلما تقدم من استحالة الحدوث عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى جميع صفاته، والنتيجة ظاهرة؛ لأنه من الشكل الأول الضروري الإنتاج.

قوله: ومعجز النظم عليه دل، يعني أن القرآن المنزل على النبي ﷺ للإعجاز بنظمه وأسلوبه الذي أوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ وآخره ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ دال على الوصف القائم بالذات العلية، فإطلاق القرآن عليه من باب إطلاق اسم المدلول على الدال.

قوله: فذلك يعني أن القائم بالذات العلية من كلامه هو المدلول والمتلو لا

يتغير عن قدمه ولا ينفك عنه؛ إذ كل ما ثبت قدمه استحال تغيره وعدمه.

قوله: والحرف والصوت كذا التلاوة محدثة، يعني أن حروفنا المكتوبة وأصواتنا وقراءتنا المسموعة وحفظنا الحاصل في الصدور: محدثة مخلوقة، والمتلو والمحفوظ قديم، وحاصل كلامه أن القرآن يطلق على ثلاثة معان:

- **الأول** كلام الله تعالى القائم بذاته؛
- **والثاني** اللفظ المنزل على محمد ﷺ للاعجاز بسورة منه؛
- **والثالث** قراءتنا.

فالأول يستحيل الخلق عليه عقلا، والثاني يحرم إطلاق المخلوق عليه شرعا لا عقلا، والثالث يجوز إطلاق المخلوق عليه شرعا عند المحققين، ومنعه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وامتحن في ذلك؛ فظنت الحشوية أن امتناعه عن إطلاق لفظ المخلوق أنه يعتقد أن الحروف والأصوات قديمة، فأفرطوا في ذلك واعتقدوا قدم ذلك، وذلك غباوة وجهالة عظيمة، تنزه عنها الإمام أحمد.

وكما امتنع الإمام أحمد من إطلاق الحدوث على القراءة، امتنع منه أيضا محمد بن يحيى الذهلي[1]، وخالفه البخاري ومسلم وغيرهما من المحققين؛ فكان ذلك سبب النفرة بينهما كما هو مشهور. ومذهب البخاري رضي الله عنه هو الصحيح، وهو الذي عول عليه الناظم وغيره من أهل السنة.

وقول أهل السنة: محفوظ في صدورنا، مكتوب في مصاحفنا، مقروء بألسنتنا[2] على الحقيقة لا المجاز: المراد القرآن بالمعنى الثاني؛ لأن القرآن بالمعنى

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يحي الذهلي النيسابوري وهو من شيوخ البخاري ت 258هـ.

(2) قال الضرير في منظومته: التنبيه والإرشاد، مصدر سابق ص: 106-108:

قراءة الخلق صفات لهم	فواجب حدوثها مثل هم
وقوله المقروء من صفاته	فواجب قدمه كذاته
وهو الذي سمعه الكليم	وهو كلام ربنا القديم
ليس له شبه ولا مثال	ولا له عن ذاته انتقال
وهذه الرسوم والأصوات	دلائل عليه موضوعات

=

الأول يستحيل عليه ذلك. وقولهم: على الحقيقة، المراد به: الحقيقة الشرعية لا العقلية؛ لأن الشيء له وجودات أربع:

وجوده في الأعيان وهو حقيقة الشيء،

ووجود في الأذهان وهو إدراك معناه،

ووجود بالبنان وهو تصوير حروفه،

ووجود في اللسان وهو اللفظ باسمه،

والكل على الحقيقة اللغوية.

وقوله: فذلك المتلو والمدلول عليه ما عن قدم يحول، فيه إطلاق في محل التقييد يظهر بكلام الشهاب القرافي في شرح الأربعين، كما قال أبو العباس المنجور في حاشية الكبرى، ونصه على ما نقل، قال:

فائدة: يعلم بها ما هو قديم من كلام الله تعالى وما ليس بقديم منه، فإن أكثر الناس من علماء الأصول في زماننا يعتقدون أن ألفاظ القرآن محدثة وأن مدلولها قديم، وليس كذلك، بل الحق أن في ذلك تفصيلا كثيرا، سيظهر لك الحق منه، إن

=

كما يدل الذكر والكتاب ... عليه جل المالك الوهاب
ثم القراءة ذوات غايه ... وليس للمقروء من نهايه
فيوعب القرآن بالكتاب ... وليس للمقروء من إيعاب
كما أتى في محكم القرآن ... في آخر الكهف وفي لقمان
من قال إن هذه التلاوه ... قديمة فهو ذو غباوه
لأنها تبدأ ثم تختم ... وذاك فيها للحدوث علم
وهي حروف ما لها بقاء ... يعمها الحدوث والفناء
فيحدث الحرف عقيب الحرف ... كسائر الأعراض في ذا الوصف
من قال إن الصفة القديمه ... تحله فقد أتى عظيمه
لأنه يلزمه الإلحاد ... قول النصارى وهو الاتحاد
وقدم العالم و الحلول ... وشرح ذاك هاهنا يطول

شاء الله تعالى، وهو أن تقول: القرآن قسمان: أدلة؛ ومدلولات.

فالأدلــة هي الألفــاظ وهي كلهــا محدثــة، والمــدلولات قــسمان: مفــردات؛ ومسندات.

فالمفردات قسمان: ما يرجع منها إلى ذات الله تعالى وصفاته العلا فهي قديمة؛ وما عدا ذلك فهو محدث.

فإن من مدلولات ألفاظ القرآن المفردة: فرعون وهامان والسماوات والأرض والجبال وغير ذلك، وهي بأسرها محدثة، وأما مدلول قولنا: الله العظيم السميع البصير ونحوه مما هو مدلول اللفظ فهو قديم.

والمسندات قسمان: حكايات؛ وإنشاءات.

فالإسنادات التي هي الإنشاءات كلها قديمة كانت مدلول لفظ الخبر أو الأمر أو النهي أو الاذن أو النداء؛ فإن الألفاظ دالة على هذه المعاني، وهي قائمة بذات الله تعالى، وهي في نفسها واحدة ترجع إلى الكلام، وقد تقدم بيان تعددها بحسب تعلقاتها مع اتحادها في أصلها.

والمدلولات المسندات التي هي الحكايات هي أيضا قسمان: حكاية عن الله تعالى؛ وحكاية عن غيره.

فالحكاية عن غيره تعالى نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١١﴾﴾ ونحو ذلك، فالحكايات قديمة؛ لأنها خبر الله تعالى عن المحكي، والمحكي محدث، فإنه إسناد محدث، وإسناد المحدث محدث.

وأما الحكاية عن الله تعالى فنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟﴾ فالحكاية والمحكي قديمة؛ لأن الحكاية إسناد الله تعالى، والمحكي في مثالنا إنما هو إسناد الله تعالى وأمره الرجوع للنداء إلى الأمر، وخبر الله تعالى القائم بذاته الذي هو مدلول اللفظ قديم ضرورة

فيحصل من التفصيل المتقدم أن في القرآن ثلاثة أقسام محدثة: الألفاظ دالة؛ ومفردات مدلولات وهي غير ذات الله تعالى وصفاته؟ ومسندات مركبات محكيات

عن الغير.

وفيه ثلاثة أقسام قديمة وهي: ذات الله تعالى وصفاته؛ ومدلولات مسندة؛

- حكايات وتراجم عن إسناداته في أخبار وأوامر ونواه ونحو ذلك صادرة عنه تعالى.

وإذا حطت علما بهذه السنة علمت ما هو قديم من القرآن وما هو محدث. وهو تلخيص جليل قل من يحيط به، فاضبطه. انتهى

قال المنجور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت: وهذا الذي ذكر تبين بمعرفة الكلام النفسي ما هو؟ وقد قال ابن الحاجب فيه: هو نسبة بين مفردين قائمة بنفس المتكلم، فإذا قيل: زيد قائم وليس زيد قائما، فالنفسي: إثبات القيام لزيد أو نفيه عنه، فإذا عرفت هذا، فقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ مدلولات مفرداته قديمة، وهي: الله، والعلم، وضمير الله، وكذا إسناد وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٤﴾ مدلولات مفرداته حادثة وهي: ذواتنا التي هي العلم لله وهو النفسي. مدلولات أنتم، والواو، وجهلنا الذي هو مدلول: ﴿لَا تَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ وإسناد الجهل لنا قديم.

قائم بذاته تعالى. وكذا ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مدلولات مفرداته الثلاثة إقامة الصلاة التي هي وصفنا ومدلول الواو، والصلاة: كلها حادثة، وإسناد طلب الصلاة منهم إلى الله تعالى قديم.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ﴾؛ مدلولات المفردات عدا رب وضميره في لا تذر وهو نوح وقوله ومدلول ﴿لَا تَذَرۡ﴾ هو إهلاك الكفار، كلها حادثة، وإسناد قائلية هذا القول لنوح قديم، وإسناد طلب الإهلاك من الله تعالى حادث؛ لأن الأول كلام والثاني إسناد نوح. وأما قولنا ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ فمدلولات المفردات كلها ما عدا رب وقوله: حادثة، وإسناد القول للرب قديم وكذا إسناد طلب السجود لآدم من الملائكة قديم أيضا. فالإسناد الذي اشتملت عليه الحكاية وكذا إسناد المحكي قديمان والمفردان في الحكاية المسند والمسند إليه قديمان أيضا والباقي حادث انتهى

ثم قال المنجور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما وقع في هذا المقام من التعبير بالحكاية يوجد مثله

لكثير من أهل العلم، وأنكره الإمام أبو عبد الله محمد بن عباد[1] قال في رسائله الكبرى: وقد رأيت في مواضع من كتبهم شيئا أردت تنبيهكم عليه، وهو أنكم تقولون فيه حكى الله عن فلان كذا. وقد يقع مثل هذا في كلام الأئمة، وهذا عندي ليس بصواب من القول؛ لأن كلام الله تعالى صفة من صفاته، وصفاته تعالى قديمة، فإذا سمعنا الله تعالى يقول كلاما عن موسى عليه السلام أو غيره، لا يقال: حكى عنهم كذا؛ لأن الحكاية تؤذن بتأخيرها عن المحكي، إنما يقال في مثل هذا: أخبر الله تعالى أو أنبأ أو بلفظه كلاما معناه هذا انتهى باختصار.

ص:

واحذر أقاويل ذوي الأهواء فإنها من أدوإ الأدواء

واسلك سبيل السنة الغراء فنورها باد لعين الرائي

فالشر مقرون بالابتداع والخير مضمون بالاتباع

ش: يعني اجتنب أقاويل أهل الأهواء والابتداع من أن القرآن مخلوق، فإن ذلك من أعضل الأدواء، جمع داء وهي العلة والمرض، أي أمرض الأمراض للقلوب أعاذنا الله تعالى منه.

كما وقع للمبتدعة وبعض الخلفاء حتى امتحن في ذلك أهل السنة محنة عظيمة، وقتل بسببها كثير منهم، وامتحن بها الإمام أحمد، وضرب فيها ضربا شديدا، وقتل فيها أحمد بن نصر[2] وعلق رأسه ببغداد، فرئي رضي الله عنه في النوم في أحسن حال، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة بامتناعي من القول بخلق القرآن، إلا أنه أصابني غط لإعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنى، فقلت: يا نبي الله، ألست على الحق؟ قال: بلى. قلت: ما هذا الإعراض؟ قال صلى الله عليه وسلم: استحياء منك؛ لأنه قتلك رجل من أهل بيتي. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ولذلك قال الناظم: واسلك سبيل، الطريق، السنة الغراء أي المشهورة، مأخوذ

(1) هو أبو عبد الله محمد بن ابرايهم المعروف بابن عباد النفزي الرندي توفي بفاس سنة 733هـ

(2) هو العلامة المحدث الشهيد أحمد بن نصر قتل في محنة خلق القرآن سنة 231هـ

من غرة الفرس وهو بياض في وجهها، عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم من عدم القول بخلق القرآن.

قوله: فنورها باد بسلوك تلك الطريق ظاهر لعين كل راء لا تلبس عليه، إلا من أعمى الله قلبه بهواه وابتدع، فالشر كله في الابتداع، والخير كله مضمون لنا في اتباع الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون كما قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ص:

واعمل بما تحبى به الأجورا وحاذر الفحشاء والفجورا

والعجب والغيبة والرياء واجتنبن فخرا وكبرياء

ش: هنا شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر غوائل النفس ومجاهداتها، وذلك من الفروض العينية. فقال: واعمل أيها الإنسان الشفيق لنفسه الساعي في تخليصها بالطاعات مما تحصل به الأجور في الدار الآخرة؛ إذ عمر الإنسان رأس ماله، فوجب عليه أن يستعمله في طاعة الله تعالى، وأن يجنبه معاصي الله تعالى كلها، والفحشاء والفجور لفظان مترادفان على معنى واحد، وكذلك الباطل وهو ما حرم الله تعالى. قوله: والعجب.. إلى آخره: من باب عطف الخاص على العام؛ إذ ذلك كله داخل في الفحشاء والفجور.

قوله: والعجب وهو رؤية النفس وعملها مع نسيان نعمة الله تعالى بذلك عليه، وهو أصل الكبر، وهو محرم ومبطل للعمل- أعاذنا الله منه- فالواجب أن يعلم أن كل فعل حسن وما حصل له من كل شيء من جسد ومال وولد من نعمة الله تعالى عليه، وأنه غير مستحق لذلك لولا فضل الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾.

قوله: والغيبة وهو ذكر الإنسان بما يكره في غيبته وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وهي كبيرة، وعامة عذاب القبر منها. وفي شرح يوسف بن عمران[1] الغيبة

(1) في النسخ المعتمدة عمران هكذا لكن يظهر أنه تصحيف لعمر، وهو العلامة أبو الحجاج =

أعظم من غصب المال(1).

قوله: والرياء هو العمل لغير وجه الله تعالى وهو الشرك الأصغر وهو محبط للعمل كإحباط الكفر للطاعات، وهذا إذا كان الباعث له على العمل هو الرياء، وأما إن عزم على العمل ثم عرض له الرياء فليعمل العمل ويجاهد نفسه في دفع ذلك العارض ويستغفر منه، ولا يترك العمل؛ لأن ذلك والعياذ بالله موجب للبطالة وإهمال الطاعات، وذلك من الشيطان، فليعمل ويستغفر الله تعالى. وأما إن كان الباعث له هو الرياء، فلا يجوز له وقوع الفعل؛ لأنه معصية، فإن وقع فهي معصية أخرى يجب منها التوبة كالرياء.

قوله: واجتنبن فخرا وكبرياء هما متقاربتان، فالكبر هو بطر الحق وغمط الناس، وهي معصية كبيرة، ومعنى بطر الحق. إخفاؤه، وغمط الناس: احتقارهم. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح القصيد: حقيقة الكبر رؤية شفوف للنفس على شيء من مخلوقات الله تعالى، ولو كلبا أو عذرة ونحوهما. انتهى

ولا شك أن من رأى نفسه أفضل من غيره من سائر المخلوقات لذاته، فلا شك أنه متكبر تابع للشيطان- لعنه الله- في ذلك، إذ قال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، إذ لا تتفاضل الأجسام لذواتها، وإنما تفاضلها بتخصيص الله تعالى فضلا منه ونعمة، فمن رأى ذاته لا فضل لها لذاتها، بل هي مساوية لغيرها، إلا أن يتفضل الله عليها بذلك، فليس بمتكبر، والله تعالى أعلم.

ص:

وامـر بمعروف وغير منكرا وانصح ونبه ذا اغترار من كرى

ش: يعني أنه يجب عليك، أيها المكلف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوب الكفاية. والمعروف هو ما عرف من الشرع أن الله سبحانه أمر به أو رسوله ﷺ،

= يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي ت 771هـ له تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، انظر كفاية المحتاج ج2 ص: 206، مصدر سابق

(1) وقيل إن الغيبة من الكبائر وقيل إن غيبة العلماء هي التي من الكبائر وغيبة العامة من الصغائر لكن الأدلة تدل على أنها كبائر كلها. من درس شيخنا حفظه الله.

والمنكر كل ما ينكر في الشرع مما نهى الله سبحانه ورسوله ﷺ

وأما الأمر فيشمل الواجب والمندوب، والمنكر أيضا يشمل الحرام والمكروه، لكن أول القسمين وجوبا[1]، والثاني استحبابا، لكن يشترط في جواز الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر شرطان:

- **الأول** أن يكون الفاعل عالما بالمعروف والمنكر لئلا ينعكس الأمر؛
- **الثاني** أن لا يؤدي إلى مفسدة أعظم كمنكر أعظم من الذي ينهى عنه.

ويشترط في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القدرة على ذلك؛ بأن يعلم أو يغلب على ظنه قبول ذلك منه: فليأمر بالرفق واللين، فإن لم يفعل فليغلظ له الكلام والشتم دون ما يوجب الحد، فإن لم يرجع فليضربه، فإن لم يرجع أشهر له السلاح إن كان يؤمن الفتنة.

وهذا كله على الكفاية على جميع الناس: فإن قام به بعضهم سقط الفرض عن الباقين.

وإن لم يقدر على أحد الوجوه المتقدمة ففرض عليه أن يغيره بقلبه على التعيين، لا على الكفاية، فيكرهه بقلبه ولا يخالطه ولا يجالسه ولا يواكله ولا يضاحكه، إلا أن يكون خائفا من ظلمه، فيجوز له ذلك على وجه المداراة، والله أعلم.

ص:

وابـدأ بنفسـك انْهَهَـا عـن غيهـا   واجعـل مـن التقـوى جميـل زيّهَـا

ش: الغي ضد الرشد وهو الضلال، يعني أنك تبدأ بنفسك في الأمر والنهي عن المنكر؛ إذ بذلك تسلم من الوعيد الشديد الذي تضمنه قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية بالشروط المعروفة؛ لكن المعروف الذي يجب الأمر به ما كان فعله واجبا، والمنكر الذ يجب النهي عنه ما كان حراما. وأما ما كان مندوبا أو مكروها فيندب الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه. من درس شيخنا حفظه الله.

بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية وقوله في الحديث "كنت آمركم بخير ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه"(1) أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه وكرمه.

وقوله: واجعل من التقوى جميل زيها، الزي: الهيئة والسمت، أي اجعل جميع هيئات نفسك الأمارة بالسوء من التقوى، أي مع التقوى، أي لا تفارقك تقوى الله تعالي في جميع حالاتها وفي جميع تصرفاتها من قول وفعل وقصد؛ ليكون ذلك كله في طاعة الله تعالى وفي ما أمر به نبيه خالصة لله؛ إذ لا يقبل سبحانه من ذلك إلا ما أريد به وجهه سبحانه.

ص:

واقطع ذوي الميل وواصل من عدل ولا تمل إلى المراء والجدل

ش: هنا نبه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الركن الأعظم للدين والدنيا وهو أصل كبير لجميع الأمور؛ إذ لا يتم انتظام الأمور إلا بها، والصلاح والفساد منوط بهما عادة، فأمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقطع صحبة ذوي الميل إلى الشهوات التي هي أسباب المعاصي، فأحرى من مال إلى المعاصي جهارا، وأمر بمواصلة أي صحبة من عدل عن الشهوات واعتدل في فعله وقوله: بحيث أنه ما قصر عن المأمور شرعا، ولا اعتدى بحيث أفرط حتى جاوز الحد، وهو الاعتدال بين الإفراط و التفريط، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وقد قال ﷺ "خير الأمور أوسطها"(2) فصحبة أهل الخير مؤدية إلى الخير وصحبة أهل الشر مؤدية إلى الشر؛ لأن الطبع يسرق من الطبع، والنفس مجبولة على الاقتداء بمن تستحسن حاله، كما قال ﷺ "المرء على دين خليله فلينظر من يخالل"(3) وقد قال صاحب الحكم: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله، ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان من نفسك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ فأخبر بعداوة الأخلاء بعضهم لبعض في الآخرة؛ إذ كل واحد يرى

(1) أخرجه البخاري (3267)، ومسلم (2989) باختلاف يسير

(2) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (5/ 261). وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) مرسل

(3) أخرجه أبو داود (4833)، والترمذي (2378)، وأحمد (8398) واللفظ له

أنه أتاه الضرر من ناحية خليله، حيث لم يصطحبا على طاعة الله تعالى في الدنيا، بخلاف المتقين الذين صحبتهم على طاعة الله تعالى والإعانة فيها، فإن كل واحد يرى أنه جاءه النفع والسلامة من قبل صاحبه؛ فلذلك زادت في الآخرة جعلنا الله تعالى من عباده المتقين.

قوله: ولا تمل... إلخ، أي لا تعطف إلى المراء[1]، وهو جحود الحق بعد ظهوره، والجدال في الشريعة كمجادلة أهل الأهواء؛ فإن ذلك كله حرام، إلا إذا خيف ظهور الباطل على الحق بإيراد الشبه، فوجب على القادر على حل الشكوك ورد الشبه ذلك، فهو مأجور إن حسنت نيته، والله أعلم.

ص:

وفي كتاب الله أسنى مكتفى ... به وما سن الرسول المصطفى

وما عليه أجمع الأعلام ... ممن تزكت منهم الأحلام

ش: يعني أن في كتاب الله تعالى، وهو القرآن العظيم، أسنى، أي أرفع، مكتفى به عن غيره وأقوى، بمعنى أن النجاة من النار في الآخرة في اتباع القرآن العزيز، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٦﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وإذا اختلف العلماء فمن وافق قوله القرآن فهو المتبع؛ لأن العصمة مضمونة في ذلك قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي كتابه.

قوله: وما سن الرسول المصطفى ﷺ يعني أن في اتباع سنة رسول الله ﷺ النجاة والعصمة لقوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ونحوها من الآيات.

---

(1) المراء و الجدال عبارتان متقاربتان أو مترادفتان و المراء من: ما راه مماراة وهو أن تعترض على الغير لبطلان قوله، هذا إذا كان لإظهار الحق ليس مراء لكن مع ذلك لا تنتصر لنفسك و لا تكون حريصا على ظهور الحق على يدك، قال الشافعي: ما ناظرت أحدا إلا و أحببت أن يكون الحق على يده. عله يرجع للحق. من درس شيخنا حفظه الله.

قوله: وما عليه أجمع الأعلام... إلخ يعني أن في اتباع الإجماع الذي أجمع عليه علماء المسلمين النجاة والعصمة، من الصحابة ومن بعدهم من العلماء الأعلام، أي المشهورين، شبههم بالأعلام، جمع علم وهي الجبال المرتفعة؛ لشهرتهم بالفضائل التي خصهم الله تعالى بها .

قوله: ممن تزكت أي من الذين طهرت منهم العقول، أي القلوب، التي هي محل العقل، وطهارتها: نزاهتها عن الصفات المذمومة من الكبر والحسد والغل وأعراض الدنيا، واتصافها بالصفات المحمودة من الإيمان والخشية والتواضع والإخلاص لله في جميع الأمور. والأحلام جمع حلم وهو العقل، يريد الناظم أن في اتباع السلف الصالح، وهم الصحابة والتابعون ﷺ وما أجمعوا عليه، نجاة وعصمة، ومخالفتهم حرام وضلال لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٤﴾﴾.

ص:

وأكــــرم العبـــــاد عنــــد الله مــن لـم يكـن في عيـشه بـاللاهي

ش: يعني أن أكرم العباد على الله تعالى من لم يكن في عيشه، أي في حياته، باللاهي أي صاحب لهو ولعب، بل لازم الجد في طاعة الله تعالى والخشية له في جميع أموره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ كما قال القائل:

يـرى مـستكينا وهـو للهـو ماقـت بـه عـن حديث القـوم مـا هـو شَاغِلُهْ
فأزعجــه علــم عــن اللهــو كلــه ومــا عــالم شـيئا كمـن هـو جاهلـه
عبـوس عــن الجهــال حــين يــراهم ولــيس لــه مــنهم خــدين يهازلــه
تــذكر مــا يـبقى مــن العــيش آجــلا فأزعجـه عـن عاجـل العـيش آجلـه(1)

(1) قال عمر بن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله: كان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات

وأفهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ إلخ.. فاتبعه، وارفضها، واجعل همك في الآخرة[1].

ص:

وفي اتباع السلف الهداة   وسيلة للأمن والنجاة

ش: يعني أنه في اتباع السلف، أي المتقدمين، الهداة، جمع هاد أي الصالح، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان رضي الله تعالى عنهم، وسيلة، أي ذريعة وسبب وطريقة توصل إلى الأمن، أي الأمان من الضلال والنجاة من النار ومن كل مكروه. وهذا من معنى البيتين المتقدمين: وفي كتاب الله... إلخ، إلا أن هذا أعم؛ لأن معنى البيتين في أمور الشريعة، وهذا في الشريعة والمعاملة، فهو أعم، والله أعلم.

ص:

ولنجعل الختام بالشهاده   تفاؤلا برتبة السعاده

لأن لا إله إلا الله قد   تضمنت جملتها ما يعتقد

في حق ربنا وفي حق الرسل   الناهجين للورى أهدى السبل

من واجب وجائز وما امتنع   ومن يكن يعرف معناها ارتفع

ش: أشار الناظم رحمه الله إلى أنه ختم تأليفه ونظمه بكلمة الشهادة، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، يعني ختمه بالكلام على ما تضمنته هذه الكلمة الشريفة من مسائل التوحيد وعقائد الإيمان؛ تفاؤلا بذلك أن يختم له بها عند الموت، ليفوز برتبة السعادة، لقوله ﷺ "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[2] وفي لفظ "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[3] ووفق الشيخ بين

---

(1) العاقل من لم يشتغل بزخارف الدنيا وغررها و متعها عن الحياة الباقية من موت وما بعده من برزخ وحشر ونشر وحساب وعقاب ومرور على الصراط إما إلى الجنة أو النار فهذه المسافة البعيدة الشاقة لا ينبغي لعاقل أن يشتغل عنها. من درس شيخنا حفظه الله

(2) أخرجه أبو داود (3116) واللفظ له، وأحمد (22034)

(3) أخرجه مسلم في صحيحه 2643

الحديثين بأن الأول في من يقدر على النطق عند الموت، والثاني في من لا يقدر على ذلك.

قوله: لا إله إلا الله... إلخ، يعني أن هذه الكلمة الشريفة قد اشتملت جملتها[1]، أي جميعها، على جميع مسائل الاعتقادات في حق مولانا جل وعز، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام الناهجين المبينين للخلق أوضح الطرق للنجاة من كل شر المقربة لكل خير: مما يجب ويستحيل ويجوز في حق مولانا جل وعز، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام.

قوله: ومن يكن يعرف معناها ارتفع، يعني أن من يعرف معنى الكلمة الشريفة ارتفع، أي ارتقى إلى درجة الإيمان، وتباعد عن مذلة الكفر والهوان أعاذنا الله تعالى منه فمفهوم كلام الناظم أن من لم يعرف معناها لا يرتفع إلى درجة الإيمان، بل يتضع إلى منزلة الكفر والهوان، وهذا موافق لفتوى علماء بجاية[2]؛ إذ سئلوا في أول القرن التاسع: عمن لا يعرف معنى لا إله إلا الله ولا يدري ما أثبت بها ولا ما نفي، هل يحكم له بالإسلام بمجرد اللفظ؟ فأجابوا: بأنه لا نصيب له في الإسلام. وقد

(1) لا إله إلا الله مدلولها المطابقي: لا معبود بحق في الواقع إلا الله، ومدلولها الالتزامي يتضمن ذلك كله، وهو "المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه" فقوله "المستغني عما سواه" تضمنت جميع ما يجب لله تعالى من الصفة النفسية و الصفات السلبية ما عدا التوحيد، وكذلك السمع والبصر والكلام من صفات المعاني، ولوازمها من كونه سميعا .. إلخ، ومقابلاتها المستحيلة على الله، لا ستلزامها تنزهه عن النقائص؛ كما استلزمت أن لا يجب عليه فعل ممكن ولا تركه. وقوله "المفتقر إليه كل ما عداه" أثبتت صفات التاثير الأربعة من صفات المعاني، وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة، ولوازمها من كونه عالما قادرا .. إلخ ومقابلاتها؛ وأثبتت أيضا الوحدانية من الصفات السلبية. إذًا اجتمع ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى ومقابلاتها المستحيلة في حقه في هذه الكلمة مع اختصارها. وإذا قلنا "محمد رسول الله" فهذا تصديق لكل ما أتى به و التصديق بجميع الرسل وما يلزم مع ذلك من وجوب الصدق والأمانة والتبليغ في حقهم و استحالة أضداها عليهم و جواز الأعراض التي ليست بمخلة والتي لا تنقص من قدرهم، فهذا كله جمعته هذه الكلمة. من درس شيخنا حفظه الله

(2) وهي مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد 250 كلم شرق الجزائر العاصمة وقد أسسها الملك الناصر بن علناس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري

ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر أيضا معنى الكلمة الشريفة في الصغرى مبسوطا، فلينظر فيها[1]، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

ص:

كمـا تـولى بـسطه الـسنوسي مغترفـا مـن فيـضة القـدوس

ش: يعني أن الشيخ الإمام أبا عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني التلمساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى بسط معنى كلمة لا إله إلا الله في عقيدته الصغرى المسماة عندنا بأم البراهين.

قوله: مغترفا من فيضة القدوس، أي أخذ من ذلك من إفاضة الله تعالى له ذلك وإلهامه بطريق الفيض، من غير تعلم أحد، وهو المسمى بالعلم اللدني، وهو الذي يلهمه الله تعالى بعض أصفيائه من غير تعلم بشر ولا ملك، وهو عمدة أهل الحقائق وأرباب الأحوال، نفعنا الله تعالى ببركاتهم. ولذلك منع أهل السلوك من السؤال عن شيء للشيوخ، فضلا عن الإنكار عليهم، حتى يحصل لهم ذلك بطريق الإلهام، فذلك علامة للوصول، فلا يخطر لصاحب الحال شيء إلا خطر مثله للسالك، إلهاما من الله تعالى.

ولذلك قيل: لن يفهم عنك إلا من أشرق في قلبه مثل ما أشرق في قلبك. وعلمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إشارة كما قيل:

تـشير فـأدري مـا تقـول بطرفهـا وأطـرق طـرفي عنـد ذاك فـتفهم[2]

رزقنا الله حبهم وأفاض علينا من أحوالهم. ولذلك كان المنكر عليهم في غاية الحرمان من أحوالهم، وإن بلغ في العلوم ما بلغ بل الواجب عليهم التثبت والاستسلام والانقياد للشيخ المربي حتى يحصل الفيض من الله تعالى، فهناك تتضح له الحقيقة، ويكشف له الغطاء عن الأمور، فيراها على ما هي عليه، فالواجب

(1) من الصفحة 221 إلى 323، مصدر سابق

(2) البيت لمحي الدين بن عربي الحاتمي وبعده:

تكلـم منـا في الوجـوه عيوننـا فـنحن سـكوت والهـوى يـتكلم

الانقياد والاستسلام للمربي، وإن ظهر منه ما ينكر ظاهره. وعندهم أن من اعترض على الشيخ حرم بركته، وفي كتاب الله تعالى دليل على ذلك في قصة كليمه موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام.

ص:

وقــد أخــذت كتبــه درايــه عمــن تلــقى في العلــوم الرايــه

عــمي ســعيد الإمــام المقــري عــن ابــن مــلال عــن الحــبر الــسري

ســعيد الــشهير بــالكفيف عــن الــسنوسي الــرضى العفيــف

مؤلــف العقائــد الــشهيره وفــضله كالــشمس في الظهــيرة

ش: ثم بين الناظم رحمه الله سنده في مؤلفات السنوسي رضي الله عنه، فأخبر أنه أخذ مؤلفات السنوسي عن عمه، الذي أخذ الراية في العلوم الإسلامية وهو الإمام كما قال أبو عثمان سعيد[1] بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة، عن ابن ملال وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ملال التلمساني[2] عن الحبر السري أي العالم السيد أبي عثمان سعيد المانوي[3] التلمساني، عن السنوسي الرضى العفيف وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن شعيب السنوسي، وبه عرف نسبة لقبيلة بالمغرب، الحسني نسبة للحسن بن علي رضي الله عنهما من جهة أم أبيه. قاله تلميذه

---

(1) تقدمت ترجمته في الصفحة 61

(2) وفي النسخة المنقولة من خط المقري بخط تلميذه الغرياني فيها: بن جلال بالجيم انتهى قال عنه ابن أبي مريم في بستانه هو سيدي محمد بن عبد الرحمن بن جلال بالجيم .نزيل فاس ومفتيها قال سيدي أحمد المنجور كان فقيها علامة مشاركا في كل فن موحدا مفتيا خطيبا استفدت منه في العقائد وفي الفقه، ت في ثامن رمضان عام 981هـ انظر البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم تاريخ الطبعة 1326هـ 1980م، ص: 260

(3) هو الشيخ أبو عثمان سعيد الكفيف المنوني، كان من أصحاب الشيخين السنوسي وابن زكري ومن العلماء العاملين والأئمة المهتدين توفي عام 930 من دوحة الناشر.

الملالي[1].

قال: وهو الإمام العلامة المتقن الصالح الزاهد ولي الله تعالى ابن الشيخ الصالح الزاهد الخاشع الأستاذ المحقق أبي يعقوب. نشأ خيرا مباركا فاضلا أخذ عن جماعة كوالده[2] والعلامة نصر الزواوي[3] والولي الكبير الحسن أبركان[4] وأخذ الفرائض والحساب عن العلامة محمد بن تونرت[5] والقلصادي[6] وأخذ القراءات عن الشريف يوسف[7] بن أحمد وعلم الأسطرلاب

---

(1) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن علي الملالي من أشهر تلامذة السنوسي وقد ألف كتابا قيما في مناقب السنوسي سماه: "المواهب القدسية في المناقب السنوسية" وقد حصلنا على نسخة مخطوطة منه.

(2) هو أبو يوسف يعقوب بن شعيب السنوسي كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاهدا في الدنيا معرضا عنها مقبلا على طاعة الله سالم الصدر حسن الأخلاق مبتسما في وجه كل من لقيه كريم الطبع له كرامات كثيرة... دفن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خارج باب الجياد وقبره معروف، المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي، ص: 14-17 مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

(3) كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكابر تلامذة الشيخ سيدي محمد بن مرزوق وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينهانا كثيرا عن كتب شيء من القرآن بالحروز تساق إلينا، من المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط مصدر سابق، ص: 18

(4) الحسن بن مخلوف أبو علي عرف بأبركان ومعناه بالبربرية الأسود، فقيه صالح صاحب مكاشفات أخذ عن المصمودي والوغليسي و أخذ عنه الحافظ التنسي والسنوسي ولازمه كثيرا وانتفع به. توفي سنة 857. ج1 كفاية المحتاج مصدر سابق، ص189-190

(5) هو شيخ العلامة العالم العلم المشارك المحصل الورع الصالح أبو عبد الله محمد بن تونرت الصنهاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قرأ عليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صغره جملة من الحساب والفرائض ..... خارج الجياد وقبره معروف. المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط مصدر سابق، ص: 18-17

(6) هو علي بن محمد القرشي صاحب الرحلة كان عالما فاضلا له تواليف أكثرها في الحساب والفرائض أخذ عن ابن فتوح والعقباني والحافظ ابن حجر والجلال المحلي وغيرهم وعنه أخذ السنوسي الفرائض والحساب. توفي سنة 891. ج1 كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص361-363

(7) هو الشيخ الفقيه الوجيه النزيه العالم العامل الأستاذ المحقق المقرئ أبو الحجاج يوسف بن =

عن العلامة الحباك[1] والأصول والمنطق عن الإمام ابن العباس[2] والفقه عن الجلاب[3] وأخيه التالوتي[4]، وعلم التوحيد عن أبي القاسم[5]، والحديث الصحيحين وغيرهما عن الإمام الثعالبي[6] وأجازه، في المسلسلات وأشياء كثيرة عن

=

الشيخ الأجل الأحسن الصالح الأنسب المقدس المرحوم أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني قرأ عليه الشيخ القرآن الكريم بالقراءات السبع ... دفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ خارج باب الجياد من تلمسان وقبره معروف.المواهب القدسية، مصدر سابق

(1) هو أحمد بن محمد، فقيه فاسي روى عن ابن غازي، كان قواما بالحق مغيرا للمنكر لا تأخذه لومة لائم. توفي مسموما عام 938. كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج1 ص134

(2) هو الشيخ الإمام العالم الحافظ المتفنن الصالح البركة أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قرأ عليه الشيخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شيئا من علم الأصول وقرأ عليه من كتب المنطق الجمل للخونجي توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطاعون آخر عام 871هـ، المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مصدر سابق.

(3) هو سيدي محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني الفقيه العالم أحد شيوخ أبي العباس الونشريسي هو والإمام السنوسي توفي سنة 875، انظر البستان مصدر سابق ص: 235

(4) هو الشيخ الفقيه المتفنن العالم الصالح البركة أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري وهو أخو الشيخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأمه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالما محققا متقنا حافظا لكتاب ابن الحاجب الفرعي توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام 895هـ . المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي مخطوط، مصدر سابق، ص: 22-28

(5) هو الشيخ الإمام العالم الورع الصالح سيدي أبو القاسم الكناشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ عليه الشيخ وأخوه سيدي علي التالوتي رحمة الله عليهما كتاب الإرشاد لأبي المعالي في التوحيد وأجازهما في جميع مروياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ. المواهب القدسية في المناقب السنوسية، للملالي، مخطوط مصدر سابق، ص: 29

(6) هو العلامة الصالح ولي الله العارف به أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي صاحب التفسير وشرح ابن الحاجب الفرعي، أثنى عليه شيوخه كالأبي وابن مرزوق والولي العراقي، أخذ عنه ابن مرزوق الكفيف والسنوسي وغيرهما. توفي سنة 875. كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج1 ص278-280

الولي الصالح العلامة إبراهيم التازي[1] وألبسه الخرقة وحدثه بها بسنده وبصق في فمه.

كان آية في العلوم والصلاح والهدى والورع، له أوفر حظ في العلوم فروعها وأصولها وغيرها، وكان لا يقرأ أشياء من علم الظاهر إلا خرج لعلم الآخرة كأنه يشاهدها لكثرة مراقبته، جمع بين الحقيقة والشريعة على أكمل وجه، طويل الحزن كثير الخوف، ولشدة خوفه يسمع لصدره أنين، مستغرق في الذكر لا يشعر بمن معه، مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب، رحيما هينا لينا، حسن الكلام مع من لقيه متبسما معه، لا ترى أحسن خلقا، ولا أوسع صدرا وأكرم نفسا وأعطف قلبا وأحفظ عهدا منه، يوقر الكبير ويتواضع للضعفاء، معظما جانب النبوة، لا يعارض أحدا إلا أفحمه، يشفق على الخلق ويقضي حوائجهم عند السلطان ويصبر على أذاهم.

جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية، ارتحل إليه الناس وتبركوا به، له مكاشفات، غاية في الزهد عن الدنيا وأبنائها. بعث إليه السلطان في أخذ غلات مدرسة شيخه الولي الحسن أبركان، فأبى. وأتى إليه ولد السلطان ومعه عين فقبل يديه ورجليه، وطلب منه قبوله؛ فأبى وتبسم معه ودعا له، فلما أيس منه طلب منه التصدق به على الفقراء؛ فأبى. وكان يمنع من يقبل يده. وطلبه السلطان في الطلوع الإقراء و التفسير؛ فأبى. وإذا سمع بوليمة أبناء الدنيا اختفى مدتها حتى تنقطع، ولا يقبل عطيتهم، وإذا قبلها أهل بيته، وهو غائب، تغير كثيرا إذا حضر. وكان مع ذلك حليما صبورا، يسمع ما يكره ولا يبالي به، بل يبتسم ولا يحقد على أحد ولا يعبس، يطيب كلامه لمن يؤذيه حتى يظن أنه صديقه.

و لما ألف بعض عقائده أنكره كثير من علماء وقته وتكلموا بما لا يليق فكثر تغيره لذلك ثم رأى في منامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقفا على رأسه يهدده على الخوف من الناس فأصبح وقد زال حزنه وقوي على المنكرين فَخُرِسُوا حينئذ

---

(1) هو علامة ورع معدود في الأولياء إمام في الفقه والحديث و الأصول أخذ عن قاضي مكة الشريف تقي الدين الفاسي وعن العبدوسي ومحمد بن المرزوق وعنه الحافظ التنسي والسنوسي وغيرهم توفي سنة 866هـ من كفاية المحتاج، مصدر سابق ج1، ص: 167-171هـ

وسمح لهم وأقروا بفضله ولا يدعو على أحد إلا مرة غضب على منكر رآه في مسكن فدعا عليه بالإجلاء فنفذ في أقرب مدة وطلب منه بعض من يذمه من علماء عصره في مرضه أن يسمح له فغفر له ولما مات بكى عليه هذا العالم كثيرا ومتى ذكره قال: فقدت الدنيا بفقده! وكان يقف مع الرجل لا يفارقه حتى ينصرف عنه وكان إذا استعار كتابا رده في أقرب مدة وربما كان سفرا ضخما فيطالعه يوما واحدا ويرده وكان يأمر أهله بالصدقة ويتولاها بيده ويخرج للخلوات ومواضع الحرب كثيرا للاعتبار وسأله بعض الناس عن تغير وجهه فأجابه بشرط أن يكتمه بأن الله أطلعه على رؤية جهنم وما فيها أعاذنا الله تعالى منها.

وكان يصوم ويفطر على ما تيسر، وربما بقي ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب، ويسألونه بعد جل النهار: أمفطر أنت؟ فيقول: لا صائم ولا مفطر! فيقال: ألا تذكره لنا؟ فيتبسم. وذكرت زوجته أنه في بدء أمره إذا قام من الليل، نظر إلى السماء، ويقول: يا سعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد؟ ثم التزم صوم عام إن رجع للنوم بعد التيقظ، فإذا انتبه أحيا الليل كله للفجر إما بصلاة أو مطالعة أو نسخ أو ذكر، هذا حاله.

وكان يشق عليه الخروج للمسجد للإقراء، لا يخرج إلا حياء ممن ينتظره. ثم انقطع عنه بمرضه، عشرة أيام، ثم توفي رحمه الله ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرة فقال: هل ثم غيره؟ وقالت له بنته: تتركني؟ فقال لها: الجنة تجمعنا إن شاء الله تعالى كان يقول عند موته: نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها.

فتوفي في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة، ومولده بعد الثلاثين وثمانمائة. وذكر قبل موته أن سنه خمس وخمسون سنة، ذكره الملالي.

وعنه أيضا أنه ثلاثة وستون سنة.

ومن كراماته أن رجلا أتى بلحم من السوق، فسمع الإقامة من المسجد، فدخل واللحم في جيبه، فكبر كذلك، فلما سلم دخل داره وطبخ اللحم إلى العشاء، فإذا هو بحاله لم يتغير، فظنه لحم شارف فما زال يوقد عليه إلى الصبح، وهو على حاله كما

وضع. فتذكر وذهب للشيخ فأخبره فقال: يا بني، أرجو أن كل من صلى ورائي لا تعدو عليه النار، ولعل هذا اللحم من ذلك، ولكن اكتمها! انتهى

ألف تواليف كثيرة ك: شرحه الكبير المسمى بالمقرب المستوفي على الحوفي ألفه وهو ابن تسعة عشر سنة وتعجب منه شيخه أبركان وأمره بإخفائه حتى تكمل سنه ثلاثين خوفا عليه من العين؛ وعقيدته الكبرى أول ما صنعه في التوحيد؛ وشرحها؛ والوسطى؛ وشرحها؛ والصغرى؛ وشرحها من أجل العقائد لا نظير له تكفي عن سائر العقائد ورئي بعض الصالحين بعد موته فأخبر أنه دخل الجنة فإذا الخليل إبراهيم ﷺ يقرئ صبيانها عقيدة السنوسي في الألواح؛ وعقيدة أصغر منها؛ وشرحها؛ والمقدمة؛ وشرحها؛ وشرح الأسماء الحسنى، وشرح التسبيح دبر الصلوات؛ وشرح الحوضي في العقائد؛ وشرح الجزائري؛ ومختصر الأبي على مسلم؛ وشرح منطق البرهان البقاعي، ومختصره فيه! وشرحه؛ وشرح جليل على رجز الحباك في الأسطرلاب؛ وشرح أبيات الإمام الألبيري في التصوف؛ وشرح الأبيات التي أولها: تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر؛ وشرح عجيب على البخاري إلى باب من استبرأ لدينه؛ وشرح مشكلاته في كراسين؛ ومختصر الزركشي؛ قال الملالي، وله عقيدة فيها دلائل قطعية رد بها على من أثبت تأثير الأسباب العادية؛ ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف؛ وشرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن الياسمين؛ وشرح جمل الخونجي؛ وشرح مختصر ابن عرفة: قال لا أستعين عليه إلا بالخلوة لصعوبته؛ وشرح رجز ابن سينا في الطب: لم يكمل؛ وله مختصر في القراءات السبع؛ وشرح الشاطبية الكبرى لم يتم؛ وشرح الوغليسية في الفقه لم يتم؛ ونظم في الفرائض؛ ومختصر رعاية المجانس؛ ومختصر الروض الأنف للسهيلي لم يتم؛ ومختصر بغية السالك للساحلي؛ وشرح المرشدة؛ وشرح الجرومية؛ وشرح الجواهر في الكلام للعضد على طريق الحكماء وهو صعب على الفهم جدا، و تفسير القرآن إلى قوله!﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ في ثلاثة كراريس؛ وتفسير سورة ص وما بعدها؛ وله جزء في تفسير" المعدة بيت الداء"، قيل؛ وتعليق على ابن الحاجب الفرعي أخذ عنه جماعة كسعيد الكفيف وابن صعد(1)

---

(1) هو الفقيه العالم العلامة المحصل سيدي محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد وبه عرف التلمساني من أكابر علمائها مؤلف النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب. =

وبلقاسم الزواوي[1] وابن أبي مدين[2] ويحيى[3] بن محمد وابن الحاج البيدري[4] وأبي عبد الله بن العباس[5] وأبي محمد القلعي[6] وغيرهم. انتهى باختصار في ترجمته من

= وتأليف في الصلاة على النبي ﷺ. وروضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين وهم: الهواري وإبراهيم التازي والحسن بن ابركان وأحمد بن الحسن الغيماري أخذ عن جماعة منهم الإمام السنوسي وتوفي بالديار المصرية في رجب سنة 901هـ البستان، مصدر سابق، ص: 251-252.

(1) هو الشريف الفقيه الولي الصالح العالم المدرس من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم أخذ عنه محمد بن عمر الملالي توفي في صفر سنة 922، البستان مصدر سابق، ص: 71

(2) هو سيدي محمد بن أبي مدين التلمساني تلميذ الشيخ السنوسي كان حيا سنة 920هـ، البستان، مصدر سابق: ص: 259

(3) هو الفقيه الورع الولي الصالح ذو الكرامات السنية والأحوال المرضية سيدي يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني أخذ عن شيخه السنوسي قرأ عليه الفقه والأصول والبيان والمنطق صاحبه سنين عديدة توفي شيخه ولا زم قبر شيخه سنين حتى باع جميع ما عنده... ولم أقف على وفاته. البستان، مصدر سابق، ص: 305-307

(4) هو سيدي أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوفي أصلا ونجارا الوريندي مولدا ودارا عرف بابن الحاج كان في ابتداء أمره ساكنا بموضع يقال له: اثلاثن ثم ارتحل إلى وادي يبدر وقرأ على سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني أخذ عنه الأصول والمنطق والمعاني والبيان والعربية وكان ماهرا فيها والحساب توفي قريبا من 930هـ ودفن في روضة هو وأبوه سيدي الحاج في بني إسماعيل من جبل يبدر، البستان، مصدر سابق، ص: 24-8

(5) هو الشيخ الفقيه النحوي العالم سيدي محمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبد الله أخذ رَحِمَهُ اللهُ عن علماء تلمسان ولازم الإمام السنوسي والكفيف بن مرزوق والحافظ التنسي والعلامة ابن مرزوق، كان حيا في حدود 920هـ، البستان، مصدر سابق، ص: 259

(6) هو الفقيه العالم الولي الصالح من أكابر تلاميذ الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن يوسف السنوسي نفعنا الله ببركاته كان فقهيا عالما سنيا موحدا متصوفا كثير التمسك بالسلف الصالح لكتم أسراره له أسئلة تزيد على الخمسين مسألة تسمى بالقلعية وقد انتفع الناس بها كثيرا بعث بها إلى مدينة فاس فأجاب عنها أحمد بن يحي الونشريسي، البستان مصدر سابق، ص: 271

كفاية المحتاج للشيخ الفقيه سيدي أحمد بابا[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ص:

وهـــو الـــذي يقـــول مـــا معنـــاه | في سر لا إلـــــــــــــــه إلا الله
لعلهـــا للاختـــصار مـــع مـــا | تتـــضمنته خـــصها ذو الـــنعمى
بكونهـــا ترجمـــة الإيمـــان | فـــالهج بـــذكرها مـــع الإدمـــان

ش: الضمير في قوله: وهو، عائد على الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما ذكره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سنده إلى الشيخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال: وهو الذي يقول كلاما معناه في سر لا إله إلا الله دون غيرها من الأذكار: أنها لأجل اختصارها مع جمعها لما تضمنته من عقائد الإيمان في حق مولانا جل وعز وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام، خصها ذو النعمى: ذو التفضيل والتكرم وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بكونها ترجمة الإيمان أي مخبرة عن إيمان قائلها الثابت في قلبه. ولم يجزم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكون ذلك علة قطعا؛ تورعا عن الحكم على غيب من غيوبه تعالى جزما بغير قاطع؛ إذ لعل خصوصيتها بكونها ترجمة الإيمان لحكمة وسر غير ذلك؛ إذ معلوماته تعالى وحكمه لا يحيط بها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وضمن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام الشيخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في آخر الصغرى بلفظه ومعناه في نظمه، وهو من التضمين الحسن، أشار بذلك لقوله: ولعلها لاختصارها مع اشتمالها على ما ذكرناه جعلها الشرع ترجمة على ما في القلب من الإسلام، ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بها. فقال في شرحه بعد كلام: فجعل الشرع ذكر هذه الكلمة الخفيفة المشرفة جامعة لصنوف العقائد كلها، محصلة لأنواع المعارف بأجمعها، فهو ذكر واحد في اللفظ، وفي الحقيقة هو أذكار كثيرة، يقضي العارف بذكره مرة ما لا يقضيه غيره إلا في أزمنة متطاولة، ثم انتبه أيها المؤمن لعظيم رحمة الله تعالى وإنعامه

---

(1) العالم العلامة المتفنن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أوقيت عرف بأحمد باب المسوفي التنبكتي كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ غاية في العلم والحفظ له مؤلفات تدل على سعة علمه منها: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، شرح على صغرى السنوسي ... توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام 1036هـ وهو العام الذي ولد فيه الشارح.

علينا بهذه الكلمة الشريفة، التي لا يعلم عامة الناس عظيم قدرها إلا بعد الموت وفي الآخرة، هو أن المكلف إنما ينجو من الخلود في النار إذا اتصف في آخر حياته بعقائد الإيمان التي تتعلق بالله وبرسله عليهم الصلاة والسلام، والغالب عليه في ذلك الوقت الهائل الضعف عن استحضار جميع عقائد الإيمان مفصلة، فعلمه الشرع، بمقتضى الفضل العظيم، هذه الكلمة السهلة العظيمة القدر، حتى يذكر بها من غير مشقة تناله في ذلك الوقت الضيق الهائل جميع عقائد الإيمان بلسانه أو بقلبه، واكتفى منه الشرع في هذا الوقت الضيق بمجرد ذكرها مجملة؛ إذ طالما أدارها قبل ذلك على لسانه كلية مفصلة، ولهذا قال النبي ﷺ "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" وقال "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة" فالأول في من يستطيع النطق، والثاني: في من لا يستطيعه والله تعالى أعلم.

وكذا أيضا له أن يكتفي في جواب الملكين الكريمين في القبر بمجرد هذه الكلمة الشريفة، حيث يمنعه مانع الهيبة والخوف من ذكر عقائد الإيمان لهما مفصلة، وقد ورد أنهما يجتزئان منه بذلك، وكيف لا يجتزئان منه بهذا الجواب العظيم؟ وقد ذكر لهما المؤمن في هذه الكلمة مع اختصارها جميع عقائد الإيمان على التمام. انتهى

ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بها، وظاهره أنها يتعين لفظها لصحة الإيمان، ولا يجزئ غيرها في دخول الإيمان حتى لو قال قولا يؤدي معناها وهو قول لبعض أهل السنة وظاهر الحديث، والصحيح خلافه أنه يصح إيمانه بهذا اللفظ وبغيره مما يؤدي معناه، وقد قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح صحيح مسلم: أما إذا أقر بالشهادتين بالعجمية، وهو يحسن العربية، فهل يجعل بذلك مسلما؟ فيه وجهان لأصحابنا: الصحيح منها أنه يصير مسلما؛ لوجود الإقرار، وهذا الوجه هو الحق، ولا يظهر لنا خروجه. انتهى.

وهو ظاهر حديث المقداد في الذي قال: أسلمت لله ! وحديث بني جذيمة. قالوا: صبأنا! ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا. فحكم النبي ﷺ بإسلامهم بتلك الألفاظ.

قوله: فالهج بذكرها مع الإدمان، أي أولع بذكر هذه الكلمة الشريفة مع

المداومة عليها، وهو معنى الإدمان في كلام الناظم، حتى تمتزج مع معناها بلحمك ودمك، فإنك ترى لها من الأسرار والعجائب- إن شاء الله تعالى- ما لا يدخل تحت حصر، كما قال الشيخ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها، مستحضرا لما احتوت عليه من عقائد الإيمان، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب- إن شاء الله تعالى- ما لا يدخل تحت حصر، وبالله تعالى التوفيق. انتهى

وليحافظ الذاكر على إحضار قلبه لمعنى هذه الكلمة الشريفة، بقصد القربة إلى الله تعالى، يحصل له الثواب، لكن الوجه الأكمل في ذكر هذه الكلمة الشريفة، كما قال الشيخ في شرحه، أن يتوضأ لها ويلبس ثيابا طاهرة ويقصد موضعا طاهرا كما يقصده للصلاة وليتحر الخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع ويقصد العشاءين أو السحر، ثم يستقبل القبلة، وليفتتح ورده بالاستغفار ولو مائة مرة، ثم الأزمنة المشرفة كما بعد الفجر إلى طلوع الشمس وبعد العصر إلى الغروب ثم ليتبع إثر ذلك الصلاة على النبي ﷺ ولو خمسمائة مرة، ثم يشرع بعده في الكلمة الشريفة، مستحضرا في جميع ذلك كله أمر مولانا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بذلك، وقاصدا امتثال أمره ومستعظما ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾.

وكيفية ذلك أن يتعوذ أولا بالله من الشيطان الرجيم، ثم ليتل إثره قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ متدبرا معناه، ثم يقول: لبيك مولاي وسعديك والخير كله في يديك وهذا عبدك الضعيف الحقير عليك معوله في طهارة باطنه وظاهره يقول بتوفيقك امتثالا لأمرك مستعينا بك اللهم إني أستغفرك يا مولاي وأتوب إليك من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخاطر. ونحو ذلك

وليختر من أنواع الاستغفار ما يراه قوي التأثير في باطنه، ثم يتمادى حتى يتم ورده، فإذا أتمه حمد الله ثلاثا أو سبعا أو نحو ذلك، مستحضرا قدر النعمة التي وفقه الله تعالى لبدئها وتمامها، يقول في ذلك: الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام وهدانا بسيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام والحمد لله

الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. ثم ليتعوذ وليتل إثره على قلبه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ فعند ذلك يستحضر القلب شرف سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ، وأنه حاز منزلة لا يمكن أن يلحق؛ إذ مولانا جل وعز، على ما هو عليه من الجلال والعظمة، يخبر أنه يصلي عليه ﷺ، وكذلك ملائكته الكرام عليهم الصلاة والسلام، على ما هم عليه من الشرف والكثرة، يتوسلون إلى الله العظيم بالصلاة على حبيبه ومصطفاه ﷺ، فيفرح عند ذلك العبد الضعيف الفقير؛ إذ تفضل عليه مولاه الكريم بأن أدخله في هذا الخطب الجسيم، وما احتوى عليه من الأمر العظيم؛ إذ فتح له الباب إلى التوصل منه إلى أعظم الوسائل عنده، فقال مجيبا لهذا الأمر الجليل: لبيك مولاي وسعديك والخير كله في يديك وها هو العبد الفقير الحقير راكن يبتغي جنابك متوسلا إليك بأفضل أحبابك ﷺ يقول بتوفيقك ممتثلا لأمرك ومستعينا بك في جميع أموره: اللهم صل على سيدنا محمد رسولك ودليلك صلاة أرقى بها مراقي الإخلاص وأنال بها غاية الاختصاص وسلم تسليما عدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك. أو غير ذلك من كيفيات الصلاة عليه، مستحضرا عظيم حرمته عند المولى العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وشدة اهتمامه ﷺ بهدايتنا ومصالحنا في الدنيا والآخرة، جزاه الله عليه بهذا عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته.

فإذا فرغ من ورده في الصلاة عليه ﷺ، حمد الله تعالى على التوفيق لبدء ذلك وتمامه، وأقل ذلك ثلاثا أوسبعا، ثم ليشرع إثر ذلك في التعوذ، قاصدا التلاوة، ثم ليتل إثره قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم يجيب أمر مولانا العزيز يقول: لبيك مولاي وسعديك والخير كله في يديك وها هو العبد الفقير الحقير يوحدك بالتهليل منخلعا من كل شريك ومن كل تغيير وتبديل يقول مخلصا من قلبه ذاكرا لربه: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ إلى آخر دور سبحته[1] وليعد التعوذ والتلاوة في أول كل دورة، وإن اجتزأ بالمرة الأولى فلا بأس.

(1) ولعل ما ذكر كان من أوراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ص:

وهـــا هنـــا نظـــم العقائـــد انـــتهى مبلغـــا لمـــن وعـــاه مـــا اشـــتهى

ش: يعني أن ها هنا انتهى وتم نظم هذه العقيدة المشتملة على ما يحتاج إليه من العقائد الدينية في حق مولانا جل وعز وحق رسله عليهم الصلاة والسلام.

قوله: مبلغا... إلخ، حال من فاعل انتهى وهو ضمير النظم، أي قد انتهى هذا النظم المبارك في حال كونه مبلغا أي موصلا لمن وعاه أي حفظه وفهم معناه ما اشتهى أي ما يحبه ويتمناه من العقائد على الجملة والتفصيل.

ولا شك أنه كذلك[1] بحيث لا يبقى بعد هذا النظم إلا ما لا يضر جهله من العقائد جزى الله الناظم خيرا وضاعف له المثوبة وغفر لنا وله بمنه وكرمه. آمين.

ص:

وفـــاء عـــده بنـــصف الألـــف والرمـــز بالجمـــل فيـــه ألـــفي

ش: يعني أنه تم هذا النظم المبارك وعدد أبياته بنصف الألف وهو خمسمائة وهذا عدد المقصود من النظم مع ابتدائه وما اختتم به على ما رأينا من النسخة من غير زيادة ولا نقصان.

قوله: والرمز إلخ.. يعني أن شطر البيت ألفي أي وجد فيه هذا العدد وهو خمسمائة بحساب الجمل بتشديد الميم، وهي حساب أبجد مرموز فيه.

وبيان ذلك أن: الواو ستة، والفاء ثمانون، والألف واحد، والهمزة واحد لأن الهمزة والألف واحد، والعين سبعون، والدال أربعة، والهاء خمسة، والباء اثنان، والنون خمسون، والصاد ستون، والفاء ثمانون، ولام ألف ثلاثون، ولاعبرة بهمز الوصل لإسقاطها بالدرج، والألف المعانقة واحد، واللام ثلاثون،؛ فمجموع ذلك: خمسمائة، وهو عدد أبيات النظم من غير زيادة. وقد أبدع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك وأغرب فيه غاية، نفعنا الله به.

---

(1) ولا شك أن الشرح كذلك أيضًا.

وكــان إتمــامي لــه في القــاهرة[1] وفيــه تــاريخ جــلاه الظــاهره

ش: يعني أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخبر أن إتمامه لهذا النظم كان بالقاهرة المحروسة بمصر، وهي المدينة المعروفة التي لها مزية الفضل في الدنيا والآخرة، فانظر ما ذكره الجلال السيوطي في تعيينها وفي ابتدائها وما جاء في فضلها في "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة".

قوله: وفيه تاريخ أي وفي ضمن ذلك تاريخ النظم، وذلك بحساب الجمل: اثنان وأربعون وألف[2]، وهي السنة التي ألف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها هذا النظم.

قوله: جلاء الظاهره أي بين ذلك التاريخ المرموز إليه في الحروف المتقدمة لفظة الظاهرة؛ إذ الألف واحد، واللام ثلاثون، والظاء ثمانمائة، والألف واحد، والهاء خمسة، والراء مئتان، وتاء التأنيث الموقوف عليها بالهاء خمسة، ومجموع تلك اثنان وأربعون وألف[3]، كما أن مجموع حروف الشطر الأول: اثنان وأربعون وألف،

(1) وفي هامش نسخة الغرياني تلميذ المقري: سنة 1036هـ

(2) وفي هامش نسخة ب: والتحقيق أن تاريخه سنة ست وثلاثين وألف لأن الناظم مات قبل السنة التي ذكرها الشارح، قاله سيدي عبد الله بن محم بن القاضي.

(3) وفي هامش نسخة (أ) ما نصه: والذي يظهر لي والله أعلم أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يعتبر في رمز هذا البيت إلا الحروف الملفوظ بها دون غيرها مما ثبت في الخط ولم يلفظ به وما غيره الوقف عن أصله كما وقع له في رمز البيت الذي قبله لأنه لم يعتبر فيه إلا الملفوظ به كما نبه على ذلك الشارح فإنه ذكر أن همزة الوصل من قوله الألف لا عبرة بها بسقوطها في الدرج فكذلك لا عبرة بهمزة الوصل أيضا من قوله في القاهرة ولا من الظاهرة إذا نظرنا إليها وإلا بأن اعتبرت وقع إشكال وبيانه: أن اعتبارها يصير به تاريخ تمام النظم عام إثنين وأربعين وألف وذلك لا يصح لأن جماعة من الثقاة: كالشيخ أبي عبد الله مياره تلميذ الناظم والشيخ سالم بن محمد الخضيري و الشيخ عبد الله بن محم بن القاضي العلوي وغيرهم ذكروا أن الناظم توفي عام إحدى وأربعين وألف فتعين عدم اعتبارها لذلك كما تعين عدم اعتبارها في البيت الذي قبله بشهادة النسخ له ويصير تاريخ تمام النظم إذن عام إحدى وأربعين وألف الذي هو عام وفاة الناظم كما سبق فيتعين حمل ذلك على أوائله كما ذكر ميارة من أنه توفي في منتصف شعبان و أما عد الشارح لهذه الألف وجعله تاريخ النظم عام اثنين وأربعين فحمله عليه عدم حصول القطع عنده بعام وفاة الناظم لأنه قال أول الكتاب عند التعريف به لما =

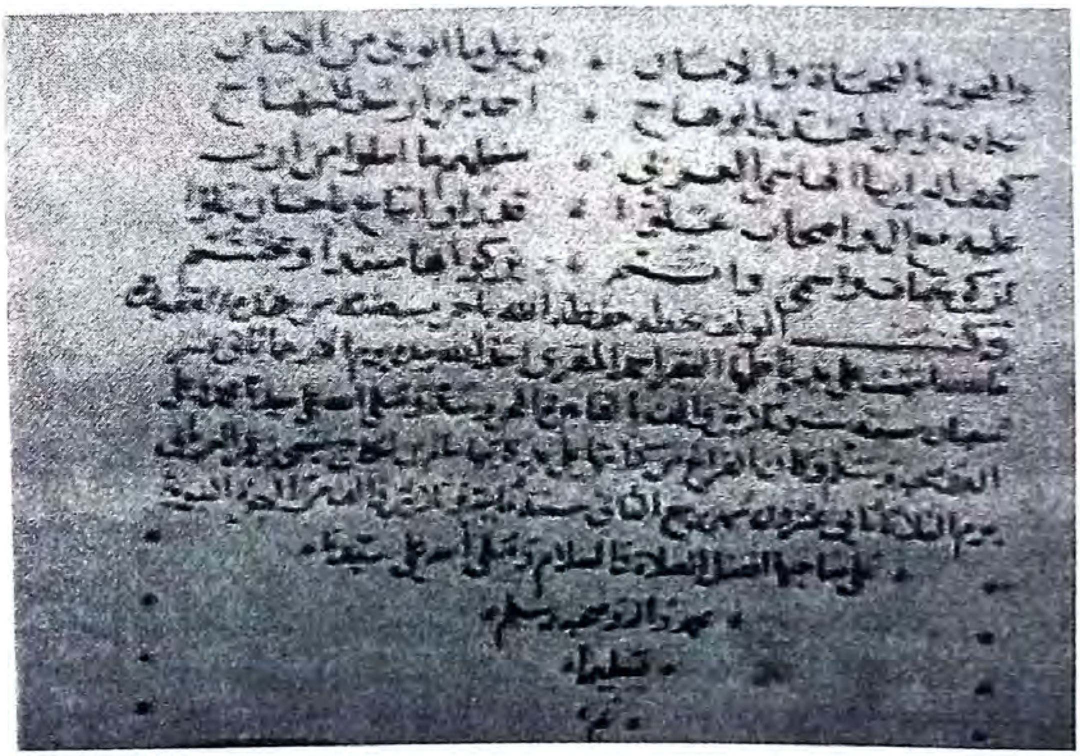
أعني الحروف الملفوظ بها، وإن لم ترسم في الخط وهي الواصلة له، بذلك ليتم العدد المذكور، والله أعلم.

وقوله: جلاه، رأيناه في النسخة الواصلة إلينا بالحاء المهملة، ويصح أن يكون

= ذكر سبب موته: وأظنه في عشر الخمسين بعد الألف والله أعلم، فانظر في ذلك وتأمله وبالله تعالى التوفيق قاله وكتبه عبد ربه وأسيرذنبه وسيء كسبه محمدو بن أحمد الصغير بن حمى الله بن أحمد بن أحمد التيشيتي المسلمي كان الله له وليا ونصيرا آمين. انتهى بلفظه.

وقد وقفت على نسخة من هذه المنظومة بخط تلميذ المؤلف سالم بن الحاج بن عمر الغرياني كتب في آخرها ما نصه: "وكتب المؤلف بخطه حفظه الله في آخر مبيضته من هذه العقيدة انتهت على يد ناظمها الفقير أحمد المقري أخذ الله بيده يوم الأربعاء الثاني عشر شعبان سنة ست وثلاثين وألف في القاهرة المحروسة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من كتابتها على يد كاتبها سالم بن الحاج بن عمر الغرياني يوم الثلاثاء الثاني عشر شهر ربيع الثاني سنة ثمانية وثلاثين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

هذا ما نقله الغرياني من خط شيخه المقري، وبهذه النسخة يرتفع الخلاف في تاريخ إتمام المنظومة.



بالجيم كما شرحناه، ويصح بالمهملة ويكون معناه صفة هذا التاريخ الظاهرة، ويكون معناهما واحدا، والله أعلم هذا ظهر لي من غير توقيف، والله أعلم.

ص:

وأرتـــجي مـــن مـــانح العطايـــا ســـبحانه الغفـــران للخطايـــا

والفـــوز بالنجـــاة والأمـــان ونيـــل مـــا أرجـــو مـــن الأمـــان

ش: قوله: وأرتجي أي افتعل من الرجاء، وهو تعلق القلب بالمرجو في المستقبل حقق الله له ولنا هذا الرجاء بمنه وكرمه، وذكر أنه رجا من مانح، أي من معطي العطايا على الحقيقة وهو مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الغفران لجميع خطاياه وذنوبه والفوز أي الظفر بالنجاة والأمان من كل مخوف في الدنيا والآخرة.

قوله: ونيل أي ورجاء أيضا من المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حصول ما قصده وما يقصده من الأماني، جمع أمنية وهي كل ما يتمناه ويشتهيه حقق الله له ولنا ذلك. وقد بالغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في الدعاء، ولم يترك شيئا منها؛ إذ سأله النجاة والأمان من كل مخوف، وحصول جميع ما يتمنى من خير الدنيا والآخرة، ثقة منه بوعده الصادق في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وبقوله ﷺ فيما يحكيه عن ربه ﷻ "أنا عند ظن عبدي بي"[1] ففضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعظم، وخيره أكثر، والله ذو الفضل العظيم عاملنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بفضله وكرمه ونعوذ به سبحانه من أن يعاملنا بعدله ونقمه.

ثم كمل الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الدعاء بالتوسل بأفضل خلقه إليه ﷺ عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ الآية. قال:

---

(1) ولفظه في الصحيحين: " أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675) باختلاف يسير

ص:

بجاه نبراس الهدى الوهاج أحمد من أرشد للمنهاج

كنز البرايا الهاشمي العربي منيلهم ما أملوا من أرب

عليه مع آل وأصحاب علوا قدرا وإتباع باحسان تلوا

أزكى تحيات وأسمى وأتم يزكو بها مبتدأ ومختتم

ش: يعني أنه توسل بحرمة النبي ﷺ إلى نيل مطلوبه من المولى الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استنجازا لوعده الصادق في قوله تعالى ﴿وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ولا شك أن الشرع كتابا وسنة وإجماعا جاء بالتوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وبخواص عباده الصالحين، كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح المقدمة، ونصه: وقد جاء الشرع بالتوسل إلى المولى تبارك وتعالى والتشفع إلى نيل كرمه بأنبيائه ورسله وملائكته وأوليائه، لا سيما أشرف خلقه الشفيع المشفع سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ. انتهى

وهو المراد بنبراس الهدى، والنبراس في اللغة المصباح، وإضافته للهدى إشارة إلى وضوح نبوته وكمال هدايته وشريعته، وأنها أكمل من غيرها ناسخة لجميع شرائع غيره، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ "لو كان موسى و عيسى عليهما الصلاة والسلام حيين ما وسعهما إلا اتباعي"(1) وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾ الآية.

وبالجملة فخير الهدي هدي محمد ﷺ بحيث صارت كل شريعة غير شريعته ﷺ، بعد إرساله ﷺ، ضلالا وباطلا لا يعتد به؛ ولذلك وصفه بالوهاج أي المضيء جدا،

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره: "وقد قال: «لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيْسَى حَيَّيْنِ لَمَّا وَسِعَهُمَا إلا اتِّبَاعِي»، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تفسير سورة الكهف، دار طيبة للنشر والتوزيع.، ج4، ص: 56

وقال أبو حيان: " وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيْسَى حَيَّيْنِ لَمَّا وَسِعَهُمَا إلا اتِّبَاعِي»." هكذا ورد في الحديث ومذهب المسلمين أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حي وأنه ينزل من السماء ولعل الحديث " لو كان موسى حيا لم يسعه إلا اتباعي" بحر المحيط لأبي حيان، ج7، ص: 204.

بحيث صار دينه أفضل الأديان لا لبس فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

قوله: أحمد... إلخ، هو ﷺ أفضل من أرشد الخلق للطريق المستقيم، لأن أحمد أفعل تفضيل، لأنه ﷺ أكثر الناس حمدا في نفسه، لأن الله يفتح عليه من ثنائه ما لم يفتح على أحد غيره، ولأنه ﷺ يحمده الأولون والآخرون، وبيده لواء الحمد يوم القيامة. والمنهاج الطريق الواضح.

قوله: كنز البرايا، الكنز الشيء النفيس، والبرايا جمع برية وهي الخليقة، أي نفيس الخلائق، أي أفضلها وأشرفها وأجلها إلى المولى الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الهاشمي: منسوب إلى هاشم بن عبد مناف جد أبيه ﷺ.

العربي: منسوب إلى العرب، والعرب من ينسب إلى عدنان وقحطان.

ومعرفة نسبه ﷺ فرض متعين[1] على كل أحد، وكذلك معرفة بلده ﷺ؛ لأن من نفاه عن ذلك يكون كافرا به، نص عليه العلماء رَحِمَهُمْ.

قوله: منيلهم ما أملوا من أرب، أي هو ﷺ معطيهم مأمولهم في الدنيا والآخرة، كما قال القاضي عياض رَحِمَهُ في الشفا: إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية، وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم المتكلم عنهم، والشاهد لهم، والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدي. انتهى.

وذكر الشيخ أن النار عندما تسوقها الملائكة الموكلون بها بالسلاسل لتحيط بالخلق في المحشر، فإذا قربت، بنحو خمسمائة سنة، تشهق عليهم شهيقا عظيما، شهيقا منكرا، وتنفلت منها الأعناق إلى المحشر، طول العنق خمسمائة سنة، له فم وأسنان من نار، فيصل العنق إلى المحشر، ويزفر عليهم ويشهق عليهم شهيقا منكرا لا يستطاع سماعه، ويملأ عليهم الجو ظلمة ونارا، زيادة على ما هم فيه من الأهوال الجسيمة، ويلجم العرق الناس من الموقف، ويبتلعهم في ذلك العنق الطويل إلى جوفه، وحينئذ تجثوا على الركب الملائكة المقربون والأنبياء والرسل عليهم الصلاة

(1) فرض عين على كل مسلم أن يعلم أنه ﷺ اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنه ولد بمكة. ويكفي في فرض العين من تعلم سيرته ﷺ نظم قرة الأبصار.

والسلام، فحينئذ ينهض إلى النار نبينا ومولانا محمد ﷺ، فيزجرها عن الناس، ويأمرها بالتأخر عنهم، فتسمع النار حينئذ نداء من قبل الله تعالى: اسمعي له وأطيعي. انتهى

فانت ترى هذا الفضل العظيم منه لجميع الخلق في المحشر الذي اجتمع فيه جميع الخلائق العلوية والسفلية، حيث رد عنهم هذا العنق العظيم الذي كاد أن يبتلع الخلق كله، غضبا لله على أهل المعاصي، ﷺ وجزاه عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته.

قوله: عليه أزكى تحيات، أي أفضل تعظيم؛ لأن التحية التعظيم، وأنماها أي أرفعها وأتمها، أي أكملها مع آله، أي أهل بيته من أزواجه ونسله ﷺ، أهل بيته الذين تحرم عليهم الصدقة أو جميع أمته، وذا أعم وأشمل على حسب الاختلاف في الأول في اللغة، وعلى أصحابه الذين علوا قدرا أي ارتفع قدرهم بصحبته ﷺ، وقدرا منصوب على التمييز المحول عن الفاعل، وعلى التابعين الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

والمعنى أن أفضل الصلاة والسلام وأرفعها وأكملها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

قوله: يزكو بها مبتدأ ومختتم، أي يرتفع بتلك الصلاة والسلام عليه ﷺ هذا النظم، في حال كونه مصدرا بها ومكملا بها؛ فحق له القبول من المولى سبحانه ذي الجلال والإكرام ذي الفضل العظيم؛ لأن الصلاة عليه ﷺ التي ابتدأ بها هذا النظم وكمل بها: مقبولة بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما نص عليه الإمام المحقق أبو إسحاق[1]

(1) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل المجتهد كان أصوليا مفسرا فقيها محدثا لغويا بيانيا نظارا ثبتا ورعا صالحا زاهدا من أفراد العلماء المحققين الأثبات وأكابر الأئمة المحققين الثقات ... له تواليف نفيسة اجتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمات الفوائد منها: شرحه جليل على الخلاصة في النحو في أسفار أربعة. الموافقات في أصول الفقه كتاب جليل القدر جدا لا نظير له .. توفي عام 790. نيل الابتهاج في تطريز الديباج للعلامة أحمد باب التنبكتي، مخطوط بحوزتنا نسخة منه، نسخت عام 1244هـ، ص: 32-33

وكتب على ظهره أيضا ما نصه:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج   مؤملا جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعدما سبقوا   فكم لرب السما للناس من فرج
وإن ضللت بقفر الأرض منقطعا   فما على أعرج في ذاك من حرج

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وأمته وجميع الأنبياء والمرسلين وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

وفي بعض نسخ هذا الشرح ما نصه:

قال مؤلفه: وينبغي لمن استنسخه أن يقابله حرصا على الإتقان مخافة النسيان، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

وبعد أن تكتب فلتقابل   أو ارم ما كتبت في المزابل

وهنا قد استراح راقمه من كمد الانتهاض إلى نقل هذا الشرح من السواد إلى البياض والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود واللواء المعقود سيدنا محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللهم أغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن أحسن إلينا ولجميع المسلمين آمين.

***

فهرس الأعلام

***

قائمة المصادر المخطوطة

* أجوبة العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم لأسئلة العلامة عبد الله بن الحاج حمى الله بحوزتنا نسخة من الأجوبة المذكورة بخط سيدي عبد الله.

* حاشية المنجور على كبرى السنوسي، مخطوطة بحوزتنا نسخة منها مكتوب على ظهرها أنها ملك للعلامة سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي تلميذ الشارح.

* الذخائر الكنزية على همزية البصيري للعلامة محمد بن آب بن حميد بن عثمان المزمري التواتي صاحب منظومة عبيد ربه. ت 1160هـ، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

* رسالة في المناظرة لمحمد ساجقجي زاد، مخطوط مصور على الماكروفيلم في افرايبور – ألمانيا تحت رقم 27.

* روضة الأفكار في علم الليل والنهار للشارح توجد منه نسخة أصلية بمخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 3371 بخط حفيد الشارح الشيخ بن محمد الشيخ.

* شرح العلامة الشيخ أحمد باب التنبكتي على صغرى السنوسي، مخطوط بحوزتنا نسخة منه نسخت عام 1192هـ

* شرح العلامة سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ت 1250هـ، على إضاءة الدجنه، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

* شرح العلامة عبد الله بن الحاج حماه الله على إضاءة الدجنة، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط محمد أحمد بن الخضر بن عبد القادر العلوي، كتبها عام 1302هـ في مدينة تججكة

* شرح العلامة عمر القدامسي ت 1083هـ على شرح الإضاءة، مخطوط بحوزتنا نسخة منه نسخت عام 1143هـ

* شرح سيدي عبد الله بن سيدي محمد ابن انبوج على وسيلة السعادة، لابن بونا، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف

※ شرح عبد السلام بن إبراهيم اللقاني على جوهرة التوحيد لوالده، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط أبكر بن عبد ض الملقب بلخديم. نسخها عام 1208هـ.

※ شرح منظومة التثبيت للجلال السيوطي للعلامة يوسف بن محمد بن علي بن يوسف بن محمد الملقب بالفاسي الفهري نسبا، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف، ذكر في خاتمته انه انتهى منه عام 1070هـ ثم خرجه من مبيضته عام 1090هـ.

※ فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور لابن نبوج، بخط المؤلف

※ قرة عين ذي النظر السديد بإبراز مناقب علماء التجديد للعلامة محمد ابن أحمد الصغير بن أحمد بن حمى الله التيشيتي، مخطوط توجد منه نسخة مصورة على المايكروفليم، المكتبة الألمانية تحت رقم: 357

※ منة العلي في مسألة القطع بما أخبر به الولي للعلامة أحمد بن حمى الله المسلمي التشيتي، مخطوط بحوزتنا نسخة منه بخط المؤلف.

※ المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

***

الفهرست

***

ISBN 978-2-37700-369-3